الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني

الإعجاز النحوي في القرآن الكريم



مكتبة الفلاح

الإعجاز النحوي في القرآن الكريم

الإعجاز النحوي في القرآن الكريم

تأليف
الدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني

مكتبة الفلاح

الطبعة الأولى

١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م

مكتبة الفلاح - الكويت

ص.ب ٤٨٤٨ - الكويت - شارع بيروت - عمارة الحساوي

مقابل بريد حولي - تلفون ٥٤٧٧٨٤

بسم الله الرحمن الرحيم

وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا
فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم
مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ

صدق الله العظيم

"البقرة ٢٣"

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد .

تقف هذه الدراسة مع كتاب الله الخالد ، قرآننا الكريم ، الذي غَيَّرت تعاليمه مسارَ البشرية جمعاء ، وأخرجتهم من الظلمات إلى النور والهداية . وقد جاء هذا السفر الخالد هادياً ومُبَشِّراً ونذيراً مُتحدياً كُلَّ مَنْ دَبَّ على وجه هذه الأرض زماناً ومكاناً كَمّاً وكَيْفاً وقد وقف أهل البيان من العرب وغيرهم من الأُمم الأخرى أمام تعاليمه وأسلوبه حائرين ، مبهورين ، تائهين ، عاجزين ، حتى جاءتهم البيناتُ والهداية إذْ أَخذوا يدخلون في هذا الدين العظيم أفواجاً لأنّهم وجدوا ضالتهم المنشودة ، عدلاً وأمناً ورحمةً وعُلُوّاً . يأتونَ أُمَّ القرى من كُلِّ حَدَبٍ وَصوْبٍ راجِلينَ ليسمعوا محمداً الرسول صلى الله عليه وسلم شارحاً لهم نورَ الهداية رسالته الأخيرة إلى هذا العالم قاطبة .

وبعد أن إقتنع مَنْ كُتِبَ لَهُ الخلود ، أخذ هذا الدين ينمو ويزدهر قاطعاً ربوع الجزيرة العربية مُحَطِّماً أسوارَ الباطل مِنْ وثنية ومجوسية وضلال واصلاً مسيرته إلى شعوب المعمورة كافةً ثابتاً راسخاً حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

هَبَّ أَهلُ البيان من العرب والمسلمين ينهلون من علومه الزاخرة وبيانه الخلاق يدرسون تعاليمه السَّامية مفصلين ، محققين ، وقد ظهر ذلك واضحاً

فيما تركوه لنا من تراث علمي يزخر بفنون الفكر من تفسير وفقه وفلسفة ولغةً ، وغير ذلك من العلوم الإنسانية . التي لم نزل نعيس في ظلالها إذ غدت جنة وارفةَ الظِّلال ، شهيةَ الثَّمر ، خصيبةَ الجوانب أنارت العالم أدباً وفكراً وحضارة .

ويجدر بنا أن نشير إلى حقيقة حرية بالإعتبار وهي : كلما إتسعت جوانب المعرفة وكثرت المذاهب وتعددت الآراء والنظريات الوضعية إزداد المؤمنون تعلقاً بالقرآن وعلومه التي لا يحاط بها .

وبدأ العلماء يدرسون سِرَّ الإعجاز في قرآنهم الكريم ، الذي تحدى العالم إنْساً وَجِنّاً ، ﴿ **قل لئن اجتمعت الأنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً** ﴾ وأخذوا يبحثون عن مواطن إعجازه وذهبوا في ذلك مذاهب متباينة السبب متفقة الهدف بأنه معجزة محمد لهذا الكون ، فرأى بعضهم أن سر إعجازه قد يعود إلى قوة أسلوبه وجزالة نظمه ، ورأى آخرون أنه معجز في تعاليمه وفكره وما يحتوي على علوم غيبية وقصص الأولين والآخرين . ورأى قوم أنه معجز بتأثيره النفسي على القلوب ومنهم من قسم أوجه إعجازه إلى عدة أقسام والحقيقة الساطعة التي لا مراء فيها أن القرآن الكريم معجز في كل شيء فهو إعجاز مطلقٌ ولن أغالي إذ أؤكد أنَّ كُلَّ حرف وكل كلمة وكل جملة في التركيب القرآني تشير إلى عظمته وسرِّ إعجازه . فهو معجز في جمعه وفي ترتيبه ، وفي المتلقي والسامع لما فيه من إعجاز فكري ولغوي وبلاغي وإقتصادي وسياسي وإجتماعي ليس في طاقة البشر الإحاطة به لأنه محفوظ من مُنَزِّلِهِ العظيم ﴿ **إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون** ﴾ وهذا الحفظ الإلهي لَمْ يأتِ إلاّ للقرآن الكريم دون سواه من الكتب المقدسة السابقة .

أمَّا الدراسات التي تناولت النص القرآني ، فقد جاءت معظمها مركزة

على الجوانب البيانية والمعنوية ، وما فيه من أخبار عن الأُمم السابقة ، والعلوم الغيبية . أما الإعجاز النحوي فلم ينل حظاً وافراً من الدراسة والبحث اللَّهُم إلاً ما ندر من إشارات حول بعض الظواهر .

وإننا نحاول في هذه الدراسة المستحدثة أن نقدم لأول مرة في تاريخ الدراسات النحوية بحثاً عن الظواهر الإعجازية النحوية التي برزت في التركيب القرآني ، منطلقين من قاعدة يقينية ؛ وهي أن كُلٌ ما في كتابنا الخالد معجز ، معتمدين في ذلك على الله وعلى ما وصلنا إليه من نتائج في أثناء دراستنا لهذا البحث . وإنني أعترف أن كُلً محاولةٍ وكل دراسةٍ حول هذا الموضوع ستبقى قاصرةً للوصول إلى سُمُوٌ الكتاب وعظمته وسِرٍ إعجازه وإنً الإعْجَازَ والتحدي قائمان إلى أن يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

أما موضوع دراستنا فهو الإعجاز النحوي في القرآن الكريم ، إذ أدت طبيعة البحث أن يكون في ثلاثة أبواب ، يبدأ بمقدمة ، موزعاً على اثني عشرَ فصلاً .

المقدمة

أشرت في المقدمة إلى معنى الإعجاز لغةً وإصطلاحاً كَما بينت معنى الإعجاز في الإصطلاح الإجتماعي .

الباب الأول (دراسات العلماء في الإعجاز القرآني)

الفصل الأول : المعجزة القرآنية

تحدثت في هذا الفصل عن الظاهرة الإعجازية في القرآن الكريم ، وبينت أنها تجاوزت طاقة البشر كافةً ، مشيراً إلى رأي العلماء ؛ كابن العربي ، والسيوطي ، والقرطبي ، والقاضي عبد الجبار ، مبيناً معنى المعجزة القرآنية عند العلماء ، وفي لسان الشرع .

الفصل الثاني : معجزة الأنبياء

تحدثت في هذا الفصل عن معجزة الأنبياء عليهم السلام مشيراً إلى المعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم مُبْتَدِئاً بنوح عليه السلام ذاكراً رأي العلماء ، ثم معجزة هود عليه السلام ، وصالح وإبراهيم وسليمان عليهم السلام .

الفصل الثالث : آراء العلماء

بينت في هذا الفصل آراء العلماء حول معجزة الرسول محمد عليه السلام . وكيفية خلودها ، وأنَّها مخالفةٌ عن معجزة الأنبياء السابقين . كما بينت الكتب التي تحدثت عن معجزة القرآن ، ووجدنا أن العلماء قد إختلفوا حول سِرِّ الإعجاز إذ رأى بعضهم أن الإعجاز يعودُ إلى أسلوبه الباهر لما فيه من نَظْمٍ وتأليفٍ وترصيفٍ وفصاحةٍ وقسمٌ ثَانٍ يَرَى أَصْحَابُه أنَّ أوجه الإعجاز مُتَعَدِدَةٌ فهو إعجاز كلي . وقسمت كُلَّ طائفةٍ قسمين : فأصحاب القسم الأول هم : الجاحظ والخطابي والجرجاني والزمخشري وإبن عطية الغرناطي والرازي وحازم القرطبي مبيناً آراءَهم .

أما أصحاب القسم الثاني ، فهم أبو الحسن الرُّمَاني وأبو بكر الباقلاني والقاضي عبد الجبَّار والقاضي عيَّاض وأبو يَعْقوبَ السّكَاكِي والزملكاني والسُّيوطي ، مبيناً آراءهم في ذلك .

الفصل الرابع : العلماء المحدثون

تكلمت في هذا الفصل عن الدراسات التي قام بها العلماء المحدثون حول الظاهرة الإعجازية ، فبينت رأي الرافعي والشيخ محمد أبو زهرة والدكتورة عائشة عبد الرحمن ، والأستاذ عبد الكريم الخطيب ، والشيخ محمد

متولي الشعراوي والسيدة نعمت صدقي وذلك من خلال كتبهم في الدراسات الإعجازية .

الباب الثاني (الإعجاز النحوي)

الفصل الأول : النحاة والقرآن

تحدثت في هذا الفصل عن النحاة وإهتمامهم بالنص القرآني ، وحث المسلمين على تعلم النحو ، وخاصة إعرابَ القرآن وقراءته ، وأسباب نشأة النحو . كما تحدثت عن بوادر اللحن والاستشهاد القرآني في كتابي « الكتاب » لسيبويه والمقتضب للمبرد مبيناً ذلك كَمَّاً وكَيْفَاً .

الفصل الثاني : الظاهرة الزمنية

أفردت في هذا الفصل حديثاً عن الظاهرة الزمنية في الأفعال العربية وأقسامها المشهورة لدى النحاة ـ المضارع والماضي والأمر ، وبينت رأي كل من سيبويه والمبرد وقدمت دراسة نموذجية من الإسناد الوضعي عند شعراء المعلقات وبعضاً من أقوالنا الوضعية ثم جنحنا لدراسة الأمر في القرآن الكريم وبينت أن تلأمر في القرآن الكريم يختلف عن الأمر في الأفعال العادية وفي الإسناد الوضعي وأنَّ الفعل القرآني فعلٌ معجزٌ ويمر في مراحل ثلاثة ؛ أمر خالد مستمر ؛ وأمر لم يحدث ؛ وأمر قاس عليه النحاة وكل دراستنا جاءت معززة بالشواهد .

الفصل الثالث : الفعل المضارع

تحدثت في هذا الفصل عن المضارع وبينت رأي إبن مالك الذي يعتبر ممثلاً لأراء النحاة السابقين لعصره من جهة ، واللاحقين الذين أخذوا عنه من

جهة أخرى ، وقدمت نماذجَ للمضارع في الإسناد الوضعي وبخاصة عند الشعراء القدماء ، وتحدثت عن المضارع القرآني وبينت الظاهرة الإعجازية فيه إذ بينت أن المضارع في القرآن يأتي على أقسامٍ زمنية أنَّى للإسناد الوضعي أن يصل إليها ، مضارع معجز مستمر الحدث حتى يرث الله هذه الأرض ، وآخر غير مرتبط بزمن معين .

وقسم لم يحدد إلا بعد هذه الحياة الفانية وذلك يوم الحشر وقِسْمٌ مُساوٍ للأفعال التي قاس عليها النحاة .

الفصل الرابع : الفعل الماضي

بينت آراءَ النحاة حول الزمن في الفعل الماضي ، كما قدمت نماذج مختلفة للإسناد الوضعي في الشعر العربي والنظم العادي . ثم قدمنا نماذج قرآنية للفعل الماضي من قرآننا الكريم . وقد بينت بوضوح لا لُبسَ فيه مواطن الإعجاز النحوي وقد جاء الفعل الماضي عدة أقسام : قسم أُلْغِيَتْ فيه الظاهرة الزمنية وقسم آخر لم يحدث وقسم ثالث شبيه بالذي قاس النحاة عليه .

الباب الثالث : الفواتح القرآنية

الفصل الأول : موقف علماء التفسير من الفواتح

تحدثت في هذا الفصل عن عدد الفواتح في السور القرآنية وآراء العلماء حولها وقد إنقسم العلماء حول معانيها إلى أقسام متباينة وأمكننا أن نجعلها تسير في إتجاهين ، وآراء العلماء في هذا الشأن ، رأي القرطبي ، رأي الشيخ عبد الله الحنفي ، رأي النيسابوري .

الفصل الثاني : معاني الفواتح

بينت في الفصل السابق أن علماء التفسير قد اختلفوا في معاني الفواتح

القرآنية وقسمنا ذلك قسمين : قسم رأى أنها أدوات وحروف الهجاء ، وقسم رأي أنها سر من أسرار الله ، وهي سر القرآن لأن لكل كتاب سراً والفواتح سر القرآن وقيل إنها أسماء الله عز وجل أو عدة بقاء هذه الأمة . وموقف العلماء : القرطبي ، الطبري ، أبي علي الطبرسي ، الثعالبي ، البيضاوي ، الفراء السهيلي مناقشة الآراء .

الفصل الثالث : الفواتح والأعراب

تحدثت في هذا الفصل عن شيوخ المدرسة البصرية ، الخليل بن أحمد وسيبويه وأقوالهما في إعراب الفواتح القرآنية ثم موقف نحاة الكوفة ، وآراء شيوخهم في إعراب الفواتح ، أبو جعفر الرؤاسي ، الكسائي ، ألفراء ثم نماذج من إعراب الفراء للفواتح .

الفصل الرابع : « نحاة متأخرون »

تحدثت عن موقف النحاة المتأخرين في إعرابيهما للفواتح القرآنية ، وكيفية معالجتها ، إذ تحدثت عن العلماء الذين ألفوا كتباً في إعراب القرآن الكريم منهم أبو محمد مكي القيسي المتوفى ٤٢٦ هـ وإعرابه للفواتح من خلال كتابه ، مشكل إعراب القرآن ، والأنباري المتوفى ٥٧٧ هـ من خلال كتابه البيان في إعراب غريب القرآن ، والعُكْبري المتوفى ٦١٦ هـ من خلال كتابه إملاء ما من به الرحمن ، ومن المفسرين الزمخشري من خلال كتابه الكشاف ، وأبو حيان من خلال كتابه البحر المحيط وغيرهم .

وبعد ،

أرجو الله الكريم أن أكون قد وفقت في دراستي لهذا الجانب الشريف من كتابنا العظيم مع يقيني المطلق أن البحث في الإعجاز القرآني يفوت محاولة البشر كافةً ، وكل ما قُدِّمَ من دراسات في هذا الميدان الكبير . . . . ما هي إلا

وقفةُ تأمل إستطاعت حيناً التعرفَ على جانب بسيط من سر إعجازه الكبير الذي ليس بطاقة البشر الإحاطةُ به وسيبقى مُعْجزاً حتى يرثَ اللهُ هذه الأرض ومَـنْ عليها .

وإن عمل الإنسان في هذه الدنيا معرض للخطأ والنسيان ولا أبريء نفسي من زلة السهو وآمل مخلصُ النيةِ ، صادقُ القولِ أن يلقى هذا العمل الفائدة المرجوة خدمةً لديننا الإسلامي الحنيف وأن يُنْتَفَعُ به يَوْمَ لا يَنفعُ مالٌ ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليمٍ ؛ وأن يجعل كل ما كتبته خالصاً لوجه الكريم .

والله الموفق .

المؤلف

فتحي الدجني .

بسم الله الرحمن الرحيم

(١)

معنى الإعجاز

تمهيد :

يجدر بنا أن نشير في هذا البحث إلى معنى كلمة « عَجَزَ » في كل من اللغة والإصطلاح . وقد يلحظ الباحث في معاجم اللغة العربية أن علماء اللغة ـ خاصة أصحاب المعاجم ـ قد ركزوا إهتمامهم على مصدر الكلمة وطرق الكشف عنها ، أما المادة الإشتقاقية فلم تنل حظاً وافراً من حيث الترتيب الإشقاقي ، إذ نلحظ أنهم حيناً يبدأون بالمصدر ثم الجمع ثم إسم الفاعل ثم يعودون للفعل ثانية وهكذا ، أو يبدأون بالفعل ثم المشتقات وهَلُمَّ جرّاً[١] . ونود أن نشير في دراستنا لمعنى كلمة « عَجَزَ » في اللغة ، على نظام مغاير لما جاءت به المعاجم اللغوية ملتزمين بالظاهرة الأصولية التي سار عليها علماء النحو والصرف معاً . . أي نبدأ بالفعل والمصدر ثم بالمشتقات .

أولاً : معنى « عَجَزَ » لغة .

القسم الأول : ـ الفعل والمصدر

(١) أنظر على سبيل المثال مادة « عجز » في كل من لسان العرب ، تاج العروس والصحاح وتهذيب اللغة والمحكم وقد سبق للمرحوم الشيخ محمد الخضر حسين أن أشار إلى إضطراب المعاجم في تعيين إسم المصدر قال : أريد أن أطرح على بساط المؤتمر الموقر بحثاً في كلمة ترد في معاجم على وجه غير منضبط وغير واضح يريد إسم المصدر . أنظر مجلة المجمع اللغوي مج ٨/ ١٤٧ القاهرة .

عَجَزَ ـ عَجُزَ ـ أَعْجَزَ ـ عَاجَزَ ـ تَعْجِيزٌ ـ إِعْجَازٌ) .

(١) التقصير والضَّعف :

تحدث علماء اللغة عن معنى الفعل عَجَزَ وبنائه الثلاثي : مع[١] مضارعه : عَجَزَ بفتح الجيم كباب نَصَرَ تقول في مضارعه يَعْجُزُ بضم الجيم وعَجَزَ بفتح الجيم أيضاً كباب ضَرَبَ تقول : تَعْجِزُ بكسر الجيم ، وعَجِزَ بكسر الجيم كباب سَمِعَ تقول في مضارعه يَعْجَزُ بفتح الجيم وعَجُزَ بضم الجيم كَرُمَ تقول في مضارعه : يَعْجُزُ بضم الجيم[٢] أما عَجَزَ وأَعْجَزَ وعَاجَزَ متعدياً فلا خلاف في أبنيتها .

تقول : « عَجَزَ وعَجِزَ وعَجَّزَ ، عَاجَزَ » عَجَزَ يَعْجِزُ عن الأمر إذا قصر عنه وعَجِزَ بكسر الجيم « لغة » وَرَجلٌ ، عَجِزٌ بكسر الجيم وعَجُزٌ بضمها ، وَعاجَزَ[٣] أي ضعيف : تقول عَجِزْتُ عن كذا »[٤] .

وفي حديث عمر : « لا تلبثوا في دار معجزة » أي : لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الإكتساب والتعيش . وعَجِزَ فلان عن العمل إذا كبر[٥] وعَجَّزَ بالتضعيف تقول : « عَجَّزَ فلان رأي فلان إذا نَسَبه إلى خلاف الحزم كأنه نسبه إلى العجز ، وأَعْجَزَ ، أعجزني فلان إذا عَجِزْتُ عن طلبه وإدراكه وأعجزه

(١) أنظر مادة « عجز » بتصرف لسان العرب ٢/ ٦٩١ ، تاج العروس ١٣/ ١٩٩ تهذيب اللغة ٢/ ٣٤٠ الصحاح ٢/ ٨٨١ ، القاموس المحيط ٢/ ١٨٠ أساس البلاغة ٤٠٩ والمخصص ٢/ ٤٤ ، معجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٣١ ، كتاب جمهرة اللغة ٢/ ٨٩ والمحكم ١/ ١١٩ ومعجم متن اللغة ٤/ ٣٥ .

(٢) أنظر أبنية الثلاثي : فَعَلَ يَفْعُلُ وفَعَلَ يَفْعِلُ وفَعَلَ يَفْعَلُ شرح الشافية ١/ ٦٧ وشرح الملوكي ص ٥٠ والكتاب ٢/ ٢٢٢ ، ٢٢٣ ، والمزهر ٢/ ٣٧ ، ٣٨ وفي الصرف العربي ص ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ وما بعدها .

(٣) لسان العرب مادة عجز وتهذيب اللغة ، تاج العروس ، الصحاح والمخصص ومعجم مقاييس اللغة بتصرف .

(٤) الصحاح مادة « عجز » ومعجم مقاييس اللغة .

(٥) أساس البلاغة مادة « عجز » .

الشيء عَجِزَ عنه ، فإنه وجده عاجزاً .

وعاجزَ القوم تركوا شيئاً وأخذوا في غيره ويقال فلان يُعَاجزُ عن الحق إلى الباطل أي : يلجأ إليه أو يميل إليه ويلتجيء .

قال الشاعر :

جَعَلْـتُ عُزَانَ خَلْفَهـم دَلِيلاً ... وَفَاتُـوا في الْحِجَـازِ لِيُعْجِزُوني

قال صاحب اللسان : « قال إبن عرفه في قوله تعالى « مُعَاجِـزِينَ » أي يُعَاجِزون الأنبياء وأولياء الله أي : يقاتلونهم ويمانعونهم ليصيروهم إلى العجز عن أمر الله وليس يعجز الله جل ثناؤه خلق في السماء ولا في الأرض[1] .

(٢) التثبيط[2] .

ذكر علماء اللغة في مصدر عَجَّـزَ ـ بتضعيف الجيم ـ تعجيزاً قالـوا : التعجيز التثبيط ، ومعناه الإشتغال عن الأمر أيضاً « ثبطه عن الأمر تثبطاً شغله عنه » .

قال صاحب التاج : « والتعجيز : التثبيط » وبه فسر قول من قرأ « **والذين سعوا في آياتنا معاجزين** »[3] أي مثبطين عن النبي صلى الله عليه وسلم من اتبعه وعن الإيمان بالآيات والتعجيز النسبة إلى العجز وقد عجزه ويقال : عجز فلان رأى فلان إذا نسبه إلى قلة الحزم كأنه نسبة إلى العجز »[4] .

(٣) الْفَوْتُ والسَّبْقُ :

أما الأعجاز فهو مصدر « أعْجَزَ » قال الأزهـري : « الإعجـاز الفـوت

(١) لسان العرب مادة « عجز » ونحوه تهذيب اللغة والقاموس المحيط .
(٢) لسان العرب مادة « عجز » .
(٣) سورة الحج آية « ٥١ » وسورة سبأ الآية « ٥ » .
(٤) تاج العروس مادة « عَجَزَ » .

والسبق تقول أعجزني فلان أي فاتني » وقال الليث : أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه . ومنه قول الأعشى :

فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ من الْمَوْتِ رَبَّه
وَلَكن أَتَاهُ الْمَوْتُ لاَ يَتَأَبَّقُ[1] .

قال الزبيدي وفي التكملة أَعْجَزهُ صَيَّرَه عَاجِزاً ، أي عن إدراكه واللحوق به[2]. وقالوا : « جاؤوا بجيش تعجز الأرض عنه » قال الفرزدق :

فإِنَّ الأَرْضَ تَعْجِزُ عَن تَمِيمٍ وَهُمْ مِثْلُ المُعَبَّدة الجِرَابِ[3] .

القسم الثاني لمعنى مشتقات « عَجَزَ » لغةً .

ذكر أصحاب المعاجم أن لمشتقاتِ « عَجِزَ » اللغوية معانِي متباينة ولذلك نحب أن نشير إليها بشيء من الإيجاز وهي مرتبة كما يلي :

« عَاجِزٌ » - عَجُزٌ - عَجِيزٌ - مُعْجِزَةٌ بكسر الجيم وفتحها - ومُعْجَازٌ - ومَعْجُوزٌ - عَجُوزٌ - عَجْزَاءُ - عِجازٌ وعِجَازَة .

١ - « عَاجِزٌ » « عَجُزَ » بضم الجيم ، الضعيف والعَاجز : إسم الفاعل من عَجِزَ فتقول : رَجلٌ عَاجِزٌ أي : ضَعِيفٌ ، وتقول : رَجُلٌ عَجِزٌ وعَجُزٌ[4] . وامرأةٌ عَاجِزٌ ، عَاجِزةٌ عن الشيء[5] والجمع عَوَاجِزُ وعَجُزٌ كَخَادِمٍ وخَدَمٍ[6] .

٢ - « العَجْز »[7] بسكون الجيم ، مؤخر الشيء ، ومَقْبضُ السَّيف ، داءٌ

---

(١) تهذيب اللغة مادة « عَجَزَ » بتصرف وتاج العروس ومعجم مقاييس اللغة ٤/ ٢٣٢ .
(٢) تاج العروس « عُجَزَ » .
(٣) أساس البلاغة « عَجَزَ » ص ٤٠٩ وما بعدها .
(٤) لسان العرب « عَجَز » ومعجم مقاييس اللغة .
(٥) المحكم : لابن سيده « عُجَزَ » .
(٦) القاموس المحيط مادة عَجَز ولسان العرب .
(٧) القاموس المحيط مادة عَجَز ونحوه والمخصص ومعجم مقاييس اللغة .

يصيب الدابة . جاءت كلمة العجز بمعانٍ متباينة ، مِعْجز الشيء مؤخرته ومقبض السيف وداء في عَجز الدابة . قال الزبيدي : « العجز أصله التأخر عن الشيء ، وحصوله عند عجز الأمر أي مؤخره ، وصار في العرف أسماء للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة[1] .

وقالوا « بَنَاتُ العجز » أسهام والعجز طائر يضرب إلى الصفرة يشبه صوته نباح الكلب الصغير يأخذ السخلة فيطير بها ويحتمل الصبي الذي له سبع سنين[2] .

٣ ـ العَجَيز :

فَعِيْل كأمير : ذكر أصحاب المعاجم أنَّ العجيز هو الذي لا يأتي النساء[3] . وقد تستخدم للحيوان أيضاً . جاء في اللسان « **فحل عجيز عاجز عن الضراب** »[4] ويقال فَحْلٌ عَجِيرٌ أيضاً بالراء .

٤ ـ المُعْجِزة بكسر الجيم :

ما أعجز به الخصم عند التحدي ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم والهاء للمبالغة قال الزبيدي : « ومعجزة النبي صلى الله عليه وسلم : « ما أعجز به الخصم عند التحدي والهاء للمبالغة والجمع « مُعْجِزَاتٌ »[5] .

٥ ـ المِعُجِزَة بـ كسر الميم وفتح الزاي المنطقة في لغة اليمن ، سميت لأنها تلي عجز المنتطق بها[6] .

---

(١) تاج العروس « عُجَز » بتصرف .
(٢) المحكم مادة عَجَزَ .
(٣) تاج العروس « عَجَز » .
(٤) لسان العرب « عَجَز » والصِّحاح .
(٥) القاموس المحيط مادة « عَجَزَ » .
(٦) تاج العروس مادة عجز والصحاح ومعجم متن اللغة .

٦ ـ المِعْجَاز بكسر الميم كمِحْرَاب ، الدائم العجز . وأنشد في الحماسة لبعضهم

وَحَارَبَ فِيهَا يَاسِرٌ حَينَ شَمَّرَتْ　　مَن الْقِدَمِ مِعْجَازٌ لَئِيمٌ مُكَابِرُ[1] .

وقال الفيروز أبادي المِعْجَاز الطريق »[2] .

٧ ـ مَعْجُوزٌ على وزن « مَفْعُولٌ » .

قال الزبيدي : « والمَعْجُوز : الذي أَلح عليه في المسألة كالمشفوه والمعروك والمنكود »[3] .

٨ ـ عَجُوزٌ على وزن فَعُولٌ « كَصَبُورٍ .

ذكر العلماء أن للعجوز أكثر من ثمانين إسماً » . قال الزبيدي : « قد أكثر الأئمة والأدباء في جمع معانيه كثرة زائدة ذكر المصنف منها سبعة وسبعين معنى » . وقال في موضع ثان وللعجوز معان تنيف على الثمانين معنى »[4] من الحمر والبقرة والذئب والعقرب والفرس والنخلة والغراب والسيف والحرب والأرض والسماء[5] وزاد الفيروز أبادي عن ذلك إذ قال : « في معاني العجوز » والألف من كل شيء[6] . كما يطلق مصطلح عجوز على المرأة طاعنة السن والشابة قال الأزهري : « ويقال للمرأة الشابة هي عجوز وللزوج وإن كان حدثاً هو شيخها[7] ونوى العجوز ضرب من النوى يأكله العجوز للينه »[8] .

---

(١) تاج العروس « عَجَزَ »

(٢) تاج العروس « عَجَزَ » .

(٣) تاج العروس « عَجَزَ » .

(٤) تاج العروس بتصرف « عَجَزَ » وأساس البلاغة ص ٤٠٩ .

(٥) تاج العروس ذكرها كلها تقريباً مادة عجز ولسان العرب وتهذيب اللغة

(٦) القاموس المحيط « عَجَزَ »

(٧) تهذيب اللغة « عَجَزَ »

(٨) المحكم ١/ ١٨٠

٩ ـ عَجْزَاءُ « فَعْلاء »

يقال إمرأة عَجزاءُ ، إذا كانت عجيزتها ضخمة ، ولا يقال رجل أعْجَزُ وإنما يقال آلي »[١] والجمع عجيزان .

والْعَجْزَاء العظيمة العجز[٢] من النساء وقيل هي التي عَرُضَ بطنها وثقلت مأكمتُها فعَظُمَ عَجْزُهَا قَالَ :

هَيْفَـاءُ مُقْبِلَـةً عَجْـزَاءُ مُدْبِرَةً ثَمَّتْ فَلَيْسَ يُرَىَ في خَلْقِهَـا أَوَدُ[٣]»

والعَجْزَاءُ رَملة مرتفعة وفي المحكم « حَبْلٌ من الرمل »[٤] وفـي التهـذيب العجزاء من الرمال : حَبْلٌ مُرْتَفعٌ كأنَّه جِلـدٌ لَيْسَ بركام رمـل « ويقولـون عقـاب عجـزاء للقصيرة الذنـب »[٥] والتـي في ذنبهـا ريشـة بيضـاء أو ريشتان » .

قال إبن دريد وأنشد للأعشى :

وكأنَّمـا تَبِـع الصَّـوَارُ بشَخْصِها عَجْـزَاءُ تَرْزُقُ بالسُّلَـىً عِيَالِهَا[٦] .

١٠ ـ والعِجَـازُ : كَكِتـاب : عَقَـبٌ يشُـدٌّ به مقبض السَّيـف والعِجَـازَة : شبيه بالوسادة ، تشده المرأة على عجزها لتحسب أنها عجزاء[٧] .

قال الزبيدي : « العِجَازَةَ بهـاء : ما يُعَظَّـمُ به العجيزة وهـو شيء يشبـه الوسادة تشده المرأة على عجزها لتحسب أنَّها عجزاء وليست بها »[٨] .

---

(١) كتاب جمهرة اللغة ٢/ ٨٩ بتصرف ونحوه الصحاح ٢/ ٨٨٢ ومعجم مقاييس اللغة ٢/ ٢٣٢ .
(٢) القاموس المحيط مادة عَجَز المخصص ٢/ ٤٤ .
(٣) تاج العروس مادة عَجَز .
(٤) المحكم ١/ ١٨١ وتاج العروس « عَجَزَ »
(٥) القاموس المحيط عجز ونحوه الصحاح وتهذيب اللغة وتاج العروس
(٦) تاج العروس « عَجَزَ »
(٧) كتاب جمهرة اللغة ٢/ ٩٠
(٨) تاج العروس عَجَزَ والعجازة : « دائرة الطائر » وهي الإصبع التي وراء أشابعه .

ثانياً : الإعجاز في الإصطلاح الإجتماعي :

عندما نقف مع المعنى الإصطلاحي لكلمة « عَجزَ » وإشتقاقاتها المتباينة نلحظ أن هذا المدلول أخذ يميل إلى نوع من الإبهام إذ أننا لا نستطيع الدلالة على مفهومه إلا من سياق الكلام وإن كان المدلول الكلي يدل على الضعف . فمثلاً يقولون : « فلان عنده عجز » فلا يستطيع السامع أن يتبين هذا النوع من العجز إلا إذا أضيف لشيء معين إذ يتضح المعنى فيها ، فإن قلنا : فلان عنده عجز مادي ، أو عجز جسماني أو عجز عقلي ، إتضح المعنى للسامع والقارىء معاً . . كما نستخدم كلمة عجز في ميدان التجارة والإقتصاد إذ نسمع في بعض الأحايين أنه قد حدث عجز في الميزان الإقتصادي وعجز في وزارة المالية والتجارة .

ويطلق العامة مصطلح عاجز على الضرير الذي فقد بصره ، كما تطلق هذه الكلمة على الإنسان الذي لا يستطيع القيام بعمله إذ يقولون : فلان عَاجِزٌ عن عمل الشيء ، أو عاجز عن القيام بالواجب ، وقد حاول بعض الباحثين أن يضيفوا مصطلحات حديثة على بعض الكلمات في المعاجم العربية القديمة كما حدث في الصحاح للجوهري[١] وفي لسان العرب لإبن منظور[٢] وخاصة الملحق الرابع للكتاب ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى بعض الأقوال التي تخص ما نحن بصدده ، ونسبت هذه الآراء لمجمع اللغة العربية في مصر . قال العجز[٣]: عدم القدرة على أداء وظيفة ما ويكون عادة من جراء ضرر أو ضعف يلحق البنية وفقد القدرة البدنية والنقص في القدرة على العمل .

وعُرِّفَ العجز عند علماء الكلام بأنه أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي ودعوى[٤] النبوة يقصد به إثبات صدق من يدعي الرسالة » . والمعجزة بوجه عام

---

(١) تجديد الصحاح للجوهري ط بيروت .

(٢) لسان العرب لابن منظور ط يوسف خياط .

(٣) تجديد الصحاح للجوهري مج ١/ ٨١ بتصرف .

(٤) أنظر الإعجاز والمعجزة في الإصطلاح الديني والبلاغي ضمن هذا البحث .

ما يخرج عن المألوف ويبعث على الإعجاب فيقال « معجزة العلم » « ومعجـزة الفن » والحقيقة أن هذا الإطلاق قد تجاوز حدود المصطلح الإعجـازي في لغـة العرب . .

الخلاصة :

نلحظ أن الإعجاز لغةً وإصطلاحاً قد جاء متقارباً وذلك في بعض المعاني كالضعف والتثبيط والتقصير وما وقع في تلك الدائرة من معان .

كما خضع لمعان متباينة أشرت لمعظمها فيما سبق ، أما إطـلاق مصطلـح المعجزة في مجالات الآداب والفنون والعلوم وغير ذلك من مجالات الحياة ، فهو إطلاق جاء على سبيل المجاز لا الحقيقة ، وذلك لأن الإعجاز الحقيقي لا يستطيع البشر أن يقوم به فهو دونهم قاطبة ، لأنه وقف على الخالق العظيم وموهبة وعطاء منه جل جلاله ، وهبها للأنبياء وحدهم ، وهو الذي اختارهم واصطفاهم من بين الملايين من البشر ، والمعجزة لم تُعْطَ لغيرهم وهو سر من أسرار هذا الكون الرهيب وكانت آخر معجزة شرفت الأرض بنزولها هي معجزة القـرآن الـكريم نزلت على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

الباب الأول

دراسات العلماء في الإعجاز القرآني

الفصل الأول

المعجزة القرآنية

قبل أن نتحدث عن المعجزة القرآنية في مجال اللغة وخاصة الظاهرة النحوية نحب أن نقرر أن كل محاولة في دراسة الظاهرة الإعجازية تبقى دون الوصول إلى ما فيها لأنها تجاوزت كل طاقة إنسانية لمعرفة وتدبر سره الخلاق وسر تركيبه ونظمه . فأنّى لباحث أو عالم هذا الإدراك[1] .

قال تعالى : **﴿ ولو أنمًا في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعد ، سبعة أبحر ما نفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم ﴾**[2] . إننا في الحقيقة أمامَ كتابَ عظيم ، أمام إعجاز مذهب لا يستطيع البشر مهما أُوتي من علم وقدرة خارقة إلا أنْ قَقِفَ عاجزاً عن إدراكه مذهولاً ببيانه ، وفصاحته ، فهو بحر زاخر بالعلوم والأخلاق والفضيلة والعقيدة ورسم الحياة ، لا قرار له ولا ساحل ، لكنه محبب للنفس والقلب ، يهز الوجدان يبعث الطمأنينة والسكينة لمن قرأ فيه آية « أو سورة » وآمن بتعاليمه ، وعاش في كنفه وتحت ظلاله . إنه القرآن الكريم الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وجعلنا « أمة الإسلام » خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله ، وهذه الصفات من أسمى الصفات التي رسمها الخالق لهذه الأمة المختارة .

---

١ ـ معترك الأقران ١/ ١١

٢ ـ سورة لقمان آية ٧

قال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أنَّ لهم أجراً كبيراً ﴾ « الإسراء ٩ »

وأعترف بأنها محاولة تقوم على الإجتهاد سائلين الله الكريم أن نوفق بها أو ببعضها خدمةً لهذا الكتاب العظيم الذي أعجز العالم قاطبةً ، يتحدى البشر في كل زمان ومكان بأسراره الكونية وعلومه الباهرة وبيانه الساحر وفكره الأخاذ ورسمه لصورة واضحة للعدل والقصاص في كل شيء للخير والشر للحب والحياة إنه كما قال تعالى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ﴾[1] . وقوله تعالى ﴿ ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾[2] . إنه معجزة خالدة ثابتة حتى يوم القيامة ليس له « عصر » معين ولا زمن محدد إنه إعجاز خالد حتى تقوم الساعة ونقرر في هذا الشأن أن القرآن الكريم ليس معجزاً في ظاهرة من ظواهره فحسب كالإعجاز البياني أو الفكري أو الغيبي بل هو إعجاز في كل ما فيه من تركيب[3] .

في كل آية وفي كل كلمة وفي كل صيغة وفي كل خبر وفي كل سؤال في كل حرف في كل بناء فهو إعجاز مطلق في كل شيء نزولاً حفظاً جمعاً والمحافظة ليس من العرب أو المسلمين فحسب بل من الله حيث قال جل شأنه ﴿ إنا نحن نزلنا الذكور وإنّا له لحافظون ﴾[4] . وحاول بعض العلماء أن يحدد علوم القرآن إذ قال : « ذكر القاضي أبو بكر بن العربي في كتاب قانون التأويل » : « إن علوم القرآن خمسون علماً وأربعمائة وسبعة آلاف علم وسبعون ألف على عدد كلم القرآن مضروبة في أربعة »[5] .

وعندما نقف مع الرأي السابق ، نلحظ أنه في حاجة إلى تعديل لأن علوم القرآن لا تحصى وهي من نعم الله الكريم .

---

١ ـ النحل ٨٩

٢ ـ الانعام ٣٨

٣ ـ أنظر معترك الأقران في إعجاز القرآن ١ / ١ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٥٤ ، ٧٤ ، ٨٥ ، ٩٤ ، وما بعدها .
وج ٢/ ص ١٤ - ٢٧ - ٥٤ - ٧٤ - ٨٥ - ٩٤ - ١٠٨ - ١٢٦ - ١٦١ - ١٧١ - ١٨١ - ١٩٥ - ٢٠٧ - ٢١٧ - ٢٢٤ - ٢٢٩ - ٢٣٩ - ٢٤٠ - ٢٤٢ - ٢٤٤ - ٢٤٥ - وما بعدها .

٤ ـ سورة الحجر آية رقم ٩ .

٥ ـ البرهان في علوم القرآن ٢/ ١٠٦ ، ١٠٧ .

إذْ قَالَ تعالى : ﴿ وإن تعدّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾[١]. وقوله تعالى : « ونزّلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾[٢] وقيل : « لو أعطى العبد بكل حرف من القرآن ألف فهم لم يبلغ نهاية ما أودعه الله في آية من كتابه »[٣].

أما السيوطي فذكر علوم القرآن بإيجاز قال : « العلومُ التي احتوى عليها القرآن وقامت بها الأديان أربعة : علم الأصول ومداره على معرفة الله تعالى وصفاته وإليه الإشارة برب العالمين الرحمن الرحيم ومعرفة النبوات وإليه إشارة بالذين أنعمت عليهم ومعرفة المعاد وإليه الإشارة ملك يوم الدين وعلم العبادات وإليه الإشارة بإياك نعد وعلم السلوك وهو حمل النفس على الآداب الشرعية وإليه الإشارة بإياك نستعين أهدنا الصراط المستقيم وعلم القصص وهو الإطلاع على أخبار الأمم السالفة والقرون الماضية ليعلم المطلع على ذلك سعادة من أطاع الله وشقاوة من عصاه وإليه الإشارة بقوله صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين « فنبه في الفاتحة على جميع مقاصد القرآن وهذا هو الغاية »[٤].

أما المعجزة القرآنية فهي في الحقيقة جاءت لإعجاز البشر في الإتيان بمثل القرآن وقد تحدى الله الناس كافةً بالإتيان بسورة من مثله أو بعشر سور مثله . . قال تعالى :﴿ وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وأدعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين﴾[٥].

وقوله تعالى : ﴿ أم يقولون إفتراء قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا

---

١ ـ سورة إبراهيم آية ٣٤ .
٢ ـ سورة النحل آية ٨٩ .
٣ ـ البرهان في علوم القرآن ١/ ٩ .
٤ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٠٦ ، ١٠٨ بتصرف
٥ ـ سورة البقرة آية ٢٣ ، ٢٤ .

أنما أنزل بعلم الله وإن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون﴾[1] .

وقد تفنن بعض العلماء بتعريف الإعجاز القرآني قال القرطبي : « المعجزة واحدة » معجزات الأنبياء الدالة على صدقهم صلوات الله عليهم ، وسميت بمعجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها ، وشرائطها خمسة فإن اختل منها شرط لا تكون معجزة .

١ ـ أن تكون مما لا يقدر عليه إلا الله .
٢ ـ أن تخرق العادة .
٣ ـ أنْ يستشهد بها مدعي الرسالة على الله عز وجل .
٤ ـ أنْ تقع على وفق دعوى المتحدي بها المستشهد بكونها معجزة له .
٥ ـ ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة .

ولهذا قال الله تعالى :﴿ فأتوا بحديث مثله إن كنتم صادقين﴾[2]. وهذا القاضي عبد الجبار يقول في هذا الشأن : « أنه يتعذر على المتقدمين في الفصاحة فعل مثله في القدر الذي اختص به »[3]. كما بين تعذر المعارضة في القرآن[4] . قال السيوطي : « المعجزة في لسان الشرع أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي سالم عن المعارضة »[5].

---

١ ـ سورة هود آية ١٣ ، ١٤ .
٢ ـ الجامع لأحكام القرآن ١/ ٦١ ، ٦٢ بتصرف .
٣ ـ المغني في أبواب التوحيد ٦/ ٢٢٦ تحقيق أمين الخولي .
٤ ـ المغني في أبواب التوحيد ١٦/ ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٢ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ وما بعدها .
٥ ـ الإتقان ١/ ١١٦ ومقدمة إبن خلدون ص ٩٠ .

الفصل الثاني

معجزات الأنبياء

الحقيقة أن معجزات الأنبياء عليهم السلام تحتاج إلى مجلدات لتعريفها كَماً وكَيْفاً ، ولكننا نحب أن نشير إليها بشيء من الإيجاز .

عندما خلق الله هذه الدنيا وبعث آدم عليه السلام ، لنشر الحياة وأسكنه الجنة ، وطلب من الملائكة السجود له فسجدوا إلا إبليس الذي كان من الكافرين . وقد تحدث القرآن الكريم في ذلك إذ قال تعالى : ﴿ **وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** ﴾(البقرة ٣٤) ثم حدثت المخالفة لأمر الله والأكل من الشجرة المحرمة ثم الطرد من الجنة ، إذ قال تعالى في هذا الشأن : ﴿ **قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين** ﴾(الأعراف ٢٤) .

قا إبن قيم الجوزية حول هذه المسألة : « فإن الله سبحانه لما أهبط آدم أبا البشر من الجنة لما له في ذلك من الحكم التي تعجز العقول عن معرفتها والألسن عن صفاتها ، فكان إهباطه منها عين كماله ليعود إليه على أحسن أحواله ، فأراد سبحانه وتعالى أن يذيقه الدنيا وغمومها وهمومها »[١] .

ثم بدأ الخلق في التكاثر والعمران ولم يكن آدم عليه السلام في حاجة إلى معجزة لأن الخلق في عصره كان محدوداً ثم أرسل الله الأنبياء وبعثهم إلى أمم

١ ـ مفتاح دار السعادة لابن قيم الجوزية ١/ ٣ ونحوه فتح البيان في مقاصد القرآن ١/ ١١٤ ، ١١٥ .

محددة فأرسل الله إدريساً ثم نوحاً عليهما السلام .

ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى بعض المعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم على سبيل الإستشهاد لا على سبيل الحصر . ومن هذه المعجزات التي جاءت في القرآن الكريم معجزة نوح وسفينته ، وذلك بعد دعوة طويلة إستمرت تسعمائة وخمسين عاماً ، يدعو فيها قومه لعبادة الله عز وجل ، وترك الأصنام ، وينذرهم بعذاب أليم ، إذ قال تعالى : ﴿ **ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه فلبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً فأخذهم الطوفان وهم ظالمون**﴾[1] .

ويقول الزمخشري في هذا الشأن : « وكان عمر نوح عليه السلام ألفاً وخمسين سنة . . وعاش بعد الطوفان ستين[2] وبدأ نوح يدعو ربه ليساعده ويتوسل إليه قال تعالى :﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً** »[3] « **إنَّك إن تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً**﴾[4] .

ثم جاءت معجزة الطوفان وأمر الله نوحاً والمؤمنين معه بالركوب في السفينة[5] قال تعالى : « **وقال إركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح إبنه وكان في معزل يا بني إركب معنا ولا تكن مع الكافرين**﴿ **قال سآوي إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين** » **وقيل يا أرض إبلعي ماءك ويا سماء أقلعي وَغِيضَ الماء وقضي الأمر واستوت على الجودي وقيل بعداً للقوم الظَّالمين**﴾[6] .

---

١ ـ سورة العنكبوت رقم ١٤ .

٢ ـ الكشاف ٣/ ٤٤٥ والبحر المحيط ٤/ ٣١٩

٣ ـ سوزة نوح آية ٢٦

٤ ـ سورة نوح آية ٢٧

٥ ـ قال الثعالبي معقباً على قوله تعالى : « قال رب إني دعوت قومي ليلاً ونهاراً » هذه المقالة قالها نوح عليه السلام بعد طول عمره ويأسه من قومه تفسير الثعالبي ٤/ ٣٤٣ وانظر البحر المحيط ٥/ ٢١٤ حتى ٥٢١ .

٦ ـ سورة هود من الآية ٤١ ـ ٤٤ .

وعندما نقف مع المعجزة السابقة ، نلحظ أنها خارقة للقوانين العامة للطوفان ، حيث يحدث الطوفان لسبب معين كالفيضان ولعلو محدد إذ لا يعم الأرض كلها ولا يصل الماء إلى الأماكن العالية كقمم الجبال ولكنها معجزة الله لأنبيائه .

ويرى الجاحظ أنّ الله سبحانه وتعالى يأتي بالمعجزات متتالية على الأنبياء قال : « وضع الله لنا على رأس كل فترة علامة وعلى غاية كل مدة إمارة تعيد قوة الخير ويجدد ما قد هم بالدروس من أنباء المرسلين عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، لأن نوحاً عليه السلام هو الذي جدد الأخبار التي كانت في الدهر الذي بينه وبين آدم عليه السلام حتى منعها الخلل وحماها النقصان بالشواهد الصادقة والإمارات القادمة .

وليس لأن أخبارهم وحججهم قد كانت درست ، وأخلت بل حين همت بذلك وكادت ، بعث الله بآياته لئلا تخلو الأرض من حججه[1] .

ثم تحدث عن نوح عليه السلام وقال : « وإن نوحاً عليه السلام هو الذي جدد الأخبار التي كانت في الدهر الذي بينه وبين آدم عليه السلام وكانت آخر آيات نوح الطوفان الذي أغرق الله تعالى به جميع أهل الأرض[2] .

ثم تتوالى المعجزات على الأنبياء عليهم السلام ، وجاء هود إلى قوم عاد طالباً هدايتهم داعياً للإيمان بالله عز وجل ، إلا أنهم أبوا ذلك ، فوعدهم بعذاب من ربه ولم يستمعوا لندائه بل زادوا ضلالاً وجاء وعد الله فأرسل عليهم عذابه الشديد » .

قال تعالى : ﴿ فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون ﴾ ﴿ فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحساتٍ لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة

---

١ ـ رسائل الجاحظ « حجج النبوة ص ١٣٣ ، ١٣٤ بتصرف .
٢ ـ رسائل الجاحظ حجج النبوة ص ١٣٤ بتصرف وتفسير ابن كثير ٣/ ٥٥٠ ، ٥٥١ وما بعدهما .

الدنيا وبعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾[1] وتحدث القرآن الكريم عن المدة الزمنية لهذه العاصفة قال : **﴿ سخرها عليهم سبع ليالٍ وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية﴾**[2].

وجاء بعد ذلك صالح عليه السلام إلى ثمودَ وجاء لهم بمعجزة مادية وهي الناقة إلا أنهّم ما لَبِثُوا أن ضلوا بطغيانهم وجبروتهم . قال تعالى :**﴿ كذبت ثمود بطغواها ، إذ انبعث أشقاها ، فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ، ولا يخاف عقباها ﴾**[3].

ثم أرسل الله إبراهيم عليه السلام لينذر قومه بترك عبادة الأصنام والإيمان بالله عز وجل ، إلا أن قومه لم يستمعوا إلى دعوته ولنقف مع قوله تعالى في نقل الحوار الذي دار بين إبراهيم وقومه في هذا الشأن : **﴿وأتل عليهم نبأ إبراهيم إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون . قالوا نعبد أصناماً فنظل لها عاكفين ، قال هل يسمعونكم إذ تدعون أو ينفعونكم أو يضرون . قالوا بل وجدنا آباءنا كذلك يفعلون . قال أفرأيتم ما كنتم تعبدون . أنتم وآباؤكم الأقدمون فإنهم عدو لي إلا رب العالمين الذي خلقني فهو يهدين . والذي هو يطعمني ويسقيني . وإذا مرضت فهو يشفينِ . والذي يميتني ثم يحيينِ . والذي أطمع أن يغفر لي خطيئتي يوم الدين ﴾**[4].

فما كان من إبراهيم عليه السلام إلا أن يحطم أصنامهم وأثبت لهم أنها لا تنفع ولا تضر ، وهي عبارة عن حجارة صمّاء وعندما أرادوا عقابه جاءته المعجزات الربانية متلاحقة خاصة عندما أرادوا حرقه إذا قال تعالى : **﴿ قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم ﴾**[5] ويرى أحد العلماء أن الإعجاز في ذلك هو أن

---

١ ـ سورة فصلت آية ١٥ ـ ١٦ وانظر البحر المحيط ٤/ ٣١٩

٢ ـ سورة الحاقة آية ٧ .

٣ ـ سورة الشمس آية ١١ ـ ١٥ انظر البحر المحيط ٤/ ٣٢٧ حتى ٤٣٠

٤ ـ سورة الشعراء ٦٩ ـ ٨٢ وانظر تفسير إبن كثير ٥/ ١٨٧ واكشاف ٣/ ٣١٧

٥ ـ سورة الأنبياء آية ٦٩

تتعطل خاصية الإحراق ، وتقف قوانين الكون عاجزةً أمام قدرة الله وتقف آلهتهم عاجزةً على أن تقول يا نار إحرقي من حطمنا[1] .

ويرى إبن قيم الجوزية أن الله سبحانه وتعالى أعطى الأنبياء عليهم السلام قوة المجادلة ، والصبر حتى يصلوا لما يريدونه وقال في هذا الشأن : « عندما إتهم المشركون إبراهيم عليه السلام بمعرفة التنجيم وإنه كان يتعاطى علم النجوم ، ويأخذ منه أحكام الحوادث ، سبحانك هذا بهتان عظيم وكان إبراهيم عليه السلام ينظر إلى النجوم ليصل إلى هدفه » .

ومثل ذلك يوسف عندما بدأ المفتش بأوعية إخوته مع علمه أنه ليس فيها وأخر دعاء أخيه مع علمه أنه فيها »[2] قال تعالى مصوراً ذلك المشهد : ﴿ **فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه في دين الملك إلاّ أن يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذي علم عليم قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل فأسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكاناً والله أعلم بما تصفون** ﴾[3] .

وتأتي معجزة إبراهيم خارقة عندما طلب من ربه أن يرى إحياء الموتى فكان له ذلك . قال تعالى : ﴿ **وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم إجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم إدعهن يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم** ﴾[4]. ونلحظ أن إبراهيم عليه السلام قد إقترنت رسالته بذكر تنزيل الصحف عليه قال تعالى : ﴿ **إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى** ﴾[5] وحدد الزمخشري صحف إبراهيم بعشر فقط قال : روى عن أبي ذر

---

١ ـ معجزة القرآن ص ٨ للشيخ محمد متولي شعراوي .
٢ ـ مفتاح دار السعادة ٢/ ١٩٧ ، ١٩٨ بتصرف وإحياء علوم الدين ٢/ ٢٨٥
٣ ـ سورة يوسف آية ٧٦ ، ٧٧ .
٤ ـ البقرة آية ٢٦٠
٥ ـ الأعلى آية ١٨ ـ ١٩

رضي الله عنه أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم كم أنزل الله من كتاب ؟ فَقَالَ : مائةٌ وأربعةُ كتب ، منها على آدم عشر صحف وعلى شعيب خمسون صحيفةً وعلى أخوخ وهو إدريس ثلاثون صحيفة وعلى إبراهيم عشر صحف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان » وقيل إن في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه »[1] .

وهذا موسى عليه السلام إذ جاء لقومه يدعوهم للإيمان قال تعالى : ﴿ **نتلوا عليك من نبأ موسى وفرعون بالحق لقوم يؤمنون إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يستضعف طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم في الأرض نري فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون** ﴾[2] .

ونرى الإعجاز واضحاً في نشأة موسى عليه السلام منذ ولادته حتى مماته فاسمع لقوله تعالى : ﴿ **وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين وقالت إمرأة فرعون قرة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون وأصبح فؤاد أم موسى فارغاً إن كادت لتبدي به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وقالت لأخته قصيه فبصرت به على جنب وهم لا يشعرون وحرمنا عليه المراضع من قبل فقالت هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم وهم له ناصحون فرددناه إلى أمه كي تقر عينها ولا تحزن ولتعلم أن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون** ﴾[3] .

---

١ ـ الكشاف ٤/ ٧٤١ وانظر فتح البيان في مقاصد القرآن ١/ ١٤٠ إذ قال : « وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان » الكتاب بالإجماع وانظر تفسير البيضاوي ص ٧٩٥ وتفسير إبن كثير ٥/ ١٨٧ .

٢ ـ القصص آية ٣ ـ ٦

٣ ـ القصص آية ٧ ـ ١٣

وعندما أصبح موسى عليه السلام شاباً أراد الله أن ينجيه من الموت وذلك في رأينا إعجاز أيمّا إعجاز ـ .

﴿ وجاء رجلٌ من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين فخرج منها خائفاً يترقب قال رب نجني من القوم الظالمين﴾[1] . وعندما عاد إلى مصر وفرعون كان واثقاً بقدرة الله على النصر وكانت معجزته في ذلك قاطعة حيث أخرس السحرة وبعضاً من قومه ويصور الخالق العظيم ذلك في قوله تعالى »**﴿ وما تلك بيمينك يا موسى قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حية تسعى قال خذها ولا تخف سنعيدها سيرتها الأولى واضمم يدك إلى جناحك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى لنريك من آياتنا الكبرى﴾**[2] .

وعندما ضاق موسى عليه السلام ذرعاً بفرعون وعمله كانت المعجزة الكبرى وهي إنشقاق البحر أمام موسى وقومه . ولنقف مع قوله تعالى مصوراً عاقبة فرعون وقومه ومعجزة موسى عليه السلام في هذا الشأن : **﴿ ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى . فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه وما هدى ﴾**[3] .

وهذه الدكتورة عائشة عبد الرحمن تقول في هذا الشأن : « أن معجزات الأنبياء سايرت تدرج البشرية في مراحل تطورهامن قديمها البدائي إلى عصر رشد الإنسان : فلقد نلحظ أن موسى عليه السلام تلقى رسالته وقد آن للبشرية أن

---

١ ـ سورة القصص اية ٢٠ ـ ٢١ ينظر في هذا الشأن تفسير إبن كثير ٣/ ٢٠٣ رج ٤/ ٤٩٧ والبحر المحيط ٥/ ٣٥٧ والكشاف ٣/ ٣٩١ ، ٣٩٣ وروى إبن كثير في البداية والنهاية ١/ ٢٨٣ « وفي الكتب المتقدمة إن الله قال يا موسى لن يراني حي إلا مات ولا يابس إلا تهدم .

٢ ـ سورة طه آية ١٧ ـ ٢٣

٣ ـ سورة طه آية ٧٧ ـ ٧٩

تجاوز عصر السحر فكانت معجزته التي غلبت أفانين السحرة في زمنه وتحَـدَتْ براعةَ المهرةِ منهم ليؤ منَ أن ما جاء به « موسى » ، ليس في طاقة البشر ويصدقوا بنبوته فيهديهم برسالته إلى عصر جديد .

ولكن اليهود ما لبثوا أن زيفوا الرسالة الموسـوية وحرفـوا كلمات الله عن مواضعها ، « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون »[1] .

ومضى حينٌ من الدهر ضجت البشرية فيه من شر العصابـات من يهـود وتزييفهم رسالة نبيهم فكانوا كما قال الله فيهم : **﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً ، بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾**(الجمعة ٥) .

وتتوالى المعجزات على الأنبياء عليهم السلام وذكر الله العظيم أسماء الكتب السماوية فنزلت التوراة على موسى عليه السلام وقيل أن معنى التوراة النـور أو الضياء[2] .

قال إبن قتيبة : « فإن الفراء يجعلها من ورى الزند يرى إذا خرجت ناره يريد أنها ضياء »[3] . قال تعالى : **﴿ إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور « يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا ﴾**[4] وهذا داوود عليه السَّلامُ فَقد وهَبَه الله الحكمة قال تعالى : **﴿ ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا أفرغ علينا صبراً وثبت أقدامنا وأنصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وأتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ﴾**[5] . وأعطاه من المعجزات بأن تسبح له الجبال

---

١ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ٤٨ .
٢ ـ تفسير غريب القرآن لابن قتبة ص ٣٦ .
٣ ـ تفسير غريب القرآن ص ٣٦ .
٤ ـ سورة المائدة آية ٤٤ وانظر الكشاف ١/ ٦٣٦
٥ ـ سورة البقرة آية ٢٥٠ ـ ٢٥١

والطير وتلين الحديد له إذ قال بعض المفسرين أنَّ الحَديد كَانَ في يده كالشمع . وإعطائه الحكمة وتعليمه منطق الطير[1] .

قال تعالى في سورة سبأ ١٠ ـ ١١ **﴿ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوبي معه والطير وألنَّا الحديد أن أعمل سابغات وقدر في السرد وأعملوا صالحاً إني بما تعملون بصير﴾** وقال تعالى في سورة ص ١٧ ـ ٢٠ **﴿إصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق والطير محشورة كل له أواب وشددنا ملكه وأتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾** .

وقوله تعالى في سورة النمل (١٥ ـ ١٦) **﴿ولقد أتينا داود وسليمان علماً قالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين وورث سليمان داود وقال يأيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين﴾** .

كما ذكر الله تعالى إسم الكتاب الذي أنزله على داود عليه السلام وهو الزبور قال تعالى : « **وآتينا داود زبوراً** »[2] .

قال صاحب تفسير غريب القرآن : « الزبور هو بمعنى مكتوب من » زَبَرَ الكتاب يزبره إذا كَتَبه وَهُوَ بِمَعْنى فَعُولٌ بمعنى مفعول .

كما يقال : « جلوب وركوب في معنى مجلوب ومركوب »[3] .

وقد حاول الزمخشري أن يوضح بين ما جاء من قوله تعالى « زبور والزبور » أي معرفاً بالٍ وبدونها قال : « يجوز أن يكون الزبور وزبور كالعباس وعباس والفضل وفضل »[4] .

وتحدث القرآن الكريم عن سليمان عليه السلام وعن المعجزات التي وهبها

---

١ ـ تفسير البيضاوي سورة سبأ آية ١٠
٢ ـ سورة النساء آية ١٦٣
٣ ـ تفسير غريب القرآن ص ٣٦
٤ ـ الكشاف ٢/ ٦٧٣

الله إليه . . وقد طلب سليمان من ربه مطالب كبيرة قال تعالى : ﴿ **قال رب إغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب** ﴾[1] وقد استجاب الله عز وجل إلى طلبه وأنعم الله عليه من نعمه فأنعم عليه بالعلم : « **ولقد آتينا داود وسليمان علماً** »[2] فقد سخر له الريح تسير بأمره وهذا إعجاز لا نظير له في القوانين الوضعية ، قال تعالى : ﴿ **ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره إلى الأرض التي باركنا فيها وكنا بكل شيء عالمين** ﴾[3] وحكم الجن والطير قال تعالى : ﴿ **وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون** ﴾[4] فهذا إعجاز أيما إعجاز[5] . ومن المعجزات التي ذكرها القرآن الكريم معجزة يونس عليه السلام حيث إبتلعه حوت ثم ألقاه بعد ذلك على الشاطىء .

واستمع لقوله تعالى لترى المعجزة واضحة قال تعالى في سورة الصافات : ﴿ **وإن يونس لمن المرسلين إذ أبق إلى الفلك المشحون فساهم فكان من المدحضين فالتقمه الحوت وهو مَليمٌ فلولا أنه كان من المسبحين للبث في بطنه إلى يوم يبعثون فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتعناهم إلى حين** ﴾ . الصافات (١٣٩ ـ ١٤٨)

أما عيسى عليه السلام فقد كانت حياته مليئة بالمعجزات الإلهية منذ حمله حتى ولادته في حله وترحاله . ولنقف مع قوله تعالى مصوراً تلك المعجزات[6] ﴿ **إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه . . اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك**

---

١ ـ سورة ص آية ٣٥

٢ ـ سورة النمل ١٥

٣ ـ سورة الأنبياء ٨١

٤ ـ سورة النمل ـ آية ١٧

٥ ـ أنظر قصص الأنبياء ص ٣٦١ وما بعدها

٦ ـ آل عمران ٤٥ ـ ٤٨ وانظر تفسير إبن كثير ٢/ ٤٠ ومج ٣/ ٥٥ ومج ٤/ ٤٤٣ وروح المعاني ٥/ ٢ والبحر المحيط ٣/ ٣٩٠ ، ٣٩١ والكشاف ١/ ٢٦٢ ، ٢٦٣

الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل﴾[1]

وقال تعالى: ﴿ واذكر في الكتاب مريم إذا انتبذت من أهلها مكاناً شرقياً فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقياً. قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً زكياً قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً قال كذلك قال ربك هو عليّ هين ولنجعله آية للناس ورحمة منا وكان أمراً مقضياً﴾[2].

ثم جاءت المعجزة عند ولادته فكيف لامرأة أن تهز النخلة القوية ليتساقط التمر فوقها وهي في حالة الولادة والإعياء أنها معجزة الله لأنبيائه. قال تعالى:

﴿ فحملته فانتبذت به مكاناً قصياً، فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسياً منسياً، فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سرياً، وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً، فكلي واشربي وقري عيناً فإما ترين من البشر أحداً فقولي إني نذرت للرحمن صوماً فلن أكلم اليوم إنسياً﴾[3].

ثم جاء المولود ومعه المعجزة التي أخرست كل الفرقاء الذين ظنوا بمريم عليها السلام الظنون فتكلم الصبي وهو في المهد، يا لها من معجزة الخالق العظيم فاقرؤوا قوله تعالى: ﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئاً فرياً، يا أخت هارون ما كان أبوك إمرأ سوء وما كانت أمك بغياً، فأشارت إليه قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبياً، قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبياً، وجعني مباركاً أينما كنت وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حياً، وبراً بوالدتي ولم يجعلني جباراً شقياً والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث

---

١ ـ الإنجيل من نجلت الشيء إذا أخرجته وولد الرجل نجله تفسير غريب القرآن ص ٣٦
٢ ـ مريم ١٦ ـ ٢١
٣ ـ مريم ٢٣ ـ ٢٦

حياً﴾[1] .

وأضحى عيسى عليه السلام شاباً نبياً والله يرعاه ويحميه ويؤ يده بمعجزاته كإحياء الموتى وشفاء الأكمة والأبرص ، قال تعالى : **﴿إذ قال الله يا عيسى إبن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلاً ، وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرىء الأكمة والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين﴾**[2] .

وقال تعالى : **﴿ولما جاء عيسى بالبينات قال قد جئتكم بالحكمة ولأبين لكم بعض الذين تختلفون فيه فاتقوا الله وأطيعون إنَّ الله هو ربِّي وربُّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم﴾**[3] .

وعقبت بنت الشاطىء على رسالة عيسى عليه السلام : « حتى تلقى عيسى عليه السلام » رسالته وقد آن للبشرية أن تنتقل من عصر عبادة الأبطال البديل لعصر تعدد الآلهة ، وإذ كانت البطولة في ذلك الزمن تقترن بالخوارق جاءت معجزة المسيح الخارقة لكي يؤ من الناس بنبوته المؤ يدة بما يجاوز خوارقهم البطولية فيتبعوه وهو يخلصهم من عبادة الأبطال ويهديهم إلى التوحيد لكن معجزة المسيح الخارقة ما لبثت أن التبست على كثير من أتباعه فقالوا بألوهيته وهو الذي بعث لينسخ عصر الشرك وعبادة البشر ويدعو إلى عبادة الخالق وحده[4] .

وعندما نقف مع معجزات الأنبياء عليهم الصلاة والسلام نلحظ أن هذه المعجزات ما هي إلا خوارق لنواميس الحياة لا تمت لصنع البشر مطلقاً إنما هي من الوهاب العظيم » .

---

١ ـ مريم ٢٧ ـ ٣٣

٢ ـ المائدة آية ١١٠

٣ ـ الزخرف ٦٣ ـ ٦٤

٤ ـ الإعجاز البياني ص ٤٨

الفصل الثالث

آراء العلماء

تحدثنا في الفصل السابق عن الإعجاز لدى الأنبياء السابقين لمحمد عليهم الصلاة والسلام ، وبينا أن المعجزات السابقة كانت مناسبةً لعصر كل نبي وانتهت في حينها ، أما معجزة محمد عليه السلام فهي معجزة خالدة أبدَ الدهر فَهِي معجزةُ القرآن الكريم نظماً وفكراً وحياةً وتاريخاً ومستقبلاً وإن الله لحافظه حتى يوم القيامة قال تعالى : ﴿ **إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون** ﴾[1] .

قال الزمخشري : « إنا نَحْنَ ، فأكد علَيهم أنه هو المنزل على القطع والبتات ، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد صلى الله عليه وسلم وبين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل وبلغ محفوظاً من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فإنه لم يتول حفظها ، وإنما إستحفظها الربانيين والأحبار فاختلفوا فيما بينهم فكان التحريف »[2] .

وعقب الزمخشري حول قوله تعالى : ﴿ **ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض آتينا داود زبوراً** ﴾ قال إشارة إلى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله « **وآتينا داود زبوراً** » دلالة على وجه تفضيله ، وهو أنه خاتم الأنبياء وأن أمته خير الأمم لأن ذلك مكتوب في زبور داود قال الله تعالى : ﴿ **ولقد كتبنا في**

---

١ ـ سورة الحجر آية ٩

٢ ـ الكشاف ٢/ ٥٧٢

الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ﴾ وهم محمد وأمته »[1] .

أما البيضاوي فقد قال في هذا الشأن : « يريد الله بالفضائل النفسانية والتبرىء من العلائق الجسمانية لا بكثرة الأموال والإتباع حتى داود شُرِّفَ بما أوحى إليه من الكتب لا بما أوتيه من الملك وقيل هو إشارة إلى تفضيل رسول الله عليه السلام وقوله : ﴿ آتينا داود زبوراً ﴾ تنبيه على وجه تفضيله وهو أنه خاتم الأنبياء وأمته خير الأمم » .

أما السيوطي فقد قال : « وأكثر معجزات بني إسرائيل كانت حسية لبلادتهم وقلة بصيرتهم وأكثر معجزات هذه الأمة عقلية لفرط ذكائهم وكمال إفهامهم ولأن هذه الشريعة لما كانت باقية على صفحات الدهر إلى يوم القيامة خصت بالمعجزة العقلية الباقية ليراها ذوو البصائر »[2] .

إنَّ القرآن الكريم يختلف عن الكتب السماوية السابقة من حيث التخصيص لأمة معينة أو لشعب محدد بل جاء القرآن للعالم قاطبةً رحمةً بهم من عذاب أليم قال تعالى ﴿ وما أرسلناك إلا كافةً للنَّاس بشيراً ونذيراً ﴾[3] .

وقوله تعالى : ﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾[4] . وجاء بلغة عربية تشريفاً لها وتقديساً ، إذ جعلها لغة خالدة حية بين النفوس يرددها الملايين من البشر كل حين وقد يشرف من لفظها ويقرأ بها أو من يتقرب إليها » .

قال المبرد : « وإنما يقال بنو فلان أفصح من بني فلان أي أشبه لغة بلغة القرآن »[5] .

---

١ ـ الكشاف ٢/ ٦٧٣ وتفسير ابن كثير ٣/ ٢٣٤
٢ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٨
٣ ـ سورة سبأ ٢٨
٤ ـ سورة الأنبياء ١٠٧
٥ ـ الفاضل ص ١١٣ للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمني ط دار الكتب

كما لم يجز العلماء قراءة القرآن إلا بالعربية قال أحمد بن فارس : « وجه لقول من يجيز قراءة القرآن في صلاته بالفارسية لأن الفارسية ترجمة غير معجزة »[1] .

العلماء والإعجاز :

لم يختلف أحد من المؤمنين على أن القرآن هو المعجزة الحقيقية لمحمد عليه السلام ، جاء بها للعرب خاصة والعالم عامة ، وجاء ذلك واضحاً في آيات التحدي بأن يأتوا بسورة من مثله كما قال تعالى : **﴿وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله ، وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين﴾** (سورة البقرة ٢٣) . ثم زاد التحدي ، قال تعالى : **﴿قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات﴾** (هود ١٣) وكان التحدي عاماً بمعنى أنه جاء لكل من دَبَّ على هذه الأرض من الإنس والجن مَعاً » .

وقال سبحانه : **﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً﴾** (الإسراء ٨٨) .

آمن العلماء بالقرآن كمعجزة حقيقية وبدأوا يبحثون عن أوجه إعجازه ، ونحن نقرر في هذا الشأن بأن العلماء لم يصلوا إلى معرفة أسرار الإعجاز الحقيقية ، مهما أتوا من العلم والمعرفة وإنما جاءت دراساتهم مبينة لجزء يسير من إعجازه لأن القرآن الكريم كتاب معجز خارقٌ للعادات والقوانين الكتابية ، فهو معجز في كل نبرة وحرف وكلمة مركبة في آياته وجمله وفي حديثه عن المستقبل ، وحديثه عن الماضي وحديثه عن الحاضر وحديثه عن النفس وأسرارها يقتحم القلبَ ويهز الوجدانَ يبعث الطمأنينة والسكينة لمن قرأ فيه ، أو سمع آياته أو تقرب إليه أو عاش في كنفه ، أو تحت ظلاله ، إنه قرآننا العظيم الذي أخرجنا من

---

١ ـ الصاحبي ص ٥٩

الظلمات إلى النور ، وجعلنا خير أمة أخرجت للناس ، تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر ، يبهر سامعه بأسلوبه الأخاذ ، وبلاغته ونظمه وقد يعجز القلم عن كتابة وصف حقيقي في ذكر الصفات الخلاقة لبيان إعجازه .

قال ابن سراقه : « إختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواباً وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معاشره »[1] . وهذه عالمة جليلة تقول : « من إعجاز القرآن أن يظل مطروحاً على الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل ثم يظل أبداً رحب المدى سخي المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء مطمع ، عالياً يفوت طاقة الدارسين »[2] .

وتحدثت الدكتورة عائشة عبد الرحمن عن تاريخ الدراسات التي تخص الإعجاز فقالت : « في القرن الثالث للهجرة ، كانت البيئة الإسلامية تموج بأقوال في الإعجاز أخذت وضعاً حاداً في صراح الفرق الإسلامية فانتصر أعلام كل فرقة لرأيهم تصدوا لنقض آراء مخالفيهم . ولم تنفرد قضية الإعجاز في أول الأمر بالبحث والنظر وإنما عولجت مع غيرها من القضايا التي احتدم فيها الكلام وتجادلت الفرق ، وبخاصة تلك التي تتصل بالنبوة والمعجزة ، كالذي في (تأويل مشكل القرآن) لابن قتيبة و(مقالات الإسلاميين) لأبي الحسن الأشعري و(حجج النبوة للجاحظ) و(الانتصار) لأبي الحسن الخياط الذي نقض كتب « ابن الراوندي » ومنها (الزمرد) في إبطال الرسالة ، والدافع والفريد) في الطعن على نظم القرآن .

أو تناولها المفسرون في سياق التفسير كالذي في (جامع البيان) للطبري

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٢١ ، ١٢٢

٢ ـ الإعجاز البياني ص ١٥ بنت الشاطىء وانظر مقدمة تفسير شبر لمحمد جواد النجفي ص ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، ١٣ . إذ يرى أنه معجز من وجهة التاريخ والإحتجاج والإستقامة والسلامة من الإختلاف والتناقض والتشريع العادل ونظام المدنية والأخلاق وعلم الغيب . وتفسير المنار ج ١/ ١٩١ وما بعدها حتى ٢٢٩ .

و(مجاز القرآن) لأبي عبيده و(معاني القرآن) للفراء . على أن القضية لم تلبث أن إستقلت بالتأليف المفرد : « ففي القرن الثالث ظهرت كتب في الإعجاز تحمل في الغالب عنوان (نظم القرآن) وللجاحظ (ت ٢٢٥ هـ) كتاب بهذا الإسم لم يصل إلينا . وإن كان الجاحظ أشار إليه في كتابه (الحجج) كما أشار إليه الباقلاني في كتاب (إعجاز القرآن)»[1] .

ويقول الرافعي في هذا الشأن « بيد أن أول كتاب وضع لشرح الإعجاز ويبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف ، إنما هو فيما نعلم كتاب (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة ٣٠٦ هـ وهو كتاب شرحه عبد القاهر الجرجاني شرحاً كبيراً سماه المعتضد ، وشرحاً آخر أصغر منه ولا نظن الواسطي بنى إلا على ما إبتدأه الجاحظ ، كما بنى عبد القاهر في (دلائل الإعجاز) على الواسطي ، ثم وضع أبو عيسى الرماني المتوفي سنة ٣٨٢ هـ كتابه في الإعجاز فرفع بذلك درجة ثالثة ، وجاء القاضي أبو بكر الباقراني المتوفي سنة ٤٠٣ فوضع كتابه المشهور (إعجاز القرآن) الذي أجمع المتأخرون من بعده على أنه باب في الإعجاز على حده والغريب أنه لم يذكر فيه كتاب الواسطي ولا كتاب الرماني ولا كتاب الخطابي الذي كان يعاصره وسنشير إليه وأومأ إلى كتاب الجاحظ بكلمتين لا خير فيهما فكأنه هو إبتدأ التأليف في الإعجاز بما بسط في كتابه واتسع وفي ذلك ما يثبت لنا أن عهد هذا التأليف لا يرد في نشأته إلى غير الجاحظ »[2] .

ويمكن لنا أن نقسم أوجه الإعجاز في القرآن الكريم كما جاءت في دراسة العلماء إلى قسمين وإن تداخلت بعض الأوجه إلى حد ما .

القسم الأول : إعجاز أسلوبي

ذهب أكثر العلماء إلى القول بأن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم تعود إلى

---

١ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٥ .

٢ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص :١٧ ، ١٧١ ونحوه مقدمة إعجاز القرآن للباقلاني ص ١٠

أسلوبه الباهر لما فيه من النظم والتأليف والترصيف والفصاحة وعذوبة الأسلوب ، ولهذا ترى البليغ ينقحُ القصيدة أو الخطبةَ حولاً ثم ينظر فيها فيغير فيها وهَلُمَّ جرّا .

وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظه ثم أدير لسان العرب على لفظة أحسن منه لم يوجد[٢] .

القسم الثاني : إعجاز كلي خارج عن طاقة البشر :

يرى أصحاب هذا الرأي أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم هو إعجاز كُليٌّ فكري بلاغي بياني . الخ خارج عن نطاق البشر كافة وأنه يدرك ولا يمكن وصفه وكونه خارجاً عن جنس كلام العرب من النظم والنثر والخطب والشعر مع كون حروفه في كلامهم ومعانيه في خطاباتهم وألفاظه من جنس كلماتهم »[١] .

ونحب أن نبين في هذه الدراسة أننا قمنا بالتقسيم السابق قياساً على الغالب في المواضيع البيانية بمعنى أن التداخل قد يكون واضحاً في مسائل الإعجاز إلا أننا جنحنا إلى التحقيق والتنظيم حتى يتيسر للقارىء الإطلاع على أفكار العلماء في أوجه الإعجاز البياني ونود أن نشير إلى آرائهم بشيء من التفصيل » .

أولاً : أصحاب الرأي الأول[٢] :

بينا فيما سبق أن الدراسات حول الإعجاز القرآني قد جاءت متباينة ، ويمكننا حصرها في إتجاهين ، إتجاه يرى أصحابه أن أوجه الإعجاز في القرآن

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٨ بتصرف .
٢ ـ الإتقان ٢/ ١٢٠ بتصرف
٣ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٦٧ ذهب بعض العلماء ـ وهم قلة إلى القول بالإعجاز بالصرفة (قال إبن منان في سر الفصاحة ص ٩١ وإذا عدنا إلى التحقيق ، وجدنا وجه إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون من المعارضة في وقت مرامهم ذلك »

الكريم هو إعجاز بياني يعود إلى نظم القرآن وأسلوبه وبلاغته ومعانيه ونود أن نشير إلى آراء العلماء مرتبة ترتيباً زمنياً .

١ ـ رأي الجاحظ المتوفي ٢٥٥ هـ

لم يفرد الجاحظ كتاباً خاصاً بالإعجاز بل تحدث عن إعجاز القرآن الكريم في رسالته : « حجج النبوة » وفي أجزاء يسيرة من كتبه الأخرى كما تحدث عن سبب تأليفه للحجج قال : « والذي دعانا إلى تأليف حجج النبوة ونظمها وجمع وجوهها وتدوينها أنها متى كانت مجموعة منظومة نَشِطَ لحفظها وتفهمها من كان عسى أن لا ينشط لجمعها ولا يقدر على نظمها وجمع متفرقها وعلى اللفظ المؤثر عنها[١] .

ويرى أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في نظمه وفصاحته قال : « لأن رجلاً من العرب لو قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم سورةً واحدة طويلة أو قصيدة لتبين له في نظامها ومخرجها وفي لفظها وطبعها أنه عاجز عن مثلها ، ولو تحدى بها أبلغ العرب لظهر عجزه عنَّها وليس ذلك في الحرف والحرفين والكلمة والكلمتين .

ألا نرى أن الناس قد كان يتهيأ في طباعهم ويجري على ألفهم أن يقول رجل منهم « الحمد لله » وإنا لله ، وعلى الله توكلنا وربنا الله ، وحسبنا الله ونعم الوكيل وهذا كله في القرآن غير أنه متفرق غير مجتمع ولو أراد أنطق الناس أن يؤلف من هذا الضرب سورة واحدة طويلة أو قصيرة على نظم القرآن وطبعه وتأليفه ومخرجه لما قدر عليه ، ولو إستعان بجميع قحطان ومعد بن عدنان[٢] .

---

١ ـ رسائل الجاحظ « حجج النبوة » ص ١٢٣ وما بعدها وانظر إعجاز القرآن الكريم للرافعي ص ١٧٠ بتصرف

٢ ـ رسائل الجاحظ « حجج النبوة » ص ١٢٠ وانظر تفصيلاً لرأي الجاحظ في (إعجاز القرآن) لعبد الكريم الخطابي ص ١٣٤ وما بعدها والإعجاز البياني لبنت الشاطىء ص ١٦٠ وما بعدها .

٢ ـ رأي الخطابي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ :

تحدث أبو سليمان الخطابي عن إعجاز القرآن في كتاب أسْماهُ « كتاب بيان إعجاز القرآن » ، وقد تحدث محقق الكتاب عن رسالة الخطابي ومنهجه في إعجاز القرآن قال : « في هذه الرسالة يقرر الخطابي أن الناس قديماً وحديثاً ذهبوا في الموضوع كل مذهب من القول ولم يصدروا عن رأي . ويناقش فكرة الصرفة ، وفكرة تضمن القرآن للأخبار المستقبلة ، ولا يرتضيها شرحاً لأسرار الإعجاز ثم ينتقل إلى موضوع البلاغة ، ويعيب على القائلين بها إعتمادهم على التقليد وعدم تحقيقهم وقصور كلامهم عن الإقناع . ويعالج هو الموضوع على طريقته فيذكر الأقسام الثلاثة للكلام المحمود . ويقرر أن بلاغات القرآن قد أخذت من كل قسم من هذه حصة ومن كل نوع شعبة ، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الضخامة والعذوبة وهما على الإنفراد في نعوتها كالمتضادين لذلك كان إجتماعهما في نظم القرآن فضيلة خَصَّ بها يسرها اللطيف الخبير لتكون آية بينة لنبيه وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة وأوضاعهم ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جمع النظوم التي بها إئتلافها وارتباطها بعضها ببعض وإنما صار القرآن معجزاً لأنه جاء بأفضح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أصح المعاني من توحيد وتحليل وتحريم . . إلخ . ومعلوم أن الإتيان بمثل هذه الأمور والجمع بين أشتاتها حتى تنتضم وتنسق أمر تعجز عنه قوى البشر .

وعمود البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به . ومن هنا كاع القوم وجبنوا عن معارضة القرآن لما قد كان يؤ ودهم ويتصعدهم منه[1] . ونحب أن نقف قليلاً مع بعض ما جاء في رسالته عن الإعجاز النظمي للقرآن الكريم .

---

١ ـ مقدمة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم ص ١١ ، ١٢ وانظر الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٩ وما بعدها ، وانظر الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٢٠

قال الخطابي : « وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور : منها أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية (وبألفاظها) التي هي ظروف المعاني والحوامل ، ولا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ ، ولا تكمل معرفتهم لاستيفاء جميع وجوه النظوم التي بها يكون إئتلافها وارتباط بعضها ببعض . فيتوصلوا باختيار الأفضل على الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله ، وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤ ماً وتشاكلاً من نظمه ، وأما المعاني فلا خفاء على ذل عقل أنها هي التي تشد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها »[1] .

كما تحدث عن سر نظمه وهيبته وإعجازه للعلماء قال : « قلت : ومن ها هنا تهيب كثير من السلف تفسير القرآن . وتركوا القول فيه حذراً أن يزلوا فيذهبوا عن المراد ، وإن كانوا علماء باللسان ، فقهاء في الدين فكان الأصمعي ـ وهو أمام أهل اللغة ـ لا يفسر شيئاً من غريب القرآن وحكى عنه أنه سئل عن قوله سبحانه « قد شغفها حباً » فسكت وقال : هذا في القرآن ، ثم ذكر قولاً لبعض العرب في جارية لقوم أرادوا بيعها : أتبيعونها وهي لكم شغاف ؟ ولم يزد على ذلك أو نحو هذا الكلام .

قلت : « ولهذا حث صلى الله عليه وسلم على تعلم إعراب القرآن وطلب معاني الغريب منه حَدّث إسماعيل بن محمد الصفار قال : حدثني محمد بن وهب الثقفي قال حدثني محمد بن سهل العسكري قال : حدثني إبن أبي

---

١ ـ « رسالة الخطابي » ص ٢٣ ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن

زائد عن عبد الله بن سعيد المقبري عن أبيه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه »[1]. ونحب أن نبين في هذا الشأن أن الخطابي قد رد على كثير من الآلاء التي زعمت أن إعجازه في الصرفه[2] أو فيما تضمنه من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان[3].

أما فيما يخص البلاغة في إعجازه فقال : « وزعم آخرون أن إعجازه من جهة البلاغة وهم الأكثرون من علماء أهل النظر[4] ويتهمهم بأنهم لم يحللوا كما هو مفروض وقال : « وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم ولا يشفى من داء الجهل به وإنما هو إشكال أحيل على إبهام »[5].

ولكنه يعود فيقرر أوجه الإعجاز بما يلي : -

وإنما تعذر على البشر الإتيان بمثله لأمور منها : « أن علمهم لا يحيط بجميع أسماء اللغة العربية وبألفاظها التي هي ظروف المعاني والحوامل لا تدرك أفهامهم جميع معاني الأشياء المحمولة على تلك الألفاظ[6]. أما بالنسبة للتراكيب اللفظية فقال : « وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا نرى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلائماً وتشاكلاً من نظمه .

وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها والترقي إلى أعلى درجات الفصل من نعوتها وصفاتها »[7].

---

١ - رسالة الخطابي ص ٣١ .
٢ - ثلاث رسائل ص ٢٠
٣ - ثلاث رسائل ص ٢١
٤ - ثلاث رسائل ص ٢١
٥ - ثلاث رسائل ص ٢٢
٦ - ثلاث رسائل ص ٢٤
٧ - المرجع السابق ص ٢٤

وختم رسالته في إعجـازه النفسي « وذلك صنيعـة في القلـوب وتأثـيره في النفوس »[١] وقد روى « فتحت الأمصار بالسيوف وفتحت المدينة بالقرآن »[٢].

٣ ـ الراغب الأصفهاني المتوفي سنة ٣٩٦ هـ

من العلماء الذين تحدثوا عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم الإمام أبو القاسم محمد المعروف بالراغب الأصفهاني صاحب كتاب مفردات غريب القرآن وقد تحدث عن رأيه في الإعجاز جلال الدين السيوطي[١] ونقلـه الأستـاذ عبـد الكريم الخطيب وعقب عليه قال السيوطي : « يقـول الراغـب الأصفهانـي في تفسيره : « الإعجاز المتعلق بنفسه . . أما أن يتعلق بفصاحته وبلاغته أو بمعناه أما الإعجاز المتعلق بفصاحته وبلاغته فلا يتعلق بعنصره الذي هو اللفظ والمعنى « فـإنَّ ألفاظـه ألفاظهـم : قال الله تعـالى : « قرآننـا عربياً » « بلسـان عربـي مبين » . . ولا بمعانيه ، فإن كثيراً منها موجود في الكتب المتقدمة . قال تعالى : « وإنه لفي زبر الأولين » .

ولا بما هو في القرآن عن المعارف الإلهية ، وبيان المبدأ والمعـاد والأخبـار بالغيب ، فإعجازه من هذا الوجه ، ليس براجع إلى القرآن بل لكونها حاصلـة بغير تعليم وتعلم ، ويكون الإخبار إخبَاراً بالغيب ، سواءً أكانَ بهذا النظم أو بغيره مؤدى باللغة العربية أو بلغة أخرى ، بعبارة أو إشارة »[٣] .

ويعقب الخطيب على القول السابق : « يريد الأصفهاني أن يقرر هنا أن الأخبار بالغيب معجزة في ذاته ، وليس في ذات القرآن لأن من يخبر بالغيب بأنه

---

١ ـ المرجع السابق ص ٦٤
٢ ـ المرجع السابق ص ٥
٣ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٢٠

وسيلة من وسائل الأخبار يكون معجزاً : وإذن فليس للقرآن هنا فضل على غيره من حيث هو كلام ، وإنما الفضل للأخبار الغيبية التي فيه[1] .

ثم يقول الأصفهاني : « فإذن ، النظم المخصوص صورة القرآن ، واللفظ والمعنى عنصره » . وباختلاف الصور يختلف حكم الشيء وإسمه لا بعنصره . « كالخاتم والقرط والسوار ، فإنه باختلاف صورها إختلفت أسماؤها : لا بعنصرها الذي هو الذهب أو الفضة أو الحديد »[2] .

وواضح من هذا أن الأصفهاني يجعل إعجاز القرآن في نظمه على تلك الصورة التي جاء بها ، والتي تبدو أكثر ما تكون في بنائه على آيات ، مختتمة بفواصل ذات نظم خاص ، تختتم بها الآيات ، وتترابط وتتوازن[3] .

ويقول السيوطي « وبيان كون النظم معجزاً يتوقف على بيان نظم الكلام ثم بيان أن هذا النظم مخالف لنظم ما عداه .

فتقول : « مراتب تأليف الكلام خمس :

١ ـ ضم الحروف المبسوطة بعضها إلى بعض ، لتحصل الكلمات الثلاث : الاسم ، الفعل ، الحرف .

٢ ـ تأليف هذه الكلمات بعضها إلى بعض لتحصل الجملة المفيدة وهو النوع الذي يتداوله الناس جميعاً في مخاطباتهم وقضاء حوائجهم . . ويقال له المنثور من الكلام .

٣ ـ ضم بعض هذه الكلمات إلى بعض ضماً له مباد ومقاطع ومداخل ومخارج

---

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٥٥

٢ ـ الإتقان ٢/ ١٢٠

٣ ـ إعجاز القرآن للخطيب ص ٣٥٧

ويقال له المنظوم .

٤ ـ أن يعتبر في أواخر الكلام مع ذلك تسجيع ، ويقال له السجع .

٥ ـ أن يجعل له مع ذلك وزن ، ويقال له الشعر . . [١]

« والقرآن جامع محاسن الجميع ، على نظم غير نظم منها . فالأصفهاني إذ يكشف عن وجه الإعجاز في القرآن ، يراه في هذا النظم الذي تفرد به ، على نظام لم تألف العرب في كلامها من شعر ونثر ونظم وسجع بل حواها جميعها وجاء بها على أعدل الوجوه وأتمها . ولا شك أن مجرد مخالفة العرب في أساليب كلامها لا يجعل الكلام معجزاً ولا يخلص إليه من تلك المخالفة ـ مجرد مخالفة ـ مزايا تعلو به على سائر الكلام فقد تكون هذه المخالفة ـ كما قلنا من قبل ـ إلى ما هو أحسن أو إلى ما هو أسوأ .

ولكن المخالفة التي باب بها القرآن على سائر الكلام مخالفة في الأسلوب[٢]

٤ ـ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١ هـ

تحدث عبد القاهر الجرجاني عن إعجاز القرآن في رسالة أسماها « الرسالة الشافية » . ذكر المحققان تحليلاً لها إذ قالا : ـ

تحليل الرسالة [٣]: تناول عبد القاهر في هذه الرسالة بعض نواح من فكرة

---

١ ـ الإتقان ٢/ ١٥٣ ط (٤)

٢ ـ الإتقان ٢/ ١٢٠ والإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٣٢ بتصرف

٣ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٥ وما بعدها وقد تحدث عبد القاهر عن إعجاز القرآن في مقدمة كتابه دلائل الإعجاز ص (٧) إذ قال : « إنَّا إذا كنا نعلم أن الجهة التي فيها قامت الحجة بالقرآن وظهرت وبانت وشهرت ، هي أن كان على حد من الفصاحة تقصر عنه قوى الشر ومنتهياً إلى غاية لا يطمح إليها بالفكر »

الإعجاز ، أخصها إثبات الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن ، وفي هذا يقرر أن العبرة بعجز العرب المعاصرين للرسول عليه السلام دون المتأخرين من الخطباء والبلغاء عن زمانه وعلى هذا الأصل ينتقل عبد القاهر إلى النظر في دلائل أحوال العرب وأحوالهم حين تلى عليهم القرآن وتحدوا إليه .

أما الأحوال فدلالتها من حيث كان المتعارف من عادات الناس أن لا يسلموا لخصومهم الفضيلة وهم يجدون سبيلاً إلى دفعها . وعبد القاهر يطيل في هذه النقطة مستشهداً بالمألوف في أحوال الاجتماع والمعروف في أحوال الشعراء .

وأما الأقوال فكثيرة يروي منها عبد القاهر حديث ابن المغيرة وحديث عتبة ابن ربيعة وحديث أبي ذر وينتهي من هذا إلى القول بأنه على أساس دلالة الأحوال والأقوال وجب القطع بأن القرآن معجز ناقض للعادة وأنه في معنى قلب العصا حية وإحياء الموتى في ظهور الحجة على الخلق كافة ، ويتعرض عبد القاهر في سياق الرسالة لنواح في الميدان الأدبي يبين فيها تفاوت الشعراء في أقدارهم واشتمال كلامهم على البليغ وغير البليغ ثم يناقش في نهاية رسالته فكرة الصرفة ويفند رأي القائلين بها ويلحق بالرسالة فصولاً قصيرة مستقلة يزيد فيها بعض جوانب الموضوع شرحاً ويجيب فيها على بعض الإعتراضات »[1] .

ونحب أن نقف مع بعض أقواله في الرسالة ذاتها قال في ذلك : « إنَّ الذي سمعوه فائق للقوى البشرية ومتجاوز للذي يتسع له ذرع المخلوقين »[2] .

ويرى أن الأعجاز قد ثبت للأولين والمعاصرين لنزول القرآن تعجز من جاء بعدهم أولى وأيسر لأنَّ علم ذلك علم يخص أهله والأصل والقدوة فيه العرب ومن عداهم تبع لهم وقاصر فيهم عنهم »[3] .

١ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن المقدمة ص ١٥ ، ١٦

٢ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠٧

٣ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٠٧ وما بعدها بتصرف وانظر الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٩٠

ثم يتحدث في رسالته عن محمد عليه السلام ورسالته الخالدة ، فيقول : « إنَّه خاتم النبيين ، وإنه لا نبي بعده ، إلى آخر ما صدع به صلى الله عليه وسلم ثم يقول : وحجتي أن الله تعالى قد أنزل عليَّ كتاباً عربياً مبيناً ، تعرفون ألفاظه وتفهمون معانيه إلا أنكم لا تقدرون على أنْ تأتوا بمثله ولا بعشر سور منه ولا بسورة واحدة ، ولو جهدتم جهدكم واجتمع معكم الجن والإنس »[1] . ثم جاء بأدلة على إعجاز القرآن إذ نقل كلمة الجاحظ عن بلاغة القرآن وعدم قدرة العرب على تقليده كما تحدث عن قصة الوليد بن المغيرة عند سماعه الآيات من الذكر الحكيم : « روى أنه جاء حتى أتى قريشاً فقال : إنَّ الناسَ يجتمعون غداً بالموسم ، وقد فشا أمر هذا الرجل في الناس فهم سائلوكم عنه فماذا تردون عليهم ؟ فقالوا : مجنون يخنق ، فقال : يأتونه فيكلمونه فيجدونه صحيحاً فصيحاً عادلاً فيكذبونكم قالوا نقول : هو شاعر قال : هم العرب وقد رووا الشعر ، وفيهم الشعراء وقوله ليس يشبه الشعر ، فيكذبونكم . . قالوا نقول : هو كاهن قال : إنهم لقوا الكهان فإذا سمعوا قوله لم يجدوه يشبه الكهنة فيكذبونكم . . ثم انصرف إلى منزله فقالوا : صبأ الوليدُ ، يعنون أسلم ـ ولئن صبا لا يبقى أحد إلاَّ صبا ، فقال لهم ابن أخيه أبو جهل بن هشام بن المغيرة : أنا أكفيكموه ، فقال فأتاه محزوناً فقال : مالك يا إبن أخ ؟ قال : هذه قريش تجمع لك صدقة يتصدقون بها عليك تستعين بها على كبرك وحاجتك قال : أولستُ أكثرَ قريشَ مالاً ؟ قال : بلى ولكنهم يزعمون أنك صبأت لتصيب من فضل طعام محمد وأصحابه ، قال : والله ما يشبعون من الطعام فكيف يكون لهم الفضول ؟ ثم أتى قريشاً فقال : أتزعمون أني صبأتُ ولعمري ما صبأت ، إنكم قلتم : محمدٌ مجنون ، وقد ولد بين أظهركم لم يغب عنكم ليلة ولا يوماً فهل رأيتموه يخنق قط ؟ فكيف يكون مجنوناً ولم يخنق قط ؟ .

١ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١١٠

وقلتم : شاعراً ؟ وأنتم شعراء فهل أحدٌ منكم يقول ما يقـول ؟ وقلتـم كاهن فهل حدثكم محمد في شيءٍ يكون في غد إلا أنْ يقولَ إنْ شاءَ الله . . قالوا : فكيف تقول يا أبا المغيرة ؟ قال : أقول هو ساحر ، فقالوا : وأيٌّ شيء السحر ؟ قال : شيء يكون ببابل ، من حذقه فرق بين الرجـل وامرأتـه والرجـل وأخيه (أَلَيْسَ مما تعملون) أنَّ محمداً فرق بين فلان وفلانه زوجته ، وبين فلان وابنه ، وبين فلان وأخيه ، وبين فلان ومواليه ، فلا ينفعهم ولا يلتف إليهم ولا يأتيهم ؟ قالوا : بلى فاجتمع رأيهم على أن يقولوا إنه ساحر ، وأنْ يردوا الناس عنه بهذا القول . وانصرف فَمَرَّ بأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم منطلقاً إلى رحلة وهم جلوس في المسجد فقالوا : هل لك يا أبا المغيرة وليٍّ خير ؟ فرجع إليهم فقال : ما ذلك الخير ؟ فقالوا : التوحيد ، قال : ما يقول صاحبكم إلا سحراً وما هو إلا قول البشر يرويه عن غيره وعبس في وجوههم وبسر ، ثم أدبر إلى أهله مكذباً ، واستكبر عن حديثهم الذي قالوا له وعن الإيمان ، فأنزل الله تعالى :﴿ **إنه فكر وقدر فقتل كيف قدر**﴾[1] .

وقد ذكر عبد القاهر موقف الوليد بن عقبة عند سماعه آية من القرآن ومن ذلك ما روى أن الوليد بن عقبة أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : إقرأ فقرأ عليه : ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهي عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون** ﴾، فقال : أعد فأعَادَ ، فقال : والله إنَّ له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمُعْرِق وإن أعلاه لمثمر . وما يقـول هذا بشر[2] .

ثم يتحدث عن الصرفة[3] ويرى أنَّ آيات التحدي تبطلها ويعقب محققا

---

١ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١١٠ ، ١١١

٢ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١١٤

٣ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٣٧

الكتاب إلى القول عن رسالة عبد القاهر في هذا الشأن « وظاهر من نظام هذه الرسالة أنَّ عبد القاهر كتبها ليثبت حقيقة الإعجاز لا ليبين أسراره . أمَّا تفصيل القول في أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه فقد فَصَّلَ عبد القاهر القول فيه في كتابه الكبير المستقل الذي سَماَّهُ « دلائل الإعجاز »(١) .

وعلل الأستاذ عبد الكريم الخطيب عدم إكمال عبد القاهر لهذه الرسالة في بيان أوجه الإعجاز قال : « إن أسرَار البلاغة مقدمة لدلائل الإعجاز ودلائل الإعجاز مقدمة للرسالة الشافية والرسالة الشافية مقدمة لكتاب في الإعجاز كان في عزم المؤلف أنْ يفرغ له ويتوفر عليه ولكن حالت دون ذلك منيته أو شيخوخته (٢) .

أمَّا الدكتورة بنت الشاطىء فقد قالت حول الرسالة الشافية : « قدم الجرجاني « الرسالة الشافية » في عجاز القرآن - ونشرت ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز - وحسب أنه أتى فيها » بما يشفي من له طبع إذا قدحته أورى ، وقلب إذا أريته رأى . . . فأما من لا يرى ما تريه ولا يهتدي للذي تهديه فأنت معه كالنافخ في الفحم من غير نار وكالملتمس الشم من أخشم وكما لا يقيم الشعر في نفس من لا ذوق له لا يفهم هذا الباب من لم يؤ ت الآلة التي بها يفهم إلا أنه إنما يكون البلاء إذ ظن العادم لها أنه قد أُوتيها ، وأنه ممن يكمل للحكم ويصح منه القضاء ، فجعل يخبط ويخلص ويقول القول لو علم عيه لاستحيا منه »(٣)

ويقول محققاً الرسالة : « أما تفصيل القول في أسرار الإعجاز من جهة بلاغة الكلام ونظمه فقد تعرض له في كتابه الكبير المسمى دلائل الإعجاز »(٤) .

---

١ - مقدمة ثلاث رسائل في الإعجاز ص ١٦ وما بعدها
٢ - الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢٤٣
٣ - مقدمة الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ٢٠
٤ - مقدمة ثلاث رسائل ص ١٦ وانظر الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٩٥ بتصرف .

والحقيقة عندما نعود إلى دلائل الإعجاز نلحظ أن عبد القاهر قد تحدث فعلاً عن ظواهر الإعجاز البلاغية في القرآن الكريم وبخاصة عند حديثه عن الإعجاز بنظم الكلام والتحدي بالقرآن والتشنيع عن القائلين بأَنَّ الإعجاز بالصرفة »[1].

٥ ـ الزمخشري المتوفى سنة ٥٢٨ هـ

لم يؤلف الزمخشري كتاباً خاصاً بالإعجاز ولكن ذكر أَحد الباحثين أنه تحدث عن الإعجاز من خلال تفسيره المشهور بالكشاف قال : « ولَمْ يؤلف » الزمخشري » مؤلفاً خاصاً بالإعجاز وإنما قام بمحاولة في هذا الباب لم يسبقه إليها أَحد ولا نظن أنه جاء من بعده من جرى معه في هذا الطريق ذلك أنه أَراد أن يقيم أَدلة الإعجاز وشواهده من آيات لقرآن الكريم وأنْ يجعل القرآن كله مجالاً للناظرين في الإعجاز ، والباحثين عن مواقعه في كتاب الله ولهذا فقد جعل تفسيره المعروف باسم : « الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأَقاويل في وجوه التأويل لتحقيق هذه الغاية التي جعلها كل همه وغايته وهو ينظر في كتاب الله ولم يأخذ الطريق الذي سار فيه المفسرون من قبله وهو شرح مفردات القرآن أو إعرابه أو إستخلاص الأَحكام الشرعية منه أو بيان أسباب النزول ، أو التعريف بالناسخ والمنسوخ إلى غير ذلك من مذاهب المفسرين ومناهجهم في تفسير القرآن وفي غاياتهم التي يقيمون عليها وجهة نظرهم في التفسير .

كان منهج الزمخشري في تفسيره هذا ، أنه إستعرض القرآن الكريم كله من أَوله إلى آخره ، سورة سورة ، كما يفعل المفسرون ولكنه ما كان يقف عند كل آية وإنما كانت عينه دائماً ـ كما كان قلبه ـ متطلعة إلى ما عسى أن ينكشف له من

ـ دلائل الإعجاز ص ٧ و٨ و٢٩٥ و٢٩٦ و٢٩٧ وما بعدهما خاصة ٢٩٩ .

إعجاز النظم القرآني وأسراره في المفردات والتراكيب على السواء[1].

ثم يحاول الأستاذ عبد الكريم الخطيب أنْ يعلل منهج الزمخشري في الإعجاز وتساءل : لماذا إختار الزمخشري هذا المنهج ؟ ولعله من المناسب هنا أن نكشف عن السبب الذي من أجله إتجه « الزمخشري » هذا الإتجاه في التفسير فسلك فيه مسلكاً لم يطرقه أحد قبله : وأول ما يلقانا من « الزمخشري » ونحن نتلمس سبباً أو أسباباً لهذا المنحى الذي إنتحاه في التفسير ـ على مذهب المعتزلة . . وللمعتزلة كما نعلم مفارقات كثيرة خرجوا فيها عن طريق الجماعة وساروا في إتجاهات منحرفة ، مقاربة أو مباعدة ـ من الوجهة العامة التي سارت عليها الجماعة الإسلامية فهل لنا أنْ نحسب هذا الضرب من التفسير خطة معتزلية اختطها الزمخشري كما كان لأصحابه أقوال ومتجهات إنفرد فيها كل واحد منهم بقول أو متجه ؟ .

وقد يكون هذا الإستنتاج مسلماً به لو أن الزمخشري أغرب في التأويل لآيات الله فذهب بها مذهباً لا يرضاه المسلمون كما فعل الباطنية في تفسيرهم لكتاب الله ، ولكن « الزمخشري » لم يخرج في تفسيره عن الدلالات اللغوية لكلمات القرآن ولم يتجاوز المضمون البياني لآياته كما يقع مفهوم أهل اللغة وأصحاب البيان . وكل ما كان من الزمخشري في تفسيره إنما كان في المنهج الذي إنتهجه وفي الخطة التي سار ليها حيث لم يقف عند كل كلمة أو كل آية وإنما كان همه البحث عن مظان الإعجاز فيما ينكشف له من رواشع البيان وعجيب النظم في تقديم كلمة على كلمة أو إختيار كلمة بدل كلمة أو حرف مكان حرف[2].

وعندما نقف مع الكشاف نلحظ أن الزمخشري يعترف بإعجاز القرآن وتحديه للبشر كافةً وقال في ذلك « أنشأهُ كتاباً ساطعاً تبيانه ، قاطعاً برهانه ، وحياً ناطقاً ببينات وحجج قرآننا عربياً غير ذي عوج ، مفتاحاً للمنافع الدينية والدنيوية مصداقاً لما

---

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢٩٨ و٢٩٩

٢ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢٩٩ وما بعدها .

بين يديه من الكتب السماوية ، معجزاً باقياً ، دون كل معجز على وجه كل زمان . دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان في كل مكان أفحم به من طُولِبَ بمعارضته من العرب العرباء ، وأبْكَم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه ناهض من بلغائهم[١] .

٦ ـ إبن عطية[٢] الغرناطي المتوفى سنة ٥٤٦ هـ

من العلماء الذين تحدثوا عن إعجاز القرآن إبن عطية الغرناطي الذي لم يؤلف كتاباً مستقلاً في إعجاز القرآن وإنما جاء ذلك في أثناء تفسيره للقرآن[٣] .

ويرى هذا العالم أنَّ إعجاز القرآن هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ، وهو بهذا يجمع وجوهاً من آراء من سبقه من العلماء[٤] .

٧ ـ الفخر الرازي المتوفى سنة ٦٠٦ هـ

تحدث الإمام فخر الدين الرازي محمد بن عمر عن الإعجاز في كتابه « نهاية الإعجاز في دراية الإعجاز »[٥] .

وذكر السيوطي أوجه الإعجاز عند الإمام الرازي قال : « إن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم عند الفخر الرازي » الفصاحة وعذابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب »[٦] .

---

١ ـ مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري « ع »
٢ ـ أنظر ترجمة لحياته في البرهان في علوم القرآن ١/ ٨٠
٣ ـ إسم كتابه « الجامع المحرر الصحيح الوجيز في تفسير القرآن العزيز » .
٤ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣١٩ .
٥ ـ مقدمة الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ٢٢ .
٦ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٩

وعقب الأستاذ عبد الكريم الخطيب على رأي الرازي بقوله : « وهذا تعميم وإطلاق للحكم بحيث يدخل مع القرآن غيره من كل كلام بليغ . فما هي حدود الفصاحة التي إذا تجاوزها الكلام وعلا عليها كان معجزاً » ؟ .

وما هي مواطن الحسن في غرابة الأسلوب حتى تنتهي به إلى الإعجاز ؟ فهل كل أسلوب غريب يكون بليغاً ؟ ثم معجزاً ولقد تكون غرابة الأسلوب داعية إلى سقوطه ، كما تكون وجهاً جديداً من وجوه البيان ولوناً متفرداً من ألوان البلاغة . . ثم ما هي العيوب التي إذا سلم منها الكلام كان بليغاً ؟ . وهل تكفي السلامة من العيوب ليكون الكلام على درجة من البلاغة توفي به إلى مطالع الإعجاز ؟ .

كنا نود أن يكون « للرازي » صولة وجولة في هذا المجال فهو خير من يقوم لهذا المقام ويحسن القول فيه ولكن يبدو أنه لم يشأ أن يشغل بهذا عن القرآن نفسه وأن يفتح باباً للجدل حول معاني القرآن وألفاظه فيعيد بذلك الحرب .

جَذَعه في القول : فأن القرآن مخلوق أو غير مخلوق[1]. وكان الرازي كما يبدو ويحاول إستدراك ما فات في هذا الشأن : « يرجو به أن يستدرك ما فات غيره وأن يهذب ما قالوه وبخاصةٍ عبد القاهر الجرجاني الذي قال فيه الرازي في مقدمة كتابه إنه « أهمل في رعاية ترتيب الأصول والأبواب وأطنب في الكلام كل الإطناب ولما وفقني الله لمطالعة كتابيه ـ دلائل الأعجاز والشافية ـ التقطت منها معاقد فوائدهما ومقاصد فرائدهما وراعيت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير وضبط أوابد الإجمالات في كل باب بالتقسيمات اليقينية وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية مع الإجتناب عن الإطناب الممل والإحتراز عن الإختصار المخل »[2].

---

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٣٤
٢ ـ مقدمة الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ٢٢

٨ ـ حازم القرطبي المتوفى سنة ٨٦٤ هـ

تحدث العالم الجليل أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجني القرطبي عن أوجه الإعجاز في منهاج البلغاء قال : « وجه إعجاز القرآن من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها في جميعه إستمراراً لا يوجد له فترة ولا يقدر عليه أحد من البشر وكلام العرب ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالم منه إلا في الشيء اليسير المعدود ثم تعرض الفترات الإنسانية فينقطع طيب الكلام ورونقه ولا تستمر الفصاحة لذلك في جميعه ، بل توجد في تفاريق وأجزاء منه[١] .

وعقب الأستاذ الخطيب حول الرأي السابق قال : « وهذا كلام قد سبق به « الجاحظ » ثم تابعه فيه من جاء بعده ممن تكلموا في الإعجاز ثم إن هذا الوجه من وجوه الإعجاز لا ينكشف إلا بعد النظر في القرآن الكريم كله ، وهو لا يكون إلا بعد أن يتم نزوله جميعه على الرسول الكريم ولقد تحدى القرآن الكريم العرب وأعجزهم ولم يكن قد نزل منه إلا قدر يسير ، فالمعجزة والإعجاز قائمين في القرآن الكريم في أقصر سورة منه »[٢] .

٩ ـ المراكشي المتوفى سنة ٧٢١ هـ

من العلماء الذين تحدثوا عن الإعجاز أبو العباس أحمد بن محمد بن عثمان الأزدي المعروف بالمراكشي .

قال السيوطي : « وقال المراكشي في شرح المصباح ، الجهة المعجزة في القرآن تعرف بالتفكير في علم البيان وهو كما اختاره جماعة في تعريفه ما يحترز به عن الخطأ في تأدية المعنى وعن تعقيده ويعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية

---

١ ـ منهاج البلغاء نقلاً عن الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٥٩
٢ ـ الإعجاز في الدراسات السابقين ص ٣٥٩

تطبيقه لمقتضى الحال لأن جهة إعجازه ليست مفردات ألفاظه وإلا لكانت قبل نزوله معجزة ولا مجرد تأليفها وإلا لكان كل تأليف معجزاً ولا إعرابها وإلا لكان كل كلام معرب معجزاً ولا مجرد أسلوبه وإلا لكان الإبتداء بأسلوب الشعر معجزاً والأسلوب الطريق ولكان هذيان مسيلمة معجزاً ولأن الإعجاز لا يوجد دونه أي الأسلوب في نحو فأما إستيأسوا منه خلصوا نجياً فأصدع بما تؤمر ولا بالصرف عن معارضتهم لأن تعجبهم كان من فصاحته ولأن مسيلمة وابن المقفع والمعري وغيرهم قد تعاطوها فلم يأتوا إلا بما تمجه الأسماع وتنفر منه الطباع ويضحك منه في أحوال تركيبه وبها أي بتلك الأحوال أعجز البلغاء وأخرص الفصحاء فعلى إعجازه دليل إجمالي وهو أن العرب عجزت عنه وهو بلسانها فغيرها أحرى ودليل تفصيلي مقدمته التفكر في خواص تركيبه ونتيجته العلم بأنه تنزيل من المحيط بكل شيء علماً »[1].

١ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١١٩ وانظر توضيحاً لرأي المراكشي في كتاب « الإعجاز في دراسات السابقين » ص ٣٦١ .

القسم الأول

الإعجاز الكلّي

ذهب مجموعة من العلماء إلى القول بأن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ليس وقفاً على النظم والبلاغة بل يتعداه إلى أوجه أخرى تكاد تكون شاملة فكراً وعلماً وبياناً وغير ذلك . ونحب أن نقدم بعض الآراء التي ذكرها هؤلاء العلماء بشيء من الإعجاز :

١ ـ الرماني المتوفى سنة ٣٨٦ هـ

تحدث أبو الحسن علي بن عيسى الرماني عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في كتاب « سماه » النكت في إعجاز القرآن وهو منشور ضمن كتاب « ثلاث رسائل في إعجاز القرآن » والرماني عالم من علماء النحو أيضاً وقد شرح كتاب سيبويه[١] . وذكره ياقوت في معجمه « كان إماماً في علم العربية علامة بالأدب »[٢] . أمّا كتابه في الإعجاز فقد كان عملاً رائعاً ، قال أبو حيان التوحيدي « وقد عمل في القرآن كتاباً نفسياً »[٣] واعتبرته بنت الشاطىء من أشهر كتب الإعجاز في القرن الرابع قالت « من أشهر ما وصل إلينا من مصنفاتهم في

---

١ ـ الرماني النحوي د . مازن المبارك ص ١ دمشق .
٢ ـ معجم الأدباء ١٤/ ٤٧
٣ ـ الإقناع والمؤانسة لأبي حيان ط لجنة التأليف ١٩٤٢ مصر
٤ ـ مقدمة الإعجاز البياني في القرآن ص ١٨

الإعجاز » النكت في إعجاز القرآن » . أما وجهة نظره في أوجه الإعجاز في القرآن الكريم فيقول محققاً الرسالة « تأخذ الرسالة شكل الجواب على سؤ ال وجه للمؤ لف عن « ذكر النكتب في إعجاز القرآن دون التطويل بالحجاج » وهذا الجواب يتلخص في أن وجوه الإعجاز تظهر من سبع جهات ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة والتحدي للكافة والصرفة والبلاغة ، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة ونقض العادة وقياسه بكل معجز . ويوجه المؤ لف همه من هذه الجهات السبع إلى البلاغة فيذكر أنها على ثلاث طبقات : منها ما هو في أعلى طبقة ، ومنها ما هو في أدنى طبقة ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة . وبعد أن يشرح المؤ لف كل واحدة من هذه يحصر البلاغة في عشرة أقسام أو أبواب هي : الإيجاز والتشبيه والإستعارة والتلاؤ م والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان . ثم يستمر فيفسر هذه بابا بابا بتعريف الموضوع ثم بتقسيمه إلى نواحيه مستشهداً لكل ناحية بالآية تلو الآية من القرآن ، وندر أن يستشهد ببيت من الشعر أو قول مأثور من النثر إلا ما استلزمته الموازنة بين الآية وما في معناها من كلام العرب .

وبعد أن انتهى من مقصوده ـ وهو التعريف بأبواب البلاغة العشرة خصص بضع صفحات في آخر كتابه للتعريف بالوجوه الأُخرى الستة التي أَشار إليها في أول الكتاب والتي تؤ لف مع البلاغة وجوه الإعجاز في نظرة وأُسلوب المؤ لف في معالجة موضوعه علمي منطقي »[1] .

ونحب أن نقف مع بعض الآراء ضمن رسالته فيتحدث عن التحدي ويقول في هذا الشأن بعد أن يستعرض آيات التحدي «فبان الإعجاز عند مقدار السورة من القرآن الكريم »[2] . وحاول أن يبين أوجه الإعجاز البياني في بعض الآيات القرآنية : قال تعالى : ﴿ **إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في يوم نحس**

---

١ ـ مقدمة ثلاث رسائل في إعجاز القران ص ١٤

٢ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٢

مستمر تنـزعُ الناس كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾[1] .

قال الرماني : « وهذا بيان قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به ، وقد إجتمعا في قلع الريح لهما وإهلاكه إياهما وفي ذلك الآية الدالة على عظيم القدرة والتخويف من تعجيل العقوبة »[2] .

وقال الله عز وجل : **﴿ فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾**[3] .

قال الرماني : « فهذا تشبيه قد أخرج ما لم تجربه عادة إلى ما قد جرت به وقد اجتمعا في الحمرة وفي لين الجواهر السيالة وفي ذلك الدلالة على عظيم الشأن ونفوذ السلطان »[4] وقوله تعالى : « **مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت** »[5] .

فهذا تشبيه قد أخرج ما لا يعلم بالبديهة إلى ما يعلم بالبديهة وقد اجتمعا في ضعف المعتمد ووهاء المستند »[6] وتحدث عن الإستعارة في بعض الآيات الكريمة نختار بعضاً منها كقوله تعالى : **﴿ إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية﴾**[7]. وبين الإستعارة في « طَغَىَ » وقوله تعالى : **﴿ سمعوا لها شهيقاً وهي تفور تكاد تميز من الغيظ﴾**[8] وقوله تعالى : **﴿ ولما سكت عن موسى الغضب﴾**[9] وقوله تعالى : **﴿ إشتعل الرأس شيباً﴾**[10] وقوله تعالى : **﴿ بل تقذف بالحق على الباطل فيدفعه فإذا هو زاهق﴾**[11].

---

١ ـ سورة القمر آية ١٩ ـ ٢٠
٢ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٧
٣ ـ سورة الرحمن آية ٣٧
٤ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٧
٥ ـ العنكبوت = ٤١
٦ ـ ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٧٨ وما بعدها ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١
٧ ـ الحاقة آية ١١
٨ ـ الملك آية ٨
٩ ـ الأعراف آية ١٥٢
١٠ ـ مريم آية ٤
١١ ـ الأنبياء آية ٨

٢ - الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

من العلماء الذين كتبوا عن الإعجاز في القرآن الكريم في كتاب منفرد القاضي أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني »[١] وكتاب إعجاز القرآن من أشهر الكتب التي تحدثت عن الإعجاز قال محقق كتابه : « وإعجاز القرآن هو أول كتب الباقلاني نشراً ، وأشهرها ذكراً وهو أعظم كتاب أُلف في الإعجاز إلى اليوم »[٢] .

وكان الباقلاني عالماً مشهوراً شهد له كثير من العلماء بأمانته وورعه وقد وصفه صاحب شذرات الذهب « أوحد وقته في فنه وكانت له بجامع المنصور حلقة عظيمة ، وكان ورعاً لم تحفظ له زلة ، ولا نقيصة وكان باطنه معموراً بالعبادة والديانة والصيانة »[٣] . وقال صاحب الوافي بالوفيات « بأنه سكن بغداد وكان في فنة أوحد زمانه وكان ثقة عارفاً بالكلام »[٤] .

وقد حاول الباقلاني أن يبين أن العلماء الذين سبقوه في الكتابة عن إعجاز القرآن ومعانيه لم يتناولوه بالشرح كما ينبغي . قال محقق كتاب الباقلاني : « ذكر الباقلاني في مقدمته أن الذين أُلفوا في « معاني القرآن » من علماء اللغة والكلام ، لم يبسطوا القول في الإبانة عن وجه معجزته والدلالة على مكانه مع أن الحاجة إلى ذلك البيان أَمَسّ والإشتغال به أوجب فهو أَحق بالتصنيف من الجزء والطفرة والأعراض وغريب النحو وبديع الإعراب وأن ما صنفه العلماء في هذا المعنى جاء غير كامل في بابه قد أُخلّ بتهذيبه وأهمل ترتيبه ، وقد التمس لبعضهم العذر فيما وقع من تفريط لأن بيان وجه الإعجاز « مما لا يمكن بيانه إلا بعد التقدم في أمور عظيمة المقدار - دقيقة المسلك . لطيفة المأخذ » وقال : إنّ الجاحظ « صنف في

---

١ - الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٧١ مكتبة الحياة - لبنان ١٩٧٨

٢ - مقدمة كتاب إعجاز القرآن للباقلاني ص ٦٧ دار المعارف ١٩٦٢ .

٣ - شذرات الذهب ٣/ ١٦٩ ط مكتبة القدس ١٣٥٠ هـ

٤ - الوافي بالوفيات ٣/ ١٧٧ تحقيق صلاح الدين الصفدي ص دمشق ١٩٥٣ .

نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى .

ثم قال : إنَّ سائلاً سأله أنْ يذكر جملة من القول جامعة تسقط الشبهات وتزيل الشكوك التي تعرض للجهال وتنتهي إلى ما يخطر لهم ، ويعرض لإفهامهم من الطعن في وجه المعجزة فأجابه إلى ذلك . وألف هذا الكتاب وذكر أنه أَشار إلى ما سبق بيانه من غيره ، ولم يبسط القول فيه ، لئلا يكون ما أَلفه مكرراً . ومعقولاً وقال : « إنه لا يزعم أَنه يمكنه أن يبين ما رام بيانه وأَراد شرحه وتفصيله إلا لمن كان من أهل صناعة العربية وقد وقف على جمل من محاسن الكلام ومتصرفاته ومذاهبه وعرف جملة من طرق المتكلمين ونظر في شيء من أُصول الدين »[1].

ويجدر بنا أن نقف قليلاً مع كتاب الباقلاني في إعجاز القرآن وذلك لتوضيح فكرة الإعجاز في نظره والحقيقة أننا نعرض للموضوع عرضاً مناسباً لما يتطلبه مقام البحث .

تحدث في الفصل الأول[2] عن نبوة محمد عليه السلام وبين أنها مبنية على دلالة معجزة القرآن وبين في الفصل الثاني[3] بيان وجه دلالة معجزة القرآن على نبوة محمد عليه السلام وذكر أَن النبي عليه السلام عرف كون القرآن معجزاً حين أُوْحى إليه من قبل أنْ يقرأه على غيره أو يتحدى الله سواه وهاجم القائلين بالصرفة وذكر أن التوراة والإنجيل وغيرهما من الله يشارك القرآن في الإعجاز بما تضمنه من الأخبار عن الغيوب وبيانه في أنه ليس بمعجز في النظم وحدد أسباب ذلك .

---

١ ـ مقدمة إعجاز القران للباقلاني ص ٦٧ ، ٦٨ للسيد صقر

٢ ـ إعجاز القران للباقلاني ص ٣ وما بعدها ومقدمة السيد صقر ص ٦٨

٣ ـ إعجاز القران للباقلاني ص ٢١ وما بعدها وانظر الباقلاني وكتابع إعجاز القران ص ١٨٩

وتحدث في الفصل الثالث[1] في جملة وجوه إعجاز القرآن وقد ذكر في بدايته أن الأشاعرة وغيرهم ذكروا في ذلك ثلاثة أوجه وحاول أن يناقض الأوجه الثلاثة بشيء من[2] المنطق ، وكانت الأوجه التي تحدث عنها الأشاعرة تدور في فلك ما تضمنه القرآن من الأخبار عن الغيوب . وأنه أتى لجمل ما وقع وحدث من عظيات الأمور منذ آدم وأنه بديع النظم عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه[3] .

وقال في نهاية الرد : « وقد يمكن في تفاصيل ما أوردنا من المعاني الزيادة والإفراد ، فإنا جمعنا بين أمور ، وذكرنا المزية المتعلقة بها وكل واحد من تلك الأمور مما يمكن إعتماده في إظهار الإعجاز فيه ثم ختم كلامه في هذا الفصل بالإجابة على سؤ ال هام وهو : « فإنه قيل : فَهل تزعمون أنه معجز ، لأنه حكاية لكلام القديم سبحانه ، أو لأنه عبارة عنه ، أو لأنه قديم في نفسه ؟

قيل : « لسنا نقول بأن الحروف قديمة فكيف يصح التركيب على الفاسد ؟ ولا تقول أيضاً : أن وجه الإعجاز في نظم القرآن من أجله أنه حكاية عن كلام الله ، لأنه لو كان كذلك لكانت التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله عز وجل معجزات في النظم والتأليف . وقد بينا أن إعجازها في غير ذلك ، وكذلك يجب أن تكون كل كلمة مفردة معجزة بنفسها ومفردها وقد ثبت خلاف ذلك »[4] .

في الفصل الرابع بين ما فيه من وجوه إعجاز القرآن الثلاثة سابقة الذكر[5] . كما نفى في الفصل الخامس الشعر من القرآن[6] وكذلك فعل في الفصل السادس

---

١ ـ إعجاز القران للباقلاني ص ٤٨

٢ ـ إعجاز القران ص ٥١ ، ٥٣ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٦٤ ، ٦٦ ، ٧٠ بتصرف .

٣ ـ مقدمة إعجاز القران للسيد صقر ص ٦٩ بتصرف .

٤ ـ إعجاز القران ص ٧٠ ، ٧١ ومقدمة الإعجاز للسيد صقر ص ٧٢

٥ ـ إعجاز القران ص ٧٢ بتصرف .

٦ ـ إعجاز القران ص ٧٦ بتصرف .

إذ نفى السجع من القرآن ورد على القائلين بذلك .

قال : « وهذا الذي يزعمونه غير صحيح » . ولو كان القرآن سجعاً[1] لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلاً فيها لم يقع بذلك إعجاز ولو جاز أن يقولوا : هو سجع معجز ، لجاز أن يقولوا : شعر معجز وكيف والسجع مما كان يألفه الكهان من العرب ، ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر ؟ لأن الكهانة تنافي النبوات وليس كذلك الشعر . وقد روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للذين جاؤ وه وكلموه في شأن الجنين : كيف ندى من لا شرب ولا أكل ولا صاح فاستهل ، أليس دمه قد يطل ؟ فقال : « أسجاعة كسجاعة الجاهلية » ؟ وفي بعضها : « أسجعاً كسجع الكهان » ؟ فرأى ذلك مذموماً لم يصح أن يكون في دلالته .

والذي يقدرونه أنه سجع فهو وهم ، لأنه قد يكون الكلام على مثال السجع وإن لم يكن سجعاً ، لأن ما يكون به الكلام سجعاً يختص ببعض الوجوه دون بعض لأن السجع من الكلام يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤ دي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في تقدير السجع لأن اللفظ يقع فيه تالياً للمعنى » ثم قال : « ويقال لهم : لو كان الذي في القرآن على ما تقدرونه سجعاً لكان مذموماً مرذولاً ، لأن السجع إذا تفاوتت أوزانه واختلفت طرقه ، كان قبيحاً من الكلام ، وللسجع منهج مرتب محفوظ وطريق مضبوط متى أخل به المتكلم وقع الخلل في كلامه ونسب إلى الخروج عن الفصاحة » .

ثم قال : « فلو رأوا أن ما تلي عليهم من القرآن سجعاً لقالوا : نحن نعارضه بسجع معتدل ، فتزيد في الفصاحة على طريقة القرآن وتتجاوز حده في

---

١ - يرى الدكتور مخلوف أن الباقلاني تبع الرماني في ذلك انظر الباقلاني وكتابه إعجاز القران ص ٥٠٧ .

البراعة والحسن[1] ثم تابع حديثه عن السجع وقال : « وَلَوْ كان الكلام الذي هو في صورة السجع منه لما تحيروا فيه ولكانت الطباع تدعو إلى المعارضة لأن السجع غير ممتنع عليهم بل هو في عادتهم ، فكيف تنقضي العادة بما هو نفس العادة وهو غير خارج عنها ولا متميز منها[2] .

ويقول السيد صقر : « ثم مضى في حديثه عن السجع وذكر فيما ذكر إختلاف العلماء في الشعر وكيف إتفق للعرب قوله أولاً ؟ وهل كان إتفاقاً غير مقصود إليه ؟ أم تواضعوا على هذا الوجه من النظم ؟ وإن الله عرفهم محاسن الكلام ودلهم على كل طريقة عجيبة ثم أعلمهم عجزهم عن الإتيان بمثل القرآن « ووجدوا أن هذا لما تعذر عليهم مع التحدي والتقريع الشديد والحاجة الماسة إليه ، مع علمهم بطريق وضع النظم والنثر وتكامل أحوالهم فيه ـ دل على أنه اختص به ليكون دلالة على النبوة ومعجزة على الرسالة » .

ويقول السيد صقر معقباً : « وختم الباقلاني كلامه في هذا الفصل بإلزام عجيب لمخالفيه حيث يقول في ص ٩٩ : « ولا بد لمن جوز السجع فيه وسلك ما سلكوه من أن يسلم ما ذهب إليه النظام وعباد بن سليمان وهشام القوطي ويذهب مذهبهم في أنه ليس في نظم القرآن وتأليفه إعجاز وإنه يمكن معارضته وإنما صرفوا عنه ضرباً من الصرف ويتضمن كلامه تسليم الخبط في طريقة النظم ، وإنه منتظم من فرق شتى ومن أنواع مختلفة ينقسم إليها خطابهم ولا يخرج عنها ويستهين ببديع نظمه وعجيب تأليفه الذي وقع التحدي إليه وكيف يعجزهم الخروج عن السجع والرجوع إليه وقد علمنا عادتهم في خطبهم وكلامهم أنهم كانوا لا يلزمون أبداً طريقة السجع والوزن بل كانوا يتصرفون في أنواع مختلفة فإذا ادعوا على القرآن ذلك لم يجدوا فاصلة بين نظمي الكلامين » .

---

١ ـ مقدمة إعجاز القران للسيد صقر .
٢ ـ إعجاز القرآن للباقلاني ص ٩٠

أما الفصل السابع فقد خصصه في ذكر البديع من الكلام وهل هو من دلائل الإعجاز ؟

قال الباقلاني : « إنْ سأل سائل فقال : هل يمكن أن يعرف إعجاز القرآن من جهة تضمنه البديع ؟ قال : ذكر أهل الصنعة ومن صنف في هذا المعنى من صفة البديع ألفاظاً نحن نذكرها ثم نبين ما سألوا عنه ، ليكون الكلام وارداً على أمر مبين وباب مقرر مصور »[٣] ثم نقل جملة من بديع الشعر ، بعضها من كتابي البديع لابن المعتز ونقد الشعر لقدامة بن جعفر ، وقال : « وقد قدر مقدرون أنه يمكن إستفادة إعجاز القرآن من هذه الأبواب التي نقلناها وأن ذلك مما يمكن الإستدلال به عليه . وليس كذلك عندنا لأن هذه الوجوه إذا وقع التنبيه عليها أمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها والوجوه التي نقول : « إن إعجاز القرآن يمكن أن يعلم منها فليس مما يقدر البشر على التصنع له والتوصل إليه بحال » وختم كلامه في هذا الفصل بقوله : « إنا لا نجعل الإعجاز متعلقاً بهذه الوجوه الخاصة ووقفاً عليها ومضافاً إليها وإن صح أن تكون هذه الوجوه مؤثرة في الجملة ، آخذة بحظها من الحسن والبهجة متى وقعت في الكلام على غير وجه التكلف المستبشع والتعمل المسنشنع[٤] . ويعقب الدكتور مخلوف حول الفصل السابق قال : « وهو في هذا الفصل ينقل - فيما أرى - عن أبي هلال العسكري في كتابه الصناعيتن ويكاد يكون النقل حرفياً في هذا الباب .

وتحدث في الفصل الثامن عن كيفية الوقوف على إعجاز القرآن . قال الأستاذ سيد صقر : « وعنده أن إعجاز القرآن لا يخفى على العربي البليغ الذي

١ ـ مقدمة إعجاز القران الكريم ص ٧٣
٢ ـ مقدمة إعجاز القران ص ٧٤ وانظر رد الأستاذ سيد صقر في ذلك ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧
٣ ـ إعجاز القران للباقلاني ص ١١٠ ونحوه مقدمة إعجاز القران ص ٧٧ ، ٨٨
٤ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القران ص ٥٠٨ بتصرف

قد تناهى في معرفة اللسان العربي ووقف على طرقها ومذاهبها ولا يشتبه على ذي بصيرة ولا يخيل عند أخي معرفة وأما من لم يبلغ في الفصاحة الحد الذي يتناهى إلى معرفة أساليب الكلام ووجوه تصرف اللغة ، فهو كالأعجمي في أنه لا يمكنه أن يعرف إعجاز القرآن إلا بأن يعلم أن العرب قد عجزوا عنه ، وإذا عجز هؤلاء عنه فهو عنه أعجز[1] .

وهكذا بدأ الباقلاني يناقش مسألة الإعجاز في القرآن الكريم ثم عقد باباً لبيان أن نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ثم عرض لنقد كلام مسيلمة الكذاب ومعلقة إمرىء القيس قال : « ونظم القرآن جنس مميز ، وأسلوب متخصص وقبيل عن النظير متخلص فإذا شئت أن تعرف عظم شأنه فتأمل ما نقوله في هذا الفصل لامرىء القيس في أجود أشعاره وما نبين لك من عوارة على التفصيل » ثم مضى في نقد المعلقة وانتهى منه في ص ٢٧٧ بعد أن بين أن « هذه القصيدة قد ترددت بين أبيات سوقية مبتذلة وأبيات متوسطة وأبيات ضعيفة مرذولة وأبيات وحشية غامضة مستكرهة وأبيات معدودة بديعة وأن وحشيتها مستنكرة يروع السمع ويهول القلب ويكد اللسان ويعبس معناه في وجه كل خاطر ويكفهر مطلعة على كل متأمل أو ناظر ولا يقع بمثله التمدح والتفاصح[2] .

ثم ذكر آيات كثيرة وبَينً أسرار إعجازها بياناً شافياً قال محقق الكتاب : « ما رأيك في قوله تعالى : ﴿ **إن فرعون علا في الأرض وجعل أهلها شيعاً يَستضعفُ طائفة منهم يذبح أبناءهم ويستحي نساءهم إنه كان من المفسدين** ﴾ « القصص ٤ » ؟ هذه تشتمل على ست كلمات ، سناؤها وضياؤها على ما ترى وسلاستها وماؤها على ما تشاهد ورونقها على ما تعاين ، وفصاحتها على ما

١ ـ مقدمة إعجاز القران للسيد صقر ص ٧٨

٢ ـ إعجاز القران للباقلاني ص ٢٤٣ ونحوه مقدمة إعجاز القران ص ٧٩ .

تعرف ، وهي تشتمل على جملة وتفصيل وجامعة وتفسير ، ذكر العباد في الأرض باستضاف الخلق بذبح الولدان وسبي النساء ، وإذا تحكم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونها ؟ لأن النفوسَ لا تطمئن على هذا الظلم والقلوب لا تقر على هذا الجور . ثم ذكر الفاصلة التي أوغلت في التأكيد وكفت في التظليم وردت آخر الكلام على أوله ، وعطفت عجزه على صدره . ثم ذكر وعد تخليصهم بقوله : ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾ (القصص ٥) وهذا من التأليف بين المؤتلف والجمع بين المستأنس[1] . ونحب في هذا الشأن أنْ نوضح بعض الآراء التي قيلت عن كتاب الباقلاني وذلك بشيء من الإيجاز » .

وقد أفرد الدكتور عبد الرؤوف مخلوف دراسة تحليلية قيمة للباقلاني وكتابه إعجاز القرآن .

ويرى الدكتور مخلوف أن الباقلاني قد إعتمد في أوجه الإعجاز على أوجهٍ ثلاثة : قال : إذا كان الباقلاني قد جعل الإعجاز في القرآن من ثلاثة وجوه هي الإنباء عن الغيوب وأمية الرسول وبديع النظم وتقرير واقع الأمر أنه جعل الوجه الثالث إبداع النظم هو الوجه الذي استأثر بجهوده وانعقدت له أكثر فصول كتابه إعجاز القرآن »[2] . كما بين الدكتور مخلوف مواطن النقل عند الباقلاني وعقد مقارنات فنية بينه وبين سابقيه في دراسات الإعجاز[3] كما بين أن بعض العلماء المحدثين قد تأثروا بالباقلاني يرى أنه قد فتح الباب لهؤلاء .

ويقول في هذا الشأن : « إن علماء محدثين قد إستجابوا لدعوة الباقلاني وأخذوا يمضون على المنهج الذي فتح بابه ويمشون في الطريق الذي رسم معالمه

١ ـ إعجاز القران الباقلاني ص ٢٩٤
٢ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القران ص ١٨٣
٣ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القران أنظر مثلا ص ٥١٢ ص ٥٢٢

ولكنا ما زلنا في أول الطريق ، إن من هذا القبيل كتاب من بلاغة القرآن للدكتور أحمد بدوي وكتاب التفسير البياني للقرآن الكريم لبنت الشاطىء ويمكن أن نلحق بذلك ما جاء في كتاب « الظاهرية القرآنية » « لمالك بن نبي »[1]. ويقرر الدكتور مخلوف حقيقة حرية بالإعتبار وهي أن النقل عن العلماء ليس عيباً في شريعة العلم ويقول : « على أنه حيث يثبت أن الباقلاني إطلع على كتابات السابقين وأخذ عنها فإن ذلك لا يضيره ، ولا يمنع أن يكون أصيلاً في كثير مما كتب لأنه وإن سبق بأصل الفكرة فإنه قد أعمل عقله فيها فأضاف وجدد وانقضى وأنكر والأصالة ليست إختراعاً فقد وإنما هي إنتفاع بما كتب الأولون »[2].

وتحدث الرافعي عن كتاب الباقلاني قال : « على أن كتاب الباقلاني وإنْ كان فيه الجيد الكثير وكان الرجل قد هذبه وصفاه وتصنع له إلا أنه لم يملك فيه بادرة عابها هو من غيره ولم يتحاش وجهاً من التأليف لم يرضه من سواه ، وخرج كتابه كما قال هو في كتاب الجاحظ لم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى » فإن مرجع الإعجاز فيه إلى الكلام وإلى شيء من المعارضة البيانية بين جنس وجنس من القول ، ونوع وآخر من فنونه وقدحشر إليه أمثلةً من كل قبيل من النظم والنثر ، بأكثره وغمرت جملته وعدها في محاسنه وهي من عيوبه .

وكان الباقلاني رحمه الله وأثابه ـ واسع الحيلة في العبارة مبسوط اللسان إلى مدى بعيد ، يذهب في ذلك مذهب الجاحظ ومذهب مقلده .

وما زال الباقلاني ـ رحمه الله ـ على أنْ ضمن كتابه روح عصره وعلى أن جعله في هذا الباب كالمستحث للخواطر الوافية والهمم المتاقلة في أهل التحصيل والإستيعاب الذين لم يذهبوا عن معرفة الأدب ولم يغفلوا عن وجه اللسان ولم ينقطعوا دون محاسن الكلام وعيونه ، ولم يضلوا في مذاهبه وفنونه حتى قال : إنَّ

---

١ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القران ص ٥٢٣ ـ ٥٢٧

٢ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القران ص ٥٢١

الناقص في هذه الصنعة كالخارج عنها ، والشادي[1] فيها كالبائن منها ، وقد كانت علوم البلاغة لم تهذب لعهده .

٣ ـ القاضي عبد الجبار المتوفى سنة ٤١٥ هـ :

من العلماء الذي تحدثوا عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم أبو الحسين عبد الجبال الأسدي أبادي وكان معاصراً للباقلاني ويرجع الدكتور مخلوف أن القاضي عبد الجبار قرأ كتاب الباقلاني وقال : « وأرجح أنه قرأ ذلك الكتاب واطلع عليه[2] ولم يعرض عبد الجبار رأيه مباشرة في الإعجاز بل قدم دراسة لإسرار البلاغة وحول الكلام الفصيح . أما رأيه في أوجه الإعجاز فقد تحدث عنه في كتابه المسمى المغني في أبواب التوحيد وخاصة في الجزءع السادس عشر[3] من الكتاب . وقدم الأستاذ عبد الكريم الخطيب تلخيصاً لوجهة نظر القاضي عبد الجبار في أوجه الإعجاز .

نحب أن نشير إليه بشيء من الايجاز .

قال : « وبعد أن انتهى « عبد الجبار » من تقرير هذه الحقيقة ، وهي أن نظم الكلام يقع فيه التفاوت بحسب علم الناس بمواضعات اللغة ثم بما في نفوسهم من إستعدادات ذاتية موهوبة غير مكتسبة بعد أن انتهى من هذا وصل إلى نتيجة كان يمهد لها هذا التمهيد الطويل ، وهي أن النظم القرآني قد جاء على هذا الاتجاه الذي يتفاضل فيه الكلام ويتقدم بعضه على بعض . . ثم حيث انتهت غايات البيان العربي وحيث لم يكن للبلغاء والفصحاء مذهب وراء هذا

١ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ١٧٢ ، ١٧٣ وانظر رأي بنت الشاطىء في كتابها الإعجاز البياني في القرآن الكريم ص ١٨ وما بعدها .

٢ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٧٥

٣ ـ المغني في أبواب التوحيد ١٦/١٩٢ وما بعدها تحقيق أمين الخولي .

أخذ القرآن الكريم رأية البيان وسار بها أصواطاً بعيدة وأرباب البلاغة والبيان واقفون مشدوهين مأخوذين ، كأنما أمسكت الأرض بهم لا يتحركون قيد أنملة يدخلون بها هذا الحمى ، الذي لا تقوم بينهم وبينه حواجزاً وحوائل .

يقول عبد الجبار بعد أن ذكر معجزات موسى وعيسى ، وأنها جاءت على سمت أقوامهم ، وفي إتجاه منازعهم التي كانوا يتجهون إليها يقول : « وعلى هذا الوجه أجرى الله تعالى عادة الرسول صلى الله عليه وسلم في أن خصه بالقرآن ، الذي هو مشاكل لصناعتهم وطريقتهم ، غير خارج عن الأمر الذي يشتد به إهتمامهم ، ويقوى له إفتخارهم وتظهر فضائلهم ومحاسنهم لكي تقل الشبه للعارف المقدم ، فيعرف أضرار المباينة ، والإتباع فيعرفون بعجز الرؤساء منهم ، مع توافر الدواعي ، مثل ما يعرفه ذوو البصيرة منهم وتقوى دواعيهم إلى النظر حالاً بعد حال ، من حيث لا يغيب عن الإسماع على طول الدهر ولدخوله في جملة الباب الذي يقع منهم فيه التنافس ولأن وجه الإعجاز فيه لا يتغير على الأيام ، كما أن شريعته لا تزول على الأوقات »[1] .

ويعقد « عبد الجبار » فصلاً طويلاً يحاول أن يجيب فيه على هذا السؤال : هل يصلح الكلام أن يكون مادة للتحدي ؟ وإذا صلح فهل يتسع هذا التحدي لقيام معجزة ؟ . وكان « عبد الجبار » يريد بهذا أن يكشف شبهة ربما قامت في بعض العقول وهي « الإعجاز بالكلمة » إذ ما عرف من المعجزات قبل القرآن كان يقوم على أشياء مادية محسوسة ، تتحدى قوى الناس جميعها . فتبهرهم بأفاعيلها وتخرسهم بآثارها وأعاجيبها . . أما أن يكون الكلام مادة للتحدي فذلك ما لم يعده الناس قبل القرآن ، ولم يتصوروا وقوعه في الحياة يوماً من الأيام . يقول « عبد الجبار » « إن الكلام الفصيح مراتب ومهايات وأن جملة الكلمات ،

---

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢١٠

وإن كانت محصورة ـ فتأليفها يقع على طرائق مختلفة من الوجوه . . فتختلف لذلك مراتبه في الفصاحة فيجب ألا يمتنع أن يقع فيه التفاضل ، وتبين بعض مراتبه من بعض ، ويزيد عليه قدراً يسيراً أوْ كبيراً . « وما هذا حاله ، فالتحدي صحيح فيه . . لأن فيه مقادير معتادة تصح فيها زيادات في الرتب غير معتادة ، وصار ذلك في بابه بمنزلة مقادير معتادة تصبح فيها زيادات في مراتب غير معتادة فكما صح فيما حل هذا المحل التحدي به ، فكذلك القول فيما ذكرناه في الكلام » .

يريد عبد الجبار أن يقول : إنَّ الكلام الفصيح مراتب ، يعلو بعضها بعضاً أشبه بالمقادير المحسوسة يزيد بعضها في جنة على بعض وهي بهذا صالحة لأن يتحدث بها ، وذلك كأن يكون المعتاد أن يحمل الناس ما وزنه قنطاراً أو قنطارين[1] .

ويحاول الدكتور عبد الرؤوف مخلوف أن يقارن بين الباقلاني والقاضي عبد الجبار في أوجه الإعجاز فيقول :« إن الفرق بين كتاب الباقلاني وبين كتاب عبد الجبار هو أن « كتاب الباقلاني قصر على قضية الإعجاز من الناحية الفنية بينما كتاب عبد الجبار يتناول طائفة من قضايا التوحيد والعدل ويناقش كثيراً من القضايا المتصلة بالقرآن وإن لم تكن من الإعجاز الفني في الصميم[2] .

٤ ـ القاضي عياض المتوفى سنة ٥٤٤ هـ :

قد تحدث عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم القاضي عياض وقد حصر أوجه الإعجاز في القرآن الكريم بأربعة أوجه[3] .

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٢١١
٢ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن ص ٤٧٥
٣ ـ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض ١/ ٢١٧ وما بعدها

إذ جعل الأول لحسن تأليفه والتئام كلمة وفصاحته ، والثاني لنظمه وأسلوبه القريب المخالف لأساليب العرب والثالث لما انطوى عليه من غيبيات والرابع لما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة[1] .

وقد ذكر جلال الدين السيوطي رأي القاضي عياض ملخصاً في كتابه الإتقان . قال السيوطي : « وقال القاضي عياض في الشفا أعلم أن القرآن منطو على وجوه من الإعجاز كثيرة وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه أولها حسن تأليفه والتئام كلمة وفصاحته ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن ، والثاني صورة نظمه العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنها نظمها ونثرها الذي جاء عليه ووقفت عليه مقاطع آياته وانتهت إليه فواصل كلماته ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له قال : وكل واحد من هذين النوعين الإيجاز والبلاغة بذاتها والأسلوب الغريب بذاته نوع إعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الإتيان بواحد منهما إذ كل واحد خارج عن قدرتها مباين لفصاحتها وكلامها خلافاً لمن زعم أن الإعجاز في مجموعة البلاغة والأسلوب ، الوجه الثالث ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد . الرابع ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والأمم البائدة والشرائع الدائرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك فيورده صلى الله عليه وسلم على وجهه ، ويأتي به على نصه وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب قال فهذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينه لا نزاع فيها ، ومن الوجوه في إعجازه غير ذلك أي وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله لليهود : فتمنوا الموت إن كنتم صادقين ولن تمنوه أبداً فما تمناه أحد منهم وهذا الوجه داخل في الوجه الثالث ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم

---

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣١١ حتى ص ٣١٦ بتصرف

والهيبة التي تعتريهم عند تلاوته وقد أسلم جماعة عند سماع آيات منه كما وقع لجبير بن مطعم أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور قال فلما بلغ هذه الآية : أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون إلى قوله المسيطرون . كاد قلبي أن يطير وذلك أول ما وقر الإسلام في قلبي وقد مات جماعة عند سماع آيات منه أفردوا بالتصنيف ثم قال ومن وجوه إعجازه كونه آية باقية لا يعدم ما بقيت الدنيا مع ما تكفل الله بحفظه ومنها أن قارئه لا يمله وسامعه لا يمجه بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة وغيره من الكلام يعادي إذا أعيد ويمل مع الترديد ولهذا وصف صلى الله عليه وسلم القرآن بأنه لا يخلق على كثرة الرد ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد من كلمات قليلة وأحرف معدودة قال وهذا الوجه داخل في بلاغته فلا يجب أن يعد فناً مفرداً في إعجازه قال والأوجه التي قبله تعد في خواصه وفضائله لا إعجازه وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة الأول فليعتمد عليها »[1] .

٥ ـ السكاكي المتوفى سنة ٥٦٧ هـ :

من العلماء الذين تحدثوا عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم أبو يعقوب يوسف بن البكر بن علي السكاكي صاحب كتاب مفتاح العلوم في البلادة « وقد نقل رأيه في الإعجاز جلال الدين السيوطي في كتابه الأثقان قال السيوطي : « يقول السكاكي في المفتاح : « اعلم أن الإعجاز يدرك ، ولا يمكن وصفه ، كاستقامة الوزن . . تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحة . . وكما يدرك طيب النغم العارض للصوت ، ولا يدرك تحصيله لغير ذي الفطرة السليمة إلا بإتقان علمي البيان والمعاني والتمرين فيهما »[2]. ويعقب الخطيب على القول السابق

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٢٢ ، ١٢٣

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/ ١٢٠

ويقول : « وما يقوله السكاكي عن إعجاز القرآن هنا هو مقطع القول كله في هذا الأمر إذ ليس الإعجاز الذي رآه الناس من أمر القرآن إلا روعة تملكهم ، وإلا جلالاً يحيط بهم إنها معان تدرك وتستشعر ولا توصف . .

ولهذا فإن الناس من القرآن الكريم على منازل ودرجات وحظوظ كل ينال منه بقدر ما عنده من إستعداد للتجاوب العقلي والروحي والنفسي معه . . إنه كما يقول الرسول الكريم : « مأدبة الله » ينال كل منها بقدر ما تصل إليه يده ، وتمتد إليه عينيه ، وتشتهيه نفسه »[1].

٦ ـ الزملكاني المتوفى سنة ٦٥١ هـ :

تحدث العالم الجليل الشيخ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم المعروف بالزملكاني عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى رأيه من خلال كتابه « البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن » وقد حققه عالمان جليلان من العراق الشقيق ، هما : الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي .

وقد لخَّص العالمان رأي الزملكاني في أوجه الإعجاز وذلك في تقديمهما للكتاب والذي يهمنا في هذا الشأن ما قيل في الإعجاز حيث تحدث المؤلف في القسم الأول من الكتاب في إعجاز القرآن الكريم قال المحققان : « والقسم الأول من الكتاب في إعجاز القرآن الكريم ، وقد تحدث به عن الآراء المختلفة في هذه المسألة وعرض رأيه ، ثم تحدث عن المقاصد وهي أربعة : معرفة الله تعالى ، وذكر الطريق المسلوك إليه ، والغاية التي ينتهي إليها السالكون ، وأحوال السالكين »[2]. وتحدث في القسم الثاني فيما يتعلق بالدلالات الإفرادية ، وقد

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٣٣

٢ ـ مقدمة البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ٢٧

تكلم فيه على مادة الكلمة وهيئتها وجهة دلالتها وفيما يجب من مراعاة موارد القرآن وهي ما يتصل بالحقيقة والمجاز من مباحث كالمجاز الإفرادي والكناية والإستعارة والتشبيه والتمثيل والمعرفة والنكرة . وختم هذا القسم بالحديث عن مفردات لم تدخل تحت الضبط مثل : كل وجميع وجملة واسم الإشارة واللهم والأسماء المضافة إلى الجمل وكاد وفعل وفاعلت وأفعل و« أن » والهمزة وما النافية وما وإلا ولَوْ وَلاَ ولَنْ وألا وأمَّا . والقسم الثالث فيما يتعلق بمراعاة أحوال التأليف وقد بدأ بالحديث عما يجب على الناثر والناظم مراعاته ، وذكر أمثلة تدل على غور النظم ودقة رموزه . ثم تحدث عن تقديم الاسم على الفعل وتأخيره وخبر المبتدأ وتقديم بعض الأسماء على بعض والإيجاز والتأكيد والحذف والمفعول به وتنازع الفعلين والحال والتمييز والفصل والوصل وأسباب التقديم والتأخير وما يتحقق به تفاضل العبارات ودلالة الكلام ، وصلة الألفاظ بالمعاني ، والإفراط والنزول والإعراض عن صريح الحكم واللف والنشر والإلتفات والتفسير وختم الكتاب بخلاصة لفكرة النظم التي شرحها عبد القاهر في دلائل الإعجاز »[1]. وقد تحدث السيوطي عن رأي الزملكاني في الإعجاز قال الزملكاني : « وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص لا مطلق التأليف . . بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزنة ، وعلت مركباته معنى بأن يوقع كل من في مرتبة العليا في اللفظ والمعنى »[2].

وعقب الخطيب قال : « وهذا تَعْميمٌ أيضاً . . إذ ما هو التأليف الخاص وما حدوده ؟ وهل كل كلام إعتدلت مفرداته تركيباً وزنة يحوز البلاغة كلها ، ويستولي على زمام البيان ثم الإعجاز ؟

وواضح هذا الرأي أن اللفظ والمعنى معاً قد كانا مناط الإعجاز في القرآن

---

١ ـ مقدمة البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ٢٧

٢ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢ / ١١٩

حيث ارتفع بهما النظم القرآني إلى المرتبة العليا التي لا ينالها أحد »[1].

٧ ـ جلال الدين السيوطي المتوفي سنة ٩١١ :

تحدث جلال الدين السيوطي عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وذكر آراء العلماء وذلك من خلال كتابه الإتقان في علوم القرآن .

ويلحظ القارىء أن السيوطي قد نسب بعض الآراء لأصحابها في الإعجاز كالباقلاني والزملكاني وابن عطية والرازي والأصبهاني والمراكشي والزركشي والسكاكي[2]. أما بقية الآراء فلم ينسبها لأصحابها نحو قوله : حيث استخدم « زعم قوم » أو « آخرون » ومثالاً على ذلك قال : « زعم قوم أن التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات وأن العرب كلفت في ذلك ما لا يطاق به وقع عجزها[3]. وقال : « وقال قوم وجميع إعجازه ما فيه من الأخبار عن الغرب المستقلة ولم يكن ذلك من شأن العرب » .

وقال آخرون : « ما تضمنه من أخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها » . وقال آخرون : « ما تضمنه من أخبار عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل »[4].

وقد تحدث عن الإعجاز في مواطن متفرقة من كتابه الإتقان ويرى أن القرآن معجز في شتى المجالات تحت عنوان ، فائدة : قال : الحكمة في تسوير القرآن سوراً تحقيق كون السورة معجزة »[5]. ويرى أن كل سورة معجزة بصرف

---

١ ـ الإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٣٧
٢ ـ الإتقان ٢/١١٨ وما بعدها
٣ ـ الإتقان ٢/١١٨
٤ ـ الإتقان في علوم القرآن ٢/١١٨
٥ ـ الإتقان ١/٦٦

النظر عن العدد الكمي للآيات القرآنية وسورة الكوثر ثلاث آيات معجزة إعجاز سورة البقرة » ثم ظهرت لذلك حكمة في التعليم وتدرج الأطفال من السور القصار إلى ما فوقها تيسراً من الله على عباده »[1] .

فأما عن بيان القرآن فقال : « فهو أشرف بيان وأهداه وأكمله وأعلاه وأبلغه »[2] . وحاول السيوطي أن يجمع آراءه فيما بعد في كتابه « معترك الإقران في إعجاز القرآن إذ ذكر أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم تشمل على خمسة وثلاثين وجهاً كتصرف الكلمات والنظم والبلاغة والأخبار عن الغيوب والمستقبل وروعته وهيبته وحب سماعه وتيسره تعالى لحفظه ووقوع الحقائق [3] .

ويجدر بنا قبل أن ينتهي بنا المطاف حول آراء العلماء في أوجه الإعجاز في القرآن الكريم أن نشير إلى رأي أبي حيان التوحيدي وبندر الفارسي قال السيوطي : « وقال أبو حيان التوحيدي سئل بندر الفارسي عن موضع الإعجاز من القرآن فقال هذه مسألة فيها حيف على المعنى وذلك أنه شبيه بقولك ما وضع الإنسان من الإنسان فليس للإنسان موضع من الإنسان بل متى أشرت إلى جملته فقد حققته ودللت على ذاته كذلك القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاولة وهدى لقائله وليس من طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده[4] .

وقد نقل الأستاذ عبد الكريم الخطيب رأي أبي حيان قال : « وأبو حيان وإن يكن يروي هذا الرأي رواية ، وبنسبه إلى غيره فهو في الواقع رأيه هو أو أنه

---

١ ـ الإتقان ١/ ٦٦ بتصرف

٢ ـ الإتقان ٢/ ١٧٩

٣ ـ معترك الإقران في إعجاز القرآن ص ١/ ١٥ وما بعدها .

٤ ـ وانظر خاصة ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ حتى ٥١٤ الإتقان في علوم القرآن ٢١/١٢٠

أخرج هذا الرأي على الوجه الذي يرضاه ، وبأسلوبه الفلسفي الـذي عرف به وعلى أي فإنً أبا حيان إنْ لم يكن قائل هذا الرأي فهو راض عنه ، معتقـد له والرأي الذي يذهب إليه أبو حيان أو بندر الفارسي في إعجاز القرآن هو أن القرآن معجزة في ذاته ، فلا يمكن أن يقال : أين المعجزة فيه ، أو منه ؟ فكأن القائل بهذا يقول : أين المعجزة في المعجزة ؟ أو أين الإنسان في الإنسان ؟

ولا شك أن هذه مغالطة من أبي حيان . . فإن كون القرآن هو معجزة بحد ذاته لا يمنع أن يعرف الناس وجه الإعجاز في المعجزة وذلك فيما يبدو للناس منها حسب وقعها عليهم . . . إذ أنهم لا محالة حين يواجهون المعجزة القرآنية ـ يعرفون أين مكان « الضغط » منها على قلوبهم وعقولهم ؟ وطبيعي ألا يكون ذلك مكاناً واحداً ولا جهة واحدة ، بل هو أمكنة لا تعد وجهات لا تحصى ولهـذا اختلفت الآراء فيها وتعددت ومع هذا الإختلاف وهـذا التعـدد فإن الإعجـاز مطلب لا يفتر الناس أبداً عن البحث عنه ، والتهدي إليه إذ يجدون دائماً آثاره مشتملة عليهم كلما قرأوا شيئاً من كتاب الله أو استمعوا له »[١].

وعندما نقف مع الرد السابق ورأي أبي حيان »[٢] نلحظ أن أبـا حيان لا يريد أن يمنع القارىء أو الباحث من البحث عن الإعجاز فهو يرى أن الإعجاز واضح كوضوح الشمس ساطع البرهان يستطيع أن يلمح إعجازه .

الخلاصة :

نلحظ أن العلماء الذين درسوا أوجه الإعجاز قد اتفقوا على كونه معجزاً

---

١ ـ الإعجاز في دراسات الصابقين ص ٣٣٠
٢ ـ الإتقان ٢/ ١٢٠ ، ١٢١

واختلفوا في التفاصيل فقط فمنهم من ركز على بلاغته وعجيب نظمه وبديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين وإنما هو على حد واحد في حسن النظم وبديع التأليف والوصف خارج عن وحشي الكلام وغريبة وعن التكلف يسير إلى القلب شفاء ورحمة بينما قد يتفاوت كلام الناس عند إعادة القصة الواحدة إن كلام الفصحاء يتفاوت تفاوتاً بيناً . ولكن القرآن الكريم يسمو في ذلك سمواً منقطع النظير كما كان للمعاني دورٌ بارزٌ في إعجازه فقد وضع أصل الشريعة والأحكام والإحجاجات والرد على الملحدين . فقد بهر العرب وهم أصحاب بيان وبلاغة ، وجعلهم عاجزين أمامه ومنهم من ذهب إلى القول بأن إعجازه في أخباره عن الغيوب والمستقبل وتفرده بهذه الأخبار الصادقة وهم في الوقت ذاته لا ينكرون بلاغته وروعة أسلوبه وما اشتمل عليه النظم من خصائص وصفات انفرد بها عن المألوف في أساليب العرب وعلمائهم .

الفصل الرابع

موقف العلماء المحدثين من الإعجاز

ذهب بعض العلماء المحدثين إلى ما ذهب إليه القدماء من دراسات حول الإعجاز القرآني، وأوجه الإعجاز فيه : ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى آرائهم بشيء من الإيجاز طبقاً لما يتطلبه مقام البحث ولتصبح الرؤ يا واضحة أمامنا حول هذه الدراسة .

١ ـ الرافعي المتوفى سنة ١٩٣٧ م

تحدث الرافعي عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وبدأ في أول مؤلفه الحديث عن مؤلفات العلماء السابقين في الإعجاز »[١]. أما وجهة نظره في أوجه الإعجاز فقال : « أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر وإنضاج الرؤ ية ، وما إستخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه واطراد أسلوبه ، ثم ما تعاطيناه لذلك من التنظير والمقابلة واكتفاه الروح التاريخية في أوضاع الإنسان ، وآثاره وما نتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يقصد إليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوي التي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة

---

١ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ١٦٩ وما بعدها .

التأليف وأحكام الوضع وجمال التصوير ، وشدة الملاءمة ، حتى يكون أصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه ـ نقول إن الذي صهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا ، إن القرآن معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن ، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة ، وإنما هو أثر كغيره من الآثار الإلهية يشاركها في إعجاز الصنعة وهيئة الوضع وينفرد عنها بأن له مادة من الألفاظ كأنها مفرغة إفراغاً من ذوب تلك المواد كلها وما نظمه إلا الصورة الروحية للإنسان ، إذ كان الإنسان في تركيبه هو الصورة الروحية للعالم كله .

فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الإنساني ومعجز كذلك في حقائقه ، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء ، فهي باقية ما بقيت[1] .

ثم بدأ الرافعي يتحدث عن إعجاز القرآن مبيناً مفرداته اللغوية وتأثيره على اللغة العربية قال : « وإنما شباب هذه الحياة اللغوية أن تكون اللغة لينة شديدة كما يكون كمال الإنسان بقوة الخلق والخلق وهذا وجه لو لم يقمها عليه القرآن لما إستقامت أبداً ، ولا وقفت على طريقة ، ولا تلاقى فيه آخرها بأولها ، لما أومأنا إليه ، وسنزيد هذا المعنى بياناً إن شاء الله ، وبقي وجه آخر من تأثير القرآن في اللغة ، وهو إقامة أدائها على الوجه الذي نطقوا به، وتيسير ذلك لأهلها في كل عصر ، وإن ضعفت الأصول واضطربت الفروع ، بحيث لولا هذا الكتاب الكريم لما وجد على الأرض أسود ولا أحمر يعرف اليوم ولا قبل اليوم كيف كانت تنطق العرب بألسنتها وكيف تقيم أحرفها وتحقق مخارجها[2] .

وقال في موضع ثان : «لا نتكلم في هذا الفصل عن الوجوه اللغوية التي

---

١ ـ إعجاز القران للرافعي ص ١٧٥

٢ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ٨٤

ابتدعها القرآن في الكلام فصارت من بعده نهج الألسنة والأقلام ولا عن وجوه تأثيره باللغة فإنّ لكل من ذلك موضعاً هو أملك به و إنما نقص لك طرفاً من القول في هذه اللغة كيف ظهرت في آياته للزمان حتى لا يُظن أنها لغة عصرها ، وكيف بهرت بغاياته في البيان حتى ليقال إنها لغة دهرها وكيف جاوز بها قدرها الطبيعي بعد أن صار هو من قدرها نزل القرآن الكريم بهذه اللغة على نمط يعجز قليله وكثيره معاً فكان أشبه شيء بالنور في جملة نسقه ، إذ النور جملة واحدة و إنما يتجزأ باعتبار لا يخرجه من طبيعته ، وهو في كل جزء من أجزائه وفي أجزائه جملة لا يعارض بشيء إلا إذا خلقت سماء غير السماء وبدلت الأرض غير الأرض و إنما كان ذلك لأنه صفي اللغة من أكدارها ، وأجراها في ظواهرها على بواطن أسرارها ، فجاء بها في ماء الجمال أملأ من السحاب وفي طراءة الخلق أجمل من الشباب ، هو بما تناول بها من المعاني الدقيقة التي أبرزها في جلال الإعجاز ، وصورها بالحقيقة وأنطقها بالمجاز ، وما ركبها به من المطاوعة في تقلب الأساليب ، وتحول التراكيب إلى التراكيب ، فقد أظهرها مظهراً لا يقضي العجب منه ، لأنه جلاها على التاريخ كله لا على جيل العرب بخاصته ، ولهذا بهتوا لها حتى لم يتبينوا أكانوا يسمعون بها صوت الحاضر أم صوت المستقبل أم صوت الخلود لأنها هي لغتهم التي يعرفونها ولكن في جزالة لم يمضغ لها شيح ولا قيصوم »[1].

ثم تحدث بعد ذلك عن النتيجة قال : « وليس في تاريخ العرب اللغوي من ذلك بالتحقيق قبل القرآن ولا بعده غير القرآن » تلك سياسة هذا القرآن جمع العرب لمذهب الأقدار وتصاريف التاريخ : رأي ألسنتهم تقود أرواحهم ، فقادهم من ألسنتهم وبذلك نزل منهم منزلة الفطرة الغالبة التي تستبد بالتكوين

---

١ ـ إعجاز القرآن للرافعي ٨٦ يقال فلان : يمضغ الشيح والقيصوم إذا كان عربياً خالص البداوة وهما نبتان من نبات البادية .

العقلي في كل أمة ، فتجعل الأمة كأنما تحمل من هذا العقل مفتاح الباب الذي تلج منه إلى مستقبلها فإن كل أمة تستفيد عقلها الحاضر من ماضيها ، لتفيد مستقبلها من هذا العقل بعينه ، فلما استقاموا له أقامهم على طريق التاريخ التي مرت فيها الأمم ، وطرحت عليها نقائصها فكانت غبارها وأقامت فضائلها فكانت آثارها ، فجعلوا يبنون عند كل مرحلة على أنقاض دولة دولة ، ويرفعون على أطلال كل مذلة صولة ويخيطون جوانب العالم الممزق بإبر من الأسنة وراءها خيوط من الأغنة ، حتى أصبح تاريخ الأرض عربياً ، وصار بعد الذلة والمسكنة أبياً ، واستوسق لهم من الأمر ما لم ترو الأيام مثل خبره لغير هؤلاء العرب ، حتى كأنما ذويت لهم جوانب الأرض ، وكأنما كانوا حاسبين يمسحونها لا غزاة يفتحونها ، فلا يبتدىء السيف حساب جهة من جهاتها حتى تراه قد بلغ بالتحقيق »[1] .

ويرى الرافعي أن من أوجه إعجاز القرآن أنه جمع العرب ومزق العصبية الجاهلية وجعلها عصبية روحية قال : « ولقد كان من إعجاز القرآن أن يجمع هؤلاء الذين قطعوا الدهر بالتقاطع على صفة من الجنسية لا عصبية فيها إلا عصبية الروح إذ أخذهم بالفطرة حتى ألف بين قلوبهم وساوى بين نفوسهم[2] . كما تحدث عن أثر القرآن في العلوم[3] . وخاصة الآيات الكونية والعلمية .

قال الرافعي : « ثم أن في ذكر الآيات الكونية والعلمية في القرآن دليلاً على إعجاز آخر فهو بذلك يومىء إلى أن الزمن متجه في سيره إلى الجهة العلمية القائمة على البحث والدليل ، وأن الإنسانية ذاهبة في أرقى عصورها إلى هذا المذهب وأن الدين سيكون عقلياً وأن العقل هو آخر أنبياء الأرض ، فوجود ذلك فيه قبل

---

١ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ٨٧
٢ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ٩٢
٣ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ١٢٧

أن يوجد ذلك في الزمن بأربعة عشر قرناً ، شهادة ناطقة من الغيب لا يبقى عليها موضع شبهة فإن أسفر الصبح وبقي بعض الناس نياماً لا يرونه وقد ملأ الدنيا فذلك من عمى النوم في أعينهم ، وآخرون لا يرونه من نوم العمى في أعينهم والصبح فوق هؤلاء وهؤلاء ومن أبصر فلنفسه ومن عمى فعليها »[1] .

أما الأسلوب القرآني وصور إعجازه فكان له حظ وافر من الدراسة[2] ويحاول الرافعي في تبيان حقيقة الاعجاز أن يعترف قائلاً : « ولسنا ندعي أننا أشرفنا على الأمد وأوفينا على معجزة الأبد ، فإن هذا أمر ضيق كثير الإلتواء لمن تلمس جوانبه واقتحم مصاعبه وما أشبه القرآن الكريم في تركيب إعجازه وإعجاز تركيبه بصورة كلامية من نظام هذا الكون الذي اكتنفه العلماء من كل جهة ، وتعاوروه .

٢ ـ الشيخ محمد أبو زهرة :

تحدث الشيخ محمد أبو زهرة عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم وذلك في كتاب أسماه « المعجزة الكبرى » .

تحدث الشيخ أبو زهرة عن الكون وسننه ونظامه وبين أن هناك أموراً تحدث خارقة للعادة وهذه خارقة للعادة وهذه هي المعجزة[3]. ثم تحدث عن المعجزات السابقة للأنبياء خاصة إبراهيم وموسى عليهما السلام[4]. وهي معجزات حسية ويتساءل الشيخ أبو زهرة عن كون معجزة محمد عليه السلام معنوية ومعجزات الأنبياء السابقين مادية حسية ويقول في ذلك ، ومعجزة

---

١ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ١٤٦
٢ ـ إعجاز القرآن للرافعي ص ٢٢٣ ، ٢٣٨ ، ٢٤٩
٣ ـ المعجزة الكبرى ص ٨ بتصرف
٤ ـ المعجزة الكبرى ص ٩ بتصرف

محمد صلى الله عليه وسلم معنوية فقد كانت بياناً يتلى ، وذكراً حكيماً يحفظ فيه بيان الشرائع المحكمة الخالدة .

قبل أن نخوض في الإجابة عن السؤ ال الوارد في موضعه ، نقرر أن كون المعجزة مادية حسية تبهر الأعين بادىء الرأي لا يدل على علو المنزلة أو عكسها ولكنها حكمة الله تعالى العليم بكل شيء القادر على كل شيء والله تعالى فضل بعض الرسل على بعض فمنهم من كَلَّمَ الله ورفع بعضهم فوق بعض درجات ، ولكن ليست الرفعة بكون الآيات مادية حسية ، بل بأمور قدرها الحكيم العليم الذي له وحده حق نوع التفضيل والرفعة »[1] .

والحقيقة أن الشيخ أبا زهرة قد أجاب على سؤ اله السابق وأعاد ذلك لإرادة الله وحكمته إلا أنه أخذ في شرح المعجزات ويناقش معجزة موسى عليه السلام وأنها كانت مناسبة لأهل مصر وإن السحر والكهانة كانا منهم ، ثم تحدث عن معجزة إبراهيم وعيسى وذكر أن عصر عيسى عليه السلام شاع في علم الطب[2] ويقول في هذا الشأن : « وهكذا نجد أن معجزات عيسى عليه السلام ورسالته كانت إيقاظاً شديداً لعصره ، وتنبيهاً لمكان الروح ، وسلطانها وبياناً لمقدرة الله تعالى ، وأنه الفعال لما يريد ، فكانت رسالته ومعجزاته مناسبة لعصره[3] . .

أما معجزة محمد عليه السلام فكانت خالـدة إذ يرى لما فيهـا من أخبـار السابقين مناسبة لكل عصر ولما يستقبل . إنّها المعجزة الخالدة فيقول في هذا الشأن « ولكن معجزة محمد عليه السلام كانت من نوع آخر ، لم يكن حادثة تقع وتزول من غير بقاء لها إلا بالخبر بل كانت قائمة تخاطب الأجيال ، يراها ويقرؤ ها الناس

---

١ ـ المعجزة الكبرى ص ١٠
٢ ـ المعجزة الكبرى ص ١١
٣ ـ المعجزة الكبرى ص ١٢

في كل عصر ونقول إنها مناسبة لرسالة النبي محمد صلى الله تعالى عليه وسلم لعمومها في الأجيال ولمكانته بين الرسل ومقامه في هذا الوجود الإنساني إلى يوم القيامة .

إن معجزات الأنبياء السابقين لا يعلم وقوعها على وجه اليقين إلا من القرآن فهو الذي سجل معجزات نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام ، ولولا أنه سجلها ما علمها الناس ، وإذا كانت بعض الكتب القائمة اليوم ذكرت بعضها فقد ذكرته مشوباً بأمور غير صادقة كأخبارهم بأن لوطاً كان مخموراً فوقع على ابنتيه ، وما يكتب فيه مثل هذا عن بعض النبيين لا يمكن أن يكون مقبول الخبر عن سائرهم ومعجزاتهم .

ونقول : إنَّ معجزة محمد عليه السلام كانت القرآن لقد أجرى الله تعالى على يديه خوارق عادات أخرى مثل إخباره عن بعض ما يغيب عن حسه ، ومثل حنين الجذع إليه ، ومثل بكاء الناقة عنده ومثل الإسراء والمعراج ، ولكن لم يتحد إلا بالقرآن الكريم ولم يرى المشركون صرحاً شامخاً يتحداهم به سوى القرآن الكريم[١] ويقرر : تلك المعجزة الخالدة هي القرآن الذي يتحدى الأجيال كلها أن يأتوا بمثله ، « ولو اجتمعت الجن والإنس على أن يأتوا بمثله لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً » كما ذكر الله سبحانه وتعالى في محكم التنزيل الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه هو حجة الله على خلقه ، وحجة النبي في رسالته وسجل الشريعة المحكم في بيانه ، وهو المرجع عند الإختلاف والحكم العدل عند الافتواق وهو الطريق المستقيم المرشد عند الإعوجاج من سلكه وصل ، ومن لجأ إليه اهتدى[٢] .

---

١ ـ المعجزة الكبرى ص ١٤

٢ ـ المعجزة الكبرى ص ١٥ طبعة بيروت

ويرى الشيخ أبو زهرة وجهاً آخر للإعجاز وهو العلوم القرآنية التي لا تحصى ويقول في هذا الشأن : « والعلماء يجدون فيه المعين الذي لا ينضب ، والثورة الإسلامية التي لا تنفذ فيه حكم الأمور كلها ما وقع ، وأن كل ما فيه حق ، وأنه مصلحة الدنيا والآخرة ، ما من خبر إلا له في القرآن أصل معتمد ، ونص يمكن الحمل عليه فما ترك الله الإنسان سدى ، وقد قال تعالى وقوله الحق : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » وفيه عبر الماضين وأخبار كل النبيين فهو كتاب الله الكامل فيه معاني كل الكتب المنزلة على الرسل وفيه أخبار أولئك الرسل مع أقوامهم وفيه المثلات المرشدة ، والعظات الموجهة ، وفيه أعلى الآداب الإنسانية وأقوم السلوك الكامل للخلق أجمعين ، وفيه تعليم الإنسان الإتجاه إلى الكون وتعرف ما فيه ، والأخذ بالعلم من قوادمه وخوافيه وفيه الدعوة إلى العلم بكل ضروبه ، علم الإنسان ، وعلم النفس وعلم الكون ، والعلم بالنجوم في مسالكها ، والسموات في أفلاكها والأرض في طبقاتها ، فيه الدعوة إلى العلم بما لا يعلم ، وطلب في كل مداركه »[1] .

بعد أن بين الشيخ أبو زهرة أوجه الإعجاز الفكري أخذ يتحدث عن إعجاز القرآن متحدثاً عن أحوال العرب في تلقي رسالات الأنبياء وكيف تلقوا القرآن الكريم[2] وبين سر الإعجاز وذكر الصرفة وبطلانها ورأى النظام ورد الجاحظ عليه وتحدث عن وجوه الإعجاز ورأى القرطبي والرد عليه[3] .

ثم انتقل إلى الحديث عن أوجه الإعجاز البلاغي حيث تحدث عن وجوه الإعجاز البلاغي وألفاظ القرآن وحروفه كما تعرض لرأي عبد القاهر الجرجاني ورأي الباقلاني ثم وقف وقفة المتأمل مع ألفاظ القرآن وحروفه كما تعرض لرأي

---

١ ـ المعجزة الكبرى ص ١٦ ، ١٧
٢ ـ المعجزة الكبرى ص ٦٣ ، ٧٤
٣ ـ المعجزة الكبرى ٧٧ ـ ٩٦

عبد القاهر الجرجاني ورأي الباقلاني ثم وقف وقفة المتأمل مع ألفاظ القرآن مبيناً فصاحتها نحو قوله تعالى : « والصبح إذا تنفس » ثم انتقل إلى الأسلوب القرآني والتآلف بين الألفاظ[1] .

٣ ـ الدكتورة عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطىء » :

تحدثت الدكتورة عائشة عبد الرحمن عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم في كتاب أسمته : « الإعجاز البياني في القرآن الكريم » وترى الدكتورة الفاضلة أن دراسة الإعجاز تفوق كل محاولة لتحديده إلا أن ذلك في رأينا ـ لا يمنع من التعرف على ما يستطيع الإنسان أن يصل إليه » .

وقالت في هذا الشأن : « ومع إدراكي أن الإعجاز بالبياني للقرآن يفوق كل محاولة لتحديده أتقدم في خشوع إلى الميدان الجليل فأضع إلى جانب محاولات السلف الصالح ما هدى إليه عكوفي الطويل على تدبر كلمات الله من وجه في هذا الإعجاز »[2] . وإن الإعجاز ليس وقفاً على فئة معينة من الناس أو على عصر معين بل أنه خالد أبد الدهر ، وقالت بنت الشاطىء : « من إعجاز القرآن أن يظل مطروحاً على الأجيال تتوارد عليه جيلاً بعد جيل ثم يظل أبداً رحب المدى سخيَّ المورد كلما حسب جيل أنه بلغ منه الغاية امتد الأفق بعيداً وراء كل مطمع ، عالياً يفوق طاقة الدارسين »[3] .

ونحب في هذا الشأن أن نقف قليلاً مع كتاب الإعجاز البياني في القرآن الكريم لنشير إلى رأيها في أوجه الإعجاز تحدثت في مقدمة الكتاب عن العلماء

---

١ ـ المعجزة الكبرى أنظر مثلاً ص : ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٤٢ ، ١٥٢

٢ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم بنت الشاطىء ص ٢٩ ، ١٢٦

٣ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٥

الذين درسوا الإعجاز وبدأت ذلك بدراسة العلماء منذ القرن الثاني تقريباً حتى انتهت إلى العصر الحديث متحدثة عن الرافعي وكتابه في الإعجاز وأطالت في الحديث عنه مع إعتذارها للقارىء عن تلك الإطالة إذ قالت : « وأعتذر عن هذه الإطالة في نقل فقرات من مقدمة السيد الرافعي لكتاب الإعجاز « فعباراته فيها تعكس صدى رأي علماء جيله في هذا الكتاب بقدر ما تكشف لنا عن طريقته في النظر والتناول ، ومنطقة في البرهنة والإحتجاج وأسلوبه في المناقشة والجدل .

فمثل هذا التدفق جرى قلمه في موضوع الإعجاز ، وبمثل هذه الطواعية البلاغية صال وجال في الميدان كمن يقول : كم ترك الأول للآخر . . واستراح من حيث ظن أن أَلْقَمَ الأوائل والأواخر حَجَراً وقال : « في غير الجهات التي كتب فيها كل من قبله »[1] . ثم بدأت تتحدث عن الإعجاز فبدأت الحديث عن المعجزة ، والمشركين والقرآن ، والمعجزات والجدل والتحدي ووجوه الإعجاز والبيان القرآني وموقف البلاغيين من الإعجاز البياني كالخطابي والرماني والقاضي عبد الجبار والباقلاني والجرجاني »[2] .

وترى الدكتورة بنت الشاطىء أن من أسرار الإعجاز البياني في اللفظ مع النظم وتقول في هذا الشأن : « وسبق القول أن الخطابي لمح الإعجاز في اللفظ في مكانه إذا أبدل فسد معناه أوضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة » .

وهذه اللمحة الدقيقة هي كما قلت من قبل محور فكرة عبد القاهر الجرجاني في النظم ولعلها أيضاً تلتقي مع جانب من فكرتنا في الإعجاز البياني ثم نختلف بعد ذلك في إدراك مغزاها ولمح أبعادها ، وطريق الإحتكاج لها والإستدلال عليها .

---

١ ـ مقدمة الإعجاز البياني للقرآن الكريم بنت الشاطىء ص ٢٧
٢ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم بنت الشاطىء ص ٣٤ ، ١١٦ ط دار المعارف

لقد شغل البلاغيون عن الإعجاز بمباحث بلاغية قدموها بمعزل عن المعجزة لأنهم رأوا أن علوم البلاغة هي دلائل الإعجاز وسبيل فهمه على حين نتعلم نحن البلاغة من هذا القرآن ونخلص إليه لنتدبر أسرار بيانه المعجز .

ثم تتحدث عن فواتح السور وسر الحرف وتكاد تستعرض آراء كثير [١] من العلماء والمفسرين في هذا الشأن وترى أن هذه الفواتح هي إعجاز وترى أن الفواتح بدأت في السور الثلاث الأول بحرف واحد « ن ، ق ، ص » لافتة إلى سر الحرف ثم نزلت سورة الأعراف ويس ومريم وطه والشعراء والنمل والقصص بفواتح من حرفين يس ، طه ، طس ، وثلاثة طسم وأربعة :« المص »وخمسة كهيعص » وألفاظ العربية مبنية على مثل هذا العدد من الأحرف التي نزل بها الكتاب العربي المبين فلفتت إلى أن الحروف قد تتألف منها ألفاظ عجماء فإذا أخذ الحرف موضعه في البيان تجلى سره[٢] .

ثم تحدثت عن الحروف الزائدة والباء في خبر ما وليس والحروف التي أولها العلماء ثم دلالات الألفاظ والأساليب البيانية كالإستغناء عن الفاعل ورعاية الفاصلة والسجع »[٣] .

٤ ـ الأستاذ عبد الكريم الخطيب :

من العلماء الذين تحدثوا عن أوجه الإعجاز القرآني الأستاذ عبد الكريم الخطيب وجاء ذلك في كتاب سماًه أعجاز القرآن طبع بمصر عام ١٩٦٤ ونشرته دار الفكر المصرية تحدث الخطيب عن العلماء السابقين وآرائهم في أوجه الإعجاز

---

١ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٢٧ ، ص ١٣٩
٢ ـ الإعجاز البياني للقرآن الكريم ص ١٥٣
٣ ـ المصدر السابق ص ١٦٨ ، ١٧٨ ، ١٨٨ ، ١٩٤ ، ٢٢٢ .

القرآني ونحب في هذا الشأن أن نقدم بعض النماذج لإبراز رأي الباحث في هذا الشأن ، قال الخطيب تحت عنوان « المعجزة الخالدة » وإذا كان لكل نبي آياته ومعجزاته التي يؤ يد بها دعوى نبوته ورسالته فما هي المعجزة أو المعجزات التي جاء بها محمد بين يدي رسالته لتقطع على الناس طريق الشك فيه ، وفيما يدعيه ؟ لا شك عندنا في أن معجزة محمد صلوات الله وسلامه عليه هي القرآن الكريم . كما صرح بذلك القرآن نفسه في قوله تعالى : ﴿ **وقالوا لولا أنزل عليه آيات من ربه قل إنما الآيات عند الله وإنما أنا نذير مبين أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون** ﴾(العنكبوت(٥٠ـ ٥١) فهذه الآية صريحة في قطع الكافرين عن البحث في آيات أخرى غير القرآن « إن في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤ منون » . فهو الرحمة والذكرى معاً . . هو المعجزة وهو الشريعة . . ففي الشريعة يجدون الرحمة وفي الآيات التي نزلت بهذه الشريعة يرون الذكرى والمعجزة لقوم يؤ منون . . وكذلك يقول الله سبحانه وتعالى عن القرآن وموقف قريش منه : ﴿ **أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ، ولو نزلناه على بعض الأعجمين ، فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين ، كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم** ﴾ (الشعراء ١٩٧ ـ ٢٠١) .

تلك هي معجزة الرسول كما ينطق بها القرآن الكريم ومع هذا فقد حاول كثير من العلماء أن يضيفوا إلى تلك المعجزة مُعْجزات أخرى للرسول الكريم مصورة في أحداث نقلها بعض الرواة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وجعلوها من معجزاته كانشقاق القمر ونبع الماء من بين أصابعه وكتكثير الطعام القليل حتى يطعم منه الأعداد الكثيرة من الناس »[1].

---

١ ـ إعجاز القرآن ص ٩٦ ، ٩٧ للخطيب .

وبعد أن ناقش بعض القضايا الفكرية وخاصة فيما يرى أن إعجاز القرآن إنما هو حجة على من يحسن العربية ويطلب للإيمان بالدعوة معجزة شاهدة لها »[1].

ويلخص رأيه أخيراً بهذا القول : « ونستطيع بعد هذا أن ننتهي إلى مقررين : أولاً : أن القرآن الكريم معجزة في ذاته ، وأن معجزته محمولة في كلماته التي نزل بها .

ثانياً : أن المعجزة القرآنية جاءت في زمانها ومكانها ، ونزلت في أهلها الذين هم أقرب الناس إليها ، وأعرفهم بها . . إذ كانت بلاغتهم قد بلغت الغاية وكانت الكلمة في أفواههم قد أعطت كل ما يمكن أن تعطيه لإنسان فلما أخذ القرآن هذه الكلمات على صفتها تلك نفخ فيها نفخة من روح الحق فجاءت بثمر جديد وبخير كثير ، ولم يكن لها أن تعطيه أبداً في صنعة إنسان على أي لسان ولعل في قوله تعالى ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ ما يشير إلى هذا المعنى فإن كلمة حيث يعبر بها عن المكان ، والمكان يحويه زمان ويعيش فيه أشخاص وبهذا يكون إستعمال القرآن لهذه الكلمة « حيث » معجزة تنطلق منها إشارات مضيئة تشير إلى الرسول وإلى المرسل إليهم وإلى زمن الرسالة ومكانها »[2] .

فقد أصابت الرسالة مكانها في شخص الرسول ، وفي العرب المرسل إليهم في زمان ومكان معلومين .

ثالثاً : أن الأدب الجاهلي وخاصة الشعر هو المنظور إليه في معرض التحدي وهو الذي وقع الإعجاز عليه إذ كان هذا الأدب وهذا الشعر غاية ما يمكن أن يرقى إليه فن القول ، في مجال العمل الإنساني في إستصحاب الكلمة والتعامل بها[3] .

---

١ ـ إعجاز القرآن ص ـ؟ظ للخطيب

٢ ـ إعجاز القرآن ص ١٣٩

ـ إعجاز القرآن للخطيب ص ١٤٠

ونقد نكتفي بهذا القدر من رأي الأستاذ الخطيب وقد قدم المزيد من الدلائل البيانية والفكرة على أوجه الإعجاز[1] . وآراء العلماء السابقين في الإعجاز .

٥ ـ الشيخ محمد متولي شعراوي :

وقد تحدث عن معجزة القرآن من العلماء المحدثين الشيخ محمد متولي شعراوي في مقالات كتبها في أخبار اليوم عن إعجاز القرآن كما أذيعت هذه المقالات في حلقات في برامج التلفاز وأخيراً جمعها في كتاب[2] ذكر فيه إعجاز القرآن منذ خلق الله الدنيا ورأيه في الإعجاز « خرق القوانين الكون » بداية بآدم وتعليمه الأسماء وسر نزول القرآن ككتاب جامع للبشرية كلها ، مقارناً بينه وبين الكتب السماوية السابقة التي نزلت إلى أُمة معينة أو شعب معين بينما جاء القرآن للبشرية جميعها فتحدث عن معجزات الأَنبياء عليهم السلام فبدأ بمعجزة إبراهيم عليه السلام مع قومه وعبادة الأصنام وكيف أُلقي بالنار وتعطل قانون الإحراق عندما قال تعالى : قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم [3] فالنار مع إبراهيم تتعطل إحراقها « ثم تحدث عن معجزة عيسى عليه السلام الذي جاء لقوم يعلمون الطب فجاء لهم بمعجزة من جنس ما نبغوا فيه فأبرأ الأكمة والأبرص وتسامى إلى شيء آخر لم يصلوا هم إليه فأَحيَا الموتى .

ثم تحدث عن موسى عليه السلام وكيف أن الماء فقد قوانينه حيث ضرب

---

١ ـ إعجاز القرآن للخطيب ينظر ص ١٤٠ وما بعدها ونحب أن نشير في هذا الشأن إلى أن كتاب إعجاز القرآن يحمل إسماً آخر « دراسات السابقين في إعجاز القرآن » وهو الكتاب ذاته دون تغيير أو تبديل ولذا لزم التنويه » .

٢ ـ معجزة القرآن « الناشر المختار الإسلامي للطباعة والنشر القاهرة ٢٩٧٨ م »

٣ ـ معجزة القرآن ص ٦ ، ص ٧ بتصرف قدم هذه الأحاديث المذيع أحمد فراج في برنامج « نور على نور » .

بعصاه في البحر وانشق وأصبح كل فرق كالطود العظيم وبعد ذلك انتقل إلى الحديث عن معجزة القرآن فهي معجزة عقلية باقية خالدة يستطيع كل واحد أن يقولَ : محمد رسول الله وهذه معجزته ، وهي القرآن بينما المعجزات السابقة حدثت ولم تعد وانتقل إلى إعجاز القرآن الكلي فهو معجز للعالم كله فأول من أعجزهم هم العرب ببيانه وفصاحته وأعجز العالم والعرب معاً حيث مزق حواجز الغيب[١] وحواجز الزمن الماضي ويقرر أن الإعجاز جاء لتصحيح ما حدث من تحريف الكتب السماوية السابقة[٢]. ومزق حاجز النفس كما مزق حجاب المستقبل ، واستشهد بكفر أبي لهب وكيف أن القرآن قرر كفر هذا الرجل وعذابه » ولم يؤ من كما فعل غيره ممن آمنوا بعد كفرهم كخالد بن الوليد وعمرو بن العاص وعمر بن الخطاب » المعجزة هنا أن القرآن قد أخبر بما سيقع[٣].

كما تحدث عن إعجاز القرآن في إخباره عن الأمم الأخرى ومواقف العذاب في الآخرة وقد تحدى القرآن العالم كله بخمس مغيبات . . قال تعالى : « إنَّ الله عنده علم الساعة . . وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً . . وما تدري نفس بأي أرض تموت » كما أخبرنا القرآن بحقائق الكون ككروية الأرض[٤] ويعلم ما في الأرحام والنظام الكوني للفلك ودوران الأرض[٥] ثم الظاهرة الإنسانية والسلوكية للمجتمع من تعاون وحب وإخلاص .

---

١ ـ معجزة القرآن ص ١١ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ بتصرف

٢ ـ معجزة القرآن ص ١٦ وذكر العلماء بعض الأحاديث عن صور للإعجاز المادي لرسولنا العظيم محمد عليه السلام ، انظر حديث إنشقاق القمر وإطعام النفر الكثير ونبع الماء وغيره إحياء علوم الدين ٢/٣٤١ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٣٤٤ ، ٣٤٥ .

٣ ـ معجزة القرآن ص ٢٠

٤ ـ معجزة القرآن ص ٤٥

٥ ـ المصدر السابق ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١

وتحدث الشيخ الشعراوي عن الأسلوب البياني للقرآن الكريم في كتاب آخر قال : في قضية الإعجاز البياني أو إعجازه حين يعجز اللسان عن إستيعاب البيان » إذ يطرح نماذج وأمثلة بيانية خالدة[1] ويقول : « الأسلوب البياني في القرآن تجده حينما يعرض قضية من القضايا يعرضها الله عرض الخبير بحقائق النفس والقادر على إيراد الخصائص الكلامية التي تعبر عن حقائق النفس »[2] ولجأ في إثباته للإعجاز ببعض الآيات القرآنية المختصة بالموضوع الواحد نحو « قضية قتل الأولاد خشية إملاق »[3].

ثم يتعرض لموضوع السمع والبصر ، وكيف خلق الله لنا وسائل العلم كالسمع والبصر ويسير الشيخ الشعراوي في حديثه عن الإعجاز مبيناً أن الإعجاز البياني والفكري يسيران في خطين متوازيين[4]. كما تحدث عن زيادة الحروف في القرآن فنفى أن تكون في القرآن حروفاً زائدة[5] وتحدث عن صور العذاب في الأخرة وكيف تتبدل جلود المشركين[6].

٦ ـ نعمت صديقي :

تحدثت عن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم نعمت صديقي في كتاب أسمته « معجزة القرآن »[7]. ولكن هذه الباحثة لم تأتِ بالظواهر البيانية لأوجه الإعجاز بل ذهبت إلى النواحي الفكرية وظواهر الكون العلمية إذ رأت أن لها

---

١ ـ القضاء والقدر ص ٣٤ وما بعدها بتصرف ص ٣ دار الشروق ـ بيروت ١٩٧٥
٢ ـ القضاء والقدر ص ١٠٤ بتصرف
٣ ـ القضاء والقدر ص ١٠٦ بتصرف
٤ ـ القضاء والقدر ص ١٠٨ بتصرف
٥ ـ القضاء والقدر ص ١١٧ بتصرف
٦ ـ القضاء والقدر ص ١٢٠ ـ ١٢١ بتصرف
٧ ـ معجزة القرآن تأليف نعمت صدقي الناشر عالم الكتب المصرية

دليلاً واضحاً على أوجه الإعجاز فتحدث عن الأرض ودوراتها والجاذبية الأرضية والماء والرياح والغلاف الجوي ثم انتقلت بعد ذلك في الحديث عن الغرائز الحيوانية فبدأت بالإنسان ثم الطير والحيوان ثم تحدثت عن التركيب الجسمي للإنسان وتخرج بذلك إلى القول بأن ذلك إعجاز أيما إعجاز[١] .

وقد تحدث بعض العلماء عن أوجه الإعجاز القرآني الكريم في بعض كتبهم وذلك كما فعل الأستاذ محمد فريد وجدي إذ يرى أن أوجه الإعجاز في القرآن الكريم ليست في بلاغته بل يرى ذلك في تأثيره النفسي ويقول الخطيب في ذلك : « ولكن فريد وجدي جعل أمر النظم هذا في موضع غير الصدارة أو البؤ رة في مقام الإعجاز ، بل أنه كاد يجليه عن هذا المقام ، ويخرجه من هذه القضية كلها[٢] ، يقول في هذا : « حصر المتكلمون في إعجاز القرآن كل عنايتهم في بيان الإعجاز من جهة بلاغته فكتبوا في ذلك فصولاً ضافية الذيول وبعضهم خصها بالتأليف وإننا وإنْ كنا نعتقد أنَّ القرآن قد بلغ الغاية من هذه الوجهة ، إلا أننا نرى أنهَّا ليست الجهة الوحيدة لإعجازه ، بل ولا هي أكثر إعجازه سلطاناً على النفس ، فإنَّ للبلاغة على الشعور تسلطاً محدوداً ، لا يتعدى حد الإعجاب بالكلام والإقبال عليه ، ثم يأخذ هذا الإعجاب والإقبال يضعف شيئاً فشيئاً بتكرار سماعه حتى تستأنس به النفس فلا يعود يحدث فيها ما كان يحدثه فيه في مبدأ توارده عليها .

وليس هذا شأن القرآن فإنه قد ثبت أن تكرار تلاوته تزيده تأثيراً ولكنه تسلط على النفس والمدارك فوجب على الناظر في ذلك أن يبحث عن وجه إعجازه في مجال يكفي لتعليل ذلك السلطان البعيد المدى[٣] .

١ ـ معجزة القرآن ص ٥ ، وما بعدها بتصرف .

٢ ـ أنظر مثلاً ، الإعجاز في دراسات السابقين ص ١٩ ، ٢٩ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٦١ ، ١١٤ ، ١٢٠ ، ١٢١ ، ١٣١ ، ١٧٢ ، ١٨٦ ، ١٩٩ ، بتصرف .

٣ ـ إعجاز القرآن للخطيب ص ٣١٨

وعقب فريد وجدي على قوله تعالى : « وكذلك أوحينـا إليك روحـاً من أمرنا » يكفي وحده في إرشادنا إلى جهة إعجاز القرآن وقصور الإنس والجن عن الإتيان بمثله وبقائه إلى اليوم معجزة خالدة تتلألأ في نورها الإلهي وتتألق في جمالها القدسي ذلك لما كان القرآن روحاً من أمر الله ، فلا جَرَمَ كانت له روحانية خاصةً هي عندنا جهة إعجازه والسبب الأكبر في إنقطاع الإنس والجن عن محاكاة أقصر سورة من سوره ، وارتعـاد فرائص الصنـاديد والجبابـرة عنـد سماعـه ونـاهيك بروحانية الكلام الإلهي .

نعم إن جهة إعجاز الكتاب الإلهي الأقدس هي تلك الروحانية العـالية التي قلبت شكل العالم وأكسبت تلك الطائفة القليلة العدد خلافة الله في أرضه وأرغمت لهم معاطس الجبابرة والقساورة ووطأت لهم عروش الأكاسرة والقياصرة حتى صاروا ملوك الملوك ، وإخوانه الملائكة في مدة لا يصعب عد سنيهـا على الأصابع . . « يلقي الروح من أمره على من يشاء من عباده » .

---

١ ـ دائرة معارف القرآن العشرين مادة قرأ « مج ٧/ ٦٦٦ ، ٦٧٧ نقلاً عن إعجاز القرآن للخـطيب ص ٣١٩ .

الباب الثاني

الإعجاز النحوي

الفصل الأول

النحاة والقرآن الكريم

لا ريب أن النحاة قد اهتموا بالقرآن الكريم إهتماماً يفوق الوصف فقد كان القرآن مصدراً لدراساتهم وفكرهم ينهلون من معينة الذي لا ينضب ولن نغالي إذ نقرر أن الدراسات اللغوية كافةً جاءت نتيجة حتمية لخدمة القرآن وعاشت في ظله .

ولم تكن ظاهرة التخصص في الدراسة العربية واضحةَ المعالـم ، فكل عالم خدم القرآن بطريقـة معينـة وبأسلـوب خاص فمنهـم من اهتـم بالشرح والتفسير والحفظ والتعليم ومنهم من اهتم بالنحو والإعراب ومنهـم من اهتـم بالقراءات[1] . ومنهم من اهتم باللغة والغريب ومنهم من جمع أكثر من علم في خدمة القرآن .

وكان للنحاة شرف المشاركة في خدمة القرآن ولن نغالي إذ نقرر أن النحاة

---

١ ـ أبو الأسود الدؤلي ص ٣٣ وانظر البحث القيم « جهود علماء النحو في القرن الثالث الهجري للزميل الدكتور يوسف المطوع » ص ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ حتى ٨٤ وص ٤٣١ حتى ٤٥٩

العرب كانوا من أوائل العلماء الذين لهم شرف السبق في هذا الميدان الشريف وهو خدمة القرآن الكريم فأول عالم نقط القرآن وأعربه هو أبو الأسود الدؤ لي[1] .
وقد حث رسولنا العظيم محمد صلى الله عليه وسلم على تعلم القرآن وتفهم معانيه إذ قال القرآن « مأدبة الله فتعلموا من مأدبته » وركز عليه السلام على القراءة السليمة إذ قال : « رحم الله إمرىء أصلحَ من لسانه » .

وقوله عليه السلام « وأعربوا الكلام كي تعربوا القرآن »[2] وقال : أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه »[3] .

وتابع الصحابة عليهم السلام حث المسلمين على تعلم القرآن وقراءته إذ يروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال : « لأن أقرأ فأسقط أحب إليَّ أن أقرأ فألحن » وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه . تعلموا الفرائض والسنن واللحن كما تعلموا القرآن »[4] .

وقد وقعت بعض الأخطاء اللغوية والإعرابية في قراءة القرآن الكريم وكان ذلك نتيجة حتمية لا بد أن توجد ذلك بسبب التوسع الإسلامي وخروج الإسلام الحنيف من الجزيرة العربية من جهة ودخول أقوام غير غربية فيه هذا الدين العظيم من جهة أخرى ونحب أن نشير إلى بعض الروايات التي تخص هذا الموضوع وجهود العلماء[5] في هذا الشأن وذلك على سبيل الإستشهاد لا على سبيل الحصر .

---

١ ـ أبو الأسود الدؤ لي ص ٩٠ وما بعدها
٢ ـ الخصائص ٣/ ٢٤٦ والأضداد ص ٢٤٤
٣ ـ إيضاح الوقف والإبتداء ص ١٥
٤ ـ الأمالي ص ٥ والعقد الفريد ٢/ ٤٧٨
٥ ـ جهود علماء النحو ص ٥٢ وما بعدها واللحن في اللغة ص ٩ .

قال السيوطي[1] : « وروى أنه قد قدم أعرابي في زمان عمر فقال : « من يقرئني مما أنزل الله على محمد (ﷺ) فأقرأه رجل براءة ، فقال : إنَّ اللهَ بَرِيءٌ مِن الْـمُشْرِكِينَ وَرَسولِه بالجر ، فقال الأعرابي أو قد برئ الله من رسوله ؟ أن يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبرأ منه فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه . فقال : يا أعرابي أتبرأ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقال : يا أميرَ المؤمنين ، إنِّي قدمت المدينة ، ولا علم لي بالقرآن ، فسألت من يقرئني ؟ فأقرأني هذه السورة براءة فقال : إنَّ الله بريء من المشركين ورسوله فقلت : أو قد برئ الله من رسوله ؟ إن يكن الله قد برئ من رسوله فأنا أبرأ منه فقال عمر : ليس هكذا يا أعرابي ، فقال : فكيف هي يا أميرَ المؤمنين ؟ فقال : إنَّ الله بريء من المشركين ورسوله فقال الأعرابي وأنا والله أبرأ مما برئ الله ورسوله منه . . فأمر عمر بن الخطاب أن لا يُقْرأُ القرآن إلا عَالِمٌ باللغة وأمر[2] أبا الأسود فوضع النحو » .

ثم يتابع السيوطي روايته ويقول « وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي في أماليه : حدثنا أبو جعفر محمد بن رستم الطبري حدثنا أبو حاتم السجستاني حدثني يعقوب بن إسحاق الحضرمي حدثنا سعيد بن سالم الباهلي حدثنا أبي عن جدي أبو الأسود عن أبيه رضي الله عنه قال : دخلت على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فرأيته مطرقاً مفكراً فقلت : فيم تفكر يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إني سمعت في بلدكم هذا لحناً فأردت أن أضع كتاباً في أصول العربية فقلت : إن فعلت هذا أحييتنا وأبقيت هذه الدنيا فينا » . فلم نعلم نوع اللحن الذي سمعه الإمام علي إن كان في اللغة أم في الدين وجعله مفكراً مطرقاً

---

١ ـ رسالة السيوطي من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية ، الرسالة الرابعة ص ٤٩ وما بعدها طبع في القسطنطينية سنة ١٣٢٠ هـ . وانظر اللحن في اللغة ص ٤٩ .

٢ ـ أنظر رسالة السيوطي من كتاب التحفة البهية والطرفة الشهية الرسالة الرابعة ص ٤٩ ، ص ٥٣ طبع في قسطنطينية سنة ١٣٠٢ هـ وانظر الأغاني جـ ١٢ ص ٢٩٩ ونزهة الألباء للأنباري ص ١٣ وإنباة الرواة جـ ١ ص ٤ .

ومن الجائز أن يكون اللحن في قراءة القرآن لأنه هَز الأمام ، وقول أبي الأسود يرجح هذا الظن لأنه إعتبر تصويب الإمام لهذا الخطأ حياة وبقاء للمسلمين ويروون[1] : « في عهد زياد بن أبيه عندما كان والياً على البصرة ، يقال إنه أرسل في طلب أبي الأسود الدؤ لي ، وقال له : إعمل شيئاً تكون في إماماً ينتفع الناس به وتعرف به كتاب الله : فاستعفاه من ذلك ، حتى سمع أبو الأسود قارئاً يقرأ » إن الله بريء من المشركين ورسوله » « بالجر أي أنه عطف كلمة رسوله على المشركين » . فقال : ما ظننت أن أمر الناس صار إلى هذا فرجع إلى زياد فقال : (أنا) أفعل ما أمر به الأمير فليبغني كاتباً لبقاً يفعل ما أقول . فأتى بكاتب من عبد القيس فلم يرضه ، فأتى بآخر فقال له أبو الأسود إذا رأيتني قد فتحت فمي بالحرف فأنقط نقطة فوقه - على أعلاه - فإذا ضممت فمي فأنقط نقطة بين يدي الحرف فإن كسرت فاجعل النقطة تحت الحرف (فإنّ اتبعت شيئاً من ذلك غنة فاجعل مكان النقطة نقطتين) .

وفي رواية أخرى ذكرها إبن النديم ، ويقول فيها : « إن أبا الأسود الدؤ لي سمع قارئاً يقرأ (لا يأكله إلا الخاطئين) « فعمل النحو ، والقراءة الصحيحة لا يأكله إلا الخاطؤن » فالقاريء نصب الفاعل .

وهكذا نجد الروايات التي ذكرها القدماء تعلل نشأة النحو العربي وترجعها إلى العامل الديني ، وخاصة قراءة القرآن ، ونجدها تختلف في النقل إلا أنها تتفق أن أبا الأسود عندما سمع رجلاً يقرأ آية من القرآن خطأ ، هاله الأمر وقام بهذا العمل الجليل ، ووضع علامات معينة ساعدت العلماء والمسلمين على قراءة القرآن .

---

١ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٢ والفهرست لابن النديم ص ٥٩ ونزهة الألباء للأنباري ص ٣ .

وكانت هذه البذور[1] الأولى لنشأة علم النحو ، إلا أن المشكلة لم تنته بعد ، وبقي اللحن والشك منتشراً حتى بين العلماء أنفسهم ، « فقد روى محبوب البكري[2] عن خالد الحذاء قال : سألت نصر بن عاصم عن قراءة » قال هو الله أحد « كيف نقرؤها ؟ قال : قل هو الله أحد الله الصمد » لم ينون « قال : فأخبرته أن عروة ينون فقال : بئسما قال : وهو للبئس أهل ، فأخبرني عبد الله بن أبي إسحاق بقول نصر بن عاصم ، فما زال يقرأ بها حتى مات » . والصحيح[3] أن قراءة عروة ليست خطأ فقراءة عامة الأمصار (أحد) الله الصمد بتنوين أحد سوى نصر بن عاصم وعبد الله بن أبي إسحاق فإنهما تركا التنوين والصواب كما يرى الطبري إذ يقول[4] : « الصواب عندنا : التنوين لمعنيين . أحدهما أفصح اللغتين وأشهر الكلامين وأجودهما عند العرب . والثاني : إجماع الحجة في قراءة الأمصار على إختيار التنوين فيه . ويقال : إن أعرابي سمع إماماً يقرأ قوله تعالى[5] : « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا بفتح ت (تَنكحوا) ، فقال الأعرابي : سبحان الله : هذا قبل الإسلام ، فكيف بعده والقراءة الصحيحة » ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » بضم التاء وقيل للحسن : إن إماماً لنا يلحن قال[6] : أميطوه ، وهكذا نجد اللحن يستمر وينمو ، حتى نجد الحجاج بن يوسف الثقفي يقع في الخطأ عندما يقرأ القرآن . وخاصة عندما يسأل يحيى بن يعمر : « أتجدني ألحن ، قال : الأمير أفصح من ذلك ، قال عزمت عليك لتخبرني فقال يحيى : نعم في كتاب الله . قال ذاك أشنع له ، ففي أي شيء

---

١ ـ الفهرست إبن النديم ص ٥٩ وذكره الأنباري في نزهة الألباب ص ٣ مع اختلاف في النقل . يروى أنَّ الإمامَ سمع قارئاً يقرأ « لا يأكله إلا الخاطئين »

٢ ـ أبو الأسود الدؤلي ص ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤ ، وما بعدها

٣ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٥ ص ١٦ وانظر عيون الأخبار لابن قتيبة ص ١٥٥ .

٤ ـ تفسير الطبري جـ ٢٩ ، ٣٠ ص ٣٤٤

٥ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة ص ١٥٥ وانظر البيان والتبين جـ ٢ ص ٢١٣ .

٦ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه جـ ٢ ص ٤٧٩ .

من كتـاب الله ؟ قال قرأت : ﴿ قـل إن كان أبـاؤكم وإخوانـكم وأزواجـكم وأبناؤكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسولـه ﴾ فترفـع « أحـُب » وهـو منصـوب قال : إذن لا تسمعني ألحن بعدهـا ، فنفـاه إلى خراسـان[1]. ومضى اللحـن كذلك يتفاقـم ويستشري حتى غدا همّاً ثقيلاً ، وخطباً جسيماً ، فلم يكن بد من التعاون لاجتماع الجهود لدرئه وإتقاء شره ، غيرة على ديننا الحنيف .

وبقي الإهتمام مستمراً حتى[2] يأتي بنو أمية ويتابعون المسيرة الخيرة ألا وهي خدمة القرآن الكريم حتى وصل الأمر إلى أن الحجاج بن يوسف الثقفي بعث إلى قراء البصرة بجمعهم واختار منهم الحسن البصري وأبا العالية ، ونصر بن عاصم وآخرين وقال لهم : « عدوا حروف القرآن فبقوا أربعة أشهر ، يعدون بالشعير فأجمعوا على أن كلماته سبع وسبعون ألف كلمةٍ وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمـةً وأجمعوا على أن عدد حروفه ثلاثة وعشرون ألفاً وخمسة عشر حرفاً »[3].

وقد نسب لعبد الله بن مسعود أنه قال : « جردوا القرآن وزينوه بأحسن الأصوات وأعربوه فإنه عربي والله يحب أن يعرب »[4] ولن نغالي إذ نقرر أن هذا الكتاب العظيم سيبقى خالداً أبد الدهر محاطاً برعاية الخالق العظيم مصداقاً لقوله تعالى : ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

---

١ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي ص ١٧ ، ١٨

٢ ـ ينظر في هذا الشأن طبقات الشعراء ص ٢ معجم الأدباء ١٢/ ٣٤ الأغاني ١٢/ ٢٩٩ وأنباء الرواة ١/ ١٦ الشعر والشعراء ٢/ ٧٢٩ سرح العيون ص ٢٧٦ أسد الغابة ٣/ ٧٠ ، أخبار النحويين البصريين ١٢ ، مراتب النحويين ص ٨ ، تهـذيب تاريخ إبـن عسـاكر ٧/ ١٠٤ ، طبقـات النحويين ص ١٤ الفهرست ص ٢٠

٣ ـ البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٤٩ وانظر معترك الأقران ١/ ١٧

٤ ـ إيضاح الوقف ص ١٦ .

الإستشهاد القرآني في كتاب سيبويه :

لا شك أن القرآن الكريم من أفصح لغات العرب وأسلمها . قال إبن خالويه في شرح الفصيح[1] . « قد أجمع الناس جميعاً أن اللغة إذا وردت في القرآن ، فهي أفصح مما في غير القرآن ، لا خلاف في ذلك » . وقد بنى البصريون كثيراً من أصولهم على نصوص قرآنية . وقد أحصينا ما استشهد به البصريون في مجال القرآن ، فوجدنا أن سيبويه قد استشهد في كتابه بآيات من جميع سور القرآن الكريم ، ما عدا سورتين ، هما : سورة الدخان ، وسورة الحجرات .

وقد أحصيت عدد الآيات التي استشهد بها ، فقد وجدتها أربعمائة[2] وثلاثاً وعشرين آية ، سوى المكرر منها . وقد ذكر الدكتور علي ناصف في إحصائية له أنها ثلاثمائة[3] وثلاث وسبعون آية .

ويرى أن كمال الإتفاق في إحصاء هذه الشواهد غير مرجو ولا مكفول ، تقف دونه عوائق وعراقيل ، لأن نسخ الكتاب كثيرة ومتعددة » وأنا لا أميل إلى هذا الرأي لأن الكتاب محقق تحقيقاً جيداً ونسخه معروفة خاصة بعد أن حققه العالم الجليل عبد السلام هارون معتمداً على طبعة بولاق وغيرها[4].

وقد أخذ بعض الباحثين على مذهب البصريين ، بأنهم استبعدوا من منهجهم الإستشهاد بالقراءات .

وقال في ذلك : « وقد استبعد البصريون من منهجهم الإستشهاد

---

١ ـ المزهر للسيوطي ج ٢١٣

٢ ـ قمت بهذا الإحصاء من كتاب فهرس شواهد سيبويه للسيد أحمد راتب النفاخ

٣ ـ سيبويه إمام النحاة ص ٢٣٥

٤ ـ الكتاب . تحقيق العالم الجليل عبد السلام هارون

بالقـراءات إلا إذا كان هنـاك شعـرٌ يسندهـا أوْ كلام عربـي يؤ يدهـا أو قياس يدعمها »[1].

وقد وجدنا رداً على ذلك الإتهام ذكره الدكتور شوقي ضيف ، نحب أن نشير إليه إذ قال : « كان القرآن الكريم وقراءاته مدداً لا ينضب لقواعدهـم ، ووقف نفر منهم إزاء أحرف قليلة في القراءات لا تكاد تتجـاوز أصابـع السيد الواحدة وحدودها لا تتطرد مع قواعدهم بينما تطرد معها قراءات أخرى أثروها ، وتوسـع في وصف ذلك بعض المعـاصرين فقالـوا : إنهـم كانـــوا يردون بعض القراءات ويضعفونها ، كأن ذلك ظاهرة عامة عند نحاة البصرة ، مع أنه لا يوجد في كتاب سيبويه شاهد واحد على هذه التهمة الكبرى[2] .

وسنرى الأخفش الأوسط ، يسبق الكوفيين المتأخرين إلى التمسك بشواذ القراءات والإستدلال عليها من كلام العرب وأشعارهم . وفي الحق أن بصريي القرن الثالث هم الذين طعنوا في بعض القراءات وهي أمثلة قليلة لا يصح أن تتخذ منها ظاهرة خاصة ولا عامة » ، وقد كانوا يصفونها بالشذوذ ويؤ ولونها ما وجدوا إلى التأويل سبيلاً .

وإذا وقفنا قليلاً مع آراء الأستاذين الفاضلين ، نلحظ أنهما متباينـان رأياً وبينهما بون بعيد . فالرأي الأول يرى أن البصريين قد استبعدوا من منهجهم القراءات غير المسندة . والرأي الثاني يرى أن آراء الدارسين لهذا الموضوع فيه شيء من المغـالاة . ومن ثم أخذ يدافع عن هذه التهمة الذي يصفها بالكبرى .

---

١ ـ القرآن الكريم دائرة من الدراسات النحوية ص ٩٧ ، انظر تشابهاً لهذا الرأي في المدرسة البصرية للدكتور عبد الرحمن السيد ص ٢٣٠ وقد اتخذ المبرد المتأخر إماماً .

٢ ـ المدارس النحوية د . شوقي ضيف ص ١٩ .

كما أنه حدد الآراء المطعون بها بقدر لا يتجاوز أصابع اليد الواحدة »[1].

يعني حساباً لا يتجاوز الخمسة آراء أو شواهد . وقبل أن نحكم في ذلك الموضوع سلباً أو إيجاباً ، نحب أن نوضح بعض الإلتباسات التي جاء في كلا القولين .

لم يحدد الرأي الأول من هم البصريون ، أهم الممثلون في كتاب سيبويه عمدة النحو البصري أم يعني المتأخرين عنهم ، كالمبرد وغيره من نحاة القرن الثالث الهجري « أي بعد سيبويه » . فإذا كان البصريون الأوائل « وهو الأرجح » الذين يعنيهم فقد يحتاج ذلك الرأي إلى شيء من التعديل كما سنبين فيما بعد .

أما الرأي الثاني فقد كان أكثر إيضاحاً من الرأي الأول ، وبخاصة عندما حدد منهج البصريين الممثل في كتاب سيبويه ، كما يؤخذ على الباحثين أنهما لم يقدما دليلاً مادياً لما يقولان .

أما موقفنا في هذا الموضوع فهو كما يلي : إننا نستبعد الرأي القائل بأن البصريين ، استبعدوا من منهجهم الإستشهاد بالقراءات ، وذلك لعدة أسباب :

أولاً : إنّ معظم البصريين ، وبخاصة النحويون منهم ، هم من قراء القرآن الكريم . ولذا كيف يصح لنا الحكم على مجموعة من القراء بأنهم ابتعدوا عن الإستشهاد بالقراءات هذا من جهة ، ومن جهة أخرى أن البصريين وبخاصة

---

١ ـ ذكر إبن خالويه القراءة سنة ولا تحمل على قياس العربية وانظر إعراب ثلاثين سورة ص٢٤، ٤٢ » أنظر إبن الجزري ص ٦٠٣ وانظر رأي سيبويه في القراءة ج ١ / ١٤٨ ط هارون . كما قال بوهان فك المستشرق بهذا الشأن « مخالفة القرآن للقواعد ليس شذوذاً عن العربية والإستعمالات القرآنية الخاصة التي تحتوي هي أيضاً على مخالفات للقواعد العامة ، نقد في مستوى مغاير للشذوذ المختلف المراتب بالنسبة للتصرف الإعرابي في العربية الفصحى والعربية المولدة ـ أنظر العربية بوهان فك ص ٦ ترجمة النجار .

في كتاب سيبويه ، لم يستشهدوا بآراء مفرده إلا ما ندر ، وقد أخضعوا شواهدهم إن كانت قرآنية أو أدبية لمجموعة من الأمثلة والشواهد المتباينة ليثبتوا مذهبهم .

ثانياً : عدت إلى كتاب سيبويه ، وتتبعت طريقة الإستشهاد بالقرآن ، فوجدت أن سيبويه نقل آراء فردية لا تخضع للقياس أو لشعر يسندها ، أو كلام عربي يؤ يدها ، كما ذهب صاحب الرأي الأول . وهذه بعض الآيات القرآنية أقدمها على سبيل الإستشهاد فقط لا على سبيل الحصر ، نحو قوله تعالى : « **مثلاً ما بعوضة** »[1].

إستشهد بها على قراءة من رفع بعوضة وهي قراءة رؤ بة بن العجاج ، أما قراءة الجمهور بالنصب . وقوله تعالى : ﴿ **الحمد لله رب العالمين** ﴾[2].

إستشهد بها على أنه سمع بعض العرب يقولها بنصب « ربٌّ » وقوله تعالى : ﴿ **وزلزلوا حتى يقول الرسول** ﴾[3].

إستشهد بها على قراءة مع رفع « يقول » ونسبها إلى مجاهد وهي قراءة أهل الحجاز والرفع قراءة نافع ، وقرأ الباقون بالنصب .

وقوله تعالى : ﴿ **وإذن لا يلبثوا خلافك إلا قليلاً** ﴾[4].

إستشهد بها على جواز النصب « إذن » إذ تقدمها واو ، وذكر أنه سمعها من بعض العرب وهي شاذة عن رسم المصحف .

وقوله تعالى ﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾[5]

١ ـ البقرة آية ٢٦ فهرس شواهد سيبويه ص ١٣ وانظر الكتاب ج ١/ ٢٨٣ ط(١) بولاق .
٢ ـ الفاتحة آية ٢ فهرس شواهد سيبويه ص ١٣ وانظر الكتاب ج ١/ ٢٤٨ ط(١) بولاق
٣ ـ البقرة آية ٢١٤ فهرس شواهد سيبويه ص ١٥ ، وانظر الكتاب ج ١/ ٤١٧ ط(١) بولاق .
٤ ـ الإسراء آية ٧٦ فهرس شواهد سيبويه ص ٣٠ ، انظر الكتاب ج ١/ ٤١١
٥ ـ سبأ ١٠ فهرس شواهد سيبويه ص ٣٨ الكتاب ج ١/ ٣٠٥

إستشهد بها على قراءة من رفع الطير ، مع أن قراءة أبي عمرو بن العلا البصري بالنصب على إضمار وسخرنا الطير . .

وقوله تعالى﴿ ولات حين مناص﴾[1]

إستشهد أن البعض قرأها بالرفع وهي في رأيه « قليلة » وقد زعم جامع الشواهد أنها قراءة عيسى بن عمرو ولم أرَ ذلك عند سيبويه .

ثالثاً : وجدت بعض النماذج من الآيات الكريمة التي استشهد بها سيبويه في كتابه ، ومعظمها مأخوذة عن القراءات العشر على سبيل الإستشهاد أيضاً ، ولتوضيح بعض الملابسات التي أُحيطت بتلك الموضوع . نحو قوله تعالى « **كن فيكون** »[2] . بالرفع قرأها العشرة بالرفع وقوله تعالى « **ومن كفر فأمتعه قليلاً** »[3] .

ضبطت أمتعة في الكتاب بفتح الميم وكسر التاء مشددة ، وهي قراءة العشرة إلا إبن عامر فإنَّه أسكن الميم وضعف التاء .

وقوله تعالى﴿ **ولكن البر من أمن بالله**﴾[4] بنصب البر وتشديد لكن وهي قراءة العشرة غير عامر وابن نافع حيث رفعا « البر » وخففا لكن .

وقوله تعالى ﴿ **إلا أن تكون تجارة » عن تراضٍ منكم**﴾[5] . استشهد بها على قراءة من رفع تجارة ثم قال ، وبعضهم ينصب والرفع قراءة البصريين والنصب قراءة الكوفيين .

---

١ ـ « ص » فهرس شواهد سيبويه ص ٤١ الكتاب ج ١/ ٢٨

٢ ـ البقرة ١١٧ أنظر شواهد سيبويه ص ٦٤ والكتاب ج ١/ ٤٢٣

٣ ـ البقرة ١٢٦ فهرس شواهد سيبويه ص ١٤ والكتاب ١/ ٤٣٨

٤ ـ البقرة ١٧٧ فهرس شواهد سيبويه ص ١٥ والكتاب ١/ ١٠٨

٥ ـ النساء ٢٩ فهرس شواهد سيبويه ص ١٨ والكتاب ١/ ٣٧٧

وقوله تعالى : ﴿ هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم ﴾[1] . استشهد بها على قراءة من رفع يوم هي قراءة العشرة غير نافع فأنه قرأ بالنصب[2] .

وقوله تعالى : ﴿ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة ﴾[3] . استشهد بها على أن « خالصة » قرأت بالرفع وبالنصب والرفع قراءة نافع وحده ، والنصب قراءة باقي العشرة .

وقوله تعالى ﴿ قالوا معذرة إلى ربكم ﴾[4] . استشهد بها على قراءة الرفع في معذرة ، وهي قراءة العشرة إلا حفصاً عن عاصم فإنه قرأها بالنصب .

وقوله تعالى : ﴿ وهذا بعلي شيخ ﴾[5] . بالرفع والنصب إستشهد سيبويه في كلا الموضوعين بالرفع على أنها نعت والنصب على أنها حال .

وقوله تعالى[6] ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ﴾ استشهد بها على قراءة الجمهور برفع الزانية والزاني « ثم ذكر أن ناساً قرؤ وها بالنصب كذلك » السارق والسارقة » .

رابعاً : إذا نظرنا إلى الآيات القرآنية التي استشهد بها سيبويه من حيث الكم ، فعددها « ٤١٣ » آية (غير المكرر) ، فهذا يمثل كما يبدو مادة غزيرة تعادل أضعاف ما استشهد به من الشعر . والذي يمثل من حيث الكم « ١٠٥٠ » بيتاً من الشعر الجاهلي والإسلامي .

---

١ ـ المائدة ١١٩ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٠ الكتاب ١/ ٤٦٠

٢ ـ قال سيبويه : « إن القراءة لا تخالف لأن القراءة السنة » أنظر الكتاب ج ١/ ١٤٨ ط هارون .

٣ ـ الأعراف ٣٢ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٢ الكتاب ١/ ٢٦٢

٤ ـ الأعراف ١٦٤ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٣ الكتاب ١/ ١٦١

٥ ـ هود ٧٢ فهرس شواهد سيبويه ص ٢٧ الكتاب ٢/ ٢٥٨ ، ٢٦٩

٦ ـ النور ٢ فهرس شواهد سيبويه ص ٣٥ الكتاب ١/ ٧١ ، ٧٢ وانظر المحتسب ٢/ ١٠٠

وإذا قورنت مع الآيات القرآنية فنرى الآيات تمثل الغلبة العظمى قياساً للشعر الجاهلي ، والإسلامي . وقد ذكرنا ذلك بقول إبن قتيبة[١]. حين قال : « والشعراء المعروفون بالشعر عند عشائرهم وقبائلهم في الجاهلية والإسلام ، أكثر من أن يحيط بهم محيط أو يقف من وراء عددهم واقف ، ولو أنفذ عمره في التنقير عنهم ، واستخرج مجهوده في البحث والسؤ ال » .

والخلاصة التي نصل إليها في هذا الشأن أن كتاب سيبويه مملوء بالآيات القرآنية وأن سيبويه استشهد في كثير من الآيات وخاصة القراءات المختلفة وإنْ دَلّ ذلك على شيء إنمّا يدل على إهتمام النحاة بالقراءات القرآنية وأُحِبُّ أن أقررَ أنَّ الكم القرآني يساوي أضعاف الكم الشعري والنثري في الكتاب خاصةً لأنَّ الآيات القرآنية محصورة من حيث الكم .

أما النصوص الشعرية فلا يمكن لأي إنسان أن يحيط بها ونحب أن نشير تفصيلاً إلى مواضع الآيات التي إستشهد فيها سيبويه في الكتاب وتخص القراءات فقط وإليك أرقام الصفحات معتمداً في ذلك على طبعة بولاق : ـ

١ ـ الكتاب ج ١

ص	٣	٢٤	٢٧	٢٨	٣٣	٣٦	٣٧	٤١	٤٢
	٤٣	١٦١	١٧٩	١٩٠	١٩١	٢١٥	٢٣٨	٢٤٨	٢٥٢
	١٤٦	١٦١	١٧٩	١٩٠	١٩١	٢١٥	٢٣٨	٢٤٨	٢٥٢
	٢٥٨	٢٧٠	٣٧٢	٢٧٨	٣٨٢	٢٨٥	٢٨٧	٢٨٨	٢٩٢
	٣٠٥	٣٠٦	٣١٦	٣٢١	٣٥٦	٣٦٠	٣٧٠	٣٨٤	٣٨٧
	٣٩٥	٣٩٧	٤٠٤	٤١١	٤١٧	٤٢١	٤٢٦	٤٣٠	

١ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ج ١/ ٤ تحقيق أحمد شاكر ١٣٦٤ الحلبي .

٤٣٥ ٤٣٧ ٤٣٨ ٤٤٤ ٤٤٨ ٤٥١ ٤٥٢ ٤٥٣ ٤٥٦
٤٦١ ٤٦٢ ٤٦٣ ٤٦٤ ٤٦٧ ٤٦٩ ٤٧٠ ٤٧١ ٤٧٣
٤٧٥ ٤٧٦ ٤٨٠ ٤٨١ ٤٩١.

٢ ـ الكتاب ج ٢ :

ص ١٧ ١٨ ٢٣ ٢٥ ٢٨ ٣٠ ١٤٩ ١٥٤ ١٦٧
٢٠١ ٢١١ ٢٤٤ ٢٤٨ ٢٦١ ٢٦٩ ٢٧١ ٢٧٥ ٢٧٦
٢٨٩ ٢٩١ ٢٩٢ ٢٩٤ ٢٩٧ ٣٠٦ ٣١٥ ٣٥٨ ٣٨٧
٤٠٨ ٤١٠ ٤١٧ ٤١٩ ٤٢١ ٤٢٢.

وعندما نقف مع الكتاب الثاني في تاريخ النحو العربي وهو كتاب المقتضب للمبرد المتوفى ٢٨٥ هـ نلحظ أن الكتاب قد احتوى على كثير من الشواهد القرآنية وقد أحصيت الآيات القرآنية التي ذكرها المبرد فوجدتها ستمائة وأربع عشرة آية تقريباً وبهذا نختلف مع ما ذكره محقق المقتضب الذي ذكر أنها خمسمائة آية[1].

وجاءت الشواهد موزعة في ثنايا الكتاب ونود أنْ نشير إلى بعضٍ منها على سبيل الاستشهاد لا على سبيل الحصر[1].

---

١ ـ مقدمة المقتضب ص ١١٥

١ ـ أنظر مثلاً المقتضب ج ١ ص :
٧ ١١ ٣٧ ٤٠ ٤٢ ٤٩ ٥٠ ٥٤ ٧١ ١٦٣ ١٥٨ ٢٥٣
٢٦٦ ٣٥٥
وج ٢ ص :
١٨ ٢٠ ٢٨ ٣١ ٣٢ ٣٦ ٤٣ ٥٢ ٥٣ ٥٦ ٦٩ ٧٦ ٧٩
٨٠ ٨٦ ٩٠ ٩١ ١٨١ ٢١٠
وج ٣ ص :
٨ ١٤ ٢٨ ٧٥ ٩٨ ١٣٤ ٢١٠ ٢٨٦ ٢٨٧ ٣٠٧ ٣٠٨ ٤٣٠
وج ٤ ص :
١٥ ٦٨ ٧٩ ٨٩ ٩٥ ٩٦ ١٠٥ ١١١ ١٢٠ ١٥٠ ١٦٧
١٨٣ ٢٧١ ٣٠١.

وقد ظهرت بعض الكتب التي تحمل اسم معاني القرآن وهي تدور في فلك النحو إلى جانب معاني الكلمات القرآنية من حيث التفسير والتوضيح والقراءة والوقف وغير ذلك من فنون العربية نحو معاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للأخفش ويقول محققو معاني القرآن للفراء : « وقد كتب في معاني القرآن كثير من الفحول يقول الخطيب في تاريخ بغداد في صدر الحديث عن معاني القرآن لأبي عبيده « وأنه احتذى فيه من سبقه ، وكذلك كتابه في معاني القرآن وذلك أن أول من صنف في ذلك - أي في معاني القرآن من أهل اللغة أبو عبيده معمر بن المثنى ثم قطرب ابن المستنير ثم الأخفش وصنف من الكوفيين الكسائي ثم الفراء ، فجمع أبو عبيده من كتبهم وجاء فيه بالإشارة وأسانيدها وتفاسير الصحابة والتابعين والفقهاء »[1] كما ظهرت بعض الدراسات الحديثة التي تشير إلى أثر القرآن في الدراسات النحوية[2] .

فالكتاب الأول هو تأليف الأستاذ الفاضل الدكتور عبد العال سالم الذي يستعرض أثر القرآن الكريم في الدراسات النحوية مستعرضاً كتب التفسير وأشهرها من الوجهة النحوية كتفسير الكشاف للزمخشري والبحر المحيط لأبي حيان ومعاني القرآن للفراء ومعاني القرآن للزجاج[3] .

والكتاب الثاني فهو للأستاذ الكريم الزميل الدكتور محمد سمير اللبدي الذي أشرك القراءات مع القرآن وأثر الاثنين معاً في الدراسات النحوية إذ تحدث عن أثر القرآن والقراءات في المدارس النحوية أو المذاهب النحوية كما خصص باباً عن القاعدة النحوية وأثر القرآن والقراءات عليها[4] . وهذان الكتابان يعدان

---

١ - مقدمة معاني القرآن ص ١٢ وانظر القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٥٠ .
٢ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية وأثر القرآن والقراءات في النحو العربي .
٣ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٢٢ وما بعدها .
٤ - القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية ص ٢٢٢ وما بعدها .

من المراجع المفيدة التي تفيد الدارس في هذا الشأن[1] والحقيقة التي لا مراء بها أن الدراسات النحوية لم تعش إلا في ظل الكتاب الخالد ألا وهو القرآن الكريم لأنه المنبع العظيم الذي لا ينضب وأَمَدَّ النحاةَ والعلماء بفكر خلاق من لدن عزيز حكيم . وبقي الأمر مستمراً حيث نرى النحاة تباعاً يسيرون في فلك القرآن وتحت ظلاله يستشهدون في آياته ويعربون كلماته ويخصصون كتباً في إعرابه ومعانيه ونحب أن نشير إلى ما ذكره حاجي خليفة حول هذا الموضوع إذ قال :[2].

علم إعراب القرآن : وهو من فروع علم التفسير على ما في مفتاح السعادة لكنه في الحقيقة هو من علم النحو وعده علماً مستقلاً ليس كما ينبغي وكذا سائر ما ذكره السيوطي في الإتقان من الأنواع فإنه عد علوماً كما سبق في المقدمة ثم ذكر ما يجب على المعرب مراعاته من الأمور التي ينبغي أن تجعل مقدمة لكتاب إعراب القرآن ولكنه أراد تكثير العلوم والفوائد . وهذا النوع أفرده بالتصنيف جماعةٌ منهم الشيخ الإمام مكي بن أبي طالب القيسي النحوي المتوفى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة أوله أما بعد حمداً لله جَلَّ ذكره الخ . . . . وكتابه في المشكل خاصة وأبي الحسن علي بن إبراهيم الحوفي النحوي سنة اثنتين وستين وخمسمائة وكتابه أوضحها وهو في عشر مجلدات وأبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري النحوي المتوفى سنة ست عشرة وستمائة وكتابه أشهرها وَسَمَّاهُ « التبيان » أوله الحمد لله الذي وفقنا لحفظ كتابه إلخ . . وأبو إسحاق إبراهيم ابن محمد السفاقسي المتوفى سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة وكتابه أحسن منه وهو في مجلدات سَمَّاهُ « المجيد في إعراب القرآن المجيد » أوله الحمد لله الذي شرفنا بحفظ كتابه

---

١ ـ أثر القرآن والقراءات في النحو العربي ص ٧٦ وما بعدها وانظر خاصة ص ٧٨، ١٠٣، ١١٤ ، ١٢٤ ، ١٩١ .

ـ كشف الظنون ج ١/ ١٢١ ، ١٢٢

الخ . . . ذكر فيه البحر لشيخه أبي حيان ومدحه ثم قال لكنه سلك سبيل المفسرين في الجمع بين التفسير والإعراب فتفرق فيه المقصود فاستخار في تلخيصه وجمع ما بقي في كتاب أبي البقاء من إعرابه لكونه كتاباً قد عكف الناس عليه فضمه إليه بعلامة الميم وأورد ما كان له بقلة[1] ولما كان كتاباً كبير الحجم في مجلدات لخصه الشيخ محمد بن سليمان الصرخدي الشافعي المتوفى سنة إثنتين وتسعين وسبعمائة واعترض عليه في مواضع . وأمَّا كتاب الشيخ شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي المتوفي سنة ست وخمسين وسبعمائة فهو مع إشتماله على غيره أجل ما صنف فيه لأنه جمع العلوم الخمسة الإعراب والتصريف واللغة والمعاني والبيان ولذلك قال السيوطي في الإتقان « هو مشتمل على حشو وتطويل لخصه السفاقسي فجوده إنتهى وهو وهم منه لأن السفاقسي ما لخص إعرابه منه بل من البحر كما عرفت والسمين لخصه أيضاً من البحر في حياة شيخه أبي حيان وناقشه في كتاب وسَمّاه الدر المصون في علم الكتاب المكنون أوله الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب إلخ . . وفرغ عنه في أواسط رجب سنة أربع وثلاثين وسبعمائة .

---

١ ـ هكذا وردت فى كشف الظنون ١/ ١٢٢ .

الفَصل الثاني

الظاهرة الزمنية "الأفعال في اللغة العربية"

قبل التحدث عن الظاهرة الزمنية في أفعال اللغة العربية ، نحب أن نشير إلى أن الله أنزل هذا الكتاب الخالد على نبي عربي عظيم محمد صلى الله عليه وسلم . أجلّه أيما إجلال رافعاً له ذكره غافراً له ذنبه أرسله للناس كافةً هادياً ومبشراً ونذيراً متحدياً فصحاء العرب وحكمائهم أنسهم وجنهم بل متحدياً من دبَّ على هذه الأرض وغيرها من الكواكب إذ قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين » فهو يسمع ويرى ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب ويكرم ويمهل ويخلق ويرزق ويحيي ويميت ، إن القرآن نبع لا ينضب فلا تزيده تلاوته إلا حلاوة ولا ترديده إلا محبة غضاً طرياً قريباً إلى القلب من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فاز ومن عمل به أجر ومن تمسك به هُدى إلى صراط مستقيم ومن هذا المنطلق العظيم والمنطق الحكيم بإيماننا العميق بأن القرآن الكريم معجز في كل شيء لا نهاية لوجوه إعجازه فهو معجز بأسلوبه ونظمه وبلاغته وتأثيره بالقلوب والعقول وبما فيه من علوم دينية وتشريعية وكونية وغيبية ونضيف بأنه معجز في الظاهرة الإعرابية والنحوية وهذا ما سنحاول إيضاحه إن شاء الله ونحب أن نعترف بأن هذه المحاولة ما هي إلا خطوة للكشف عن بعض جواهر الكلم الخالد في قرآننا العظيم دستور الإسلام . ويشهد الله أن الإنسان سيبقى عاجزاً أمام عظمة القرآن

الكريم ، وبلاغته وإعجازه الذي وصفه تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » « الإنعام ٣٨ » .

وقال لمحمد نبينا العظيم : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » « النحل ٨٩ » وقارىء القرآن الكريم يلحظ أن كل آية في القرآن الكريم معجزة بل لن نغالي إذ نقرر أن كل حرف مركب ومرتب في جملة القرآن هو معجز في تركيبه وترتيبه لأنه من لدن عزيز حكيم » .

روى السيوطي قال : « ترى البليغ ينقح القصيدة أو الخطيب حولاً ثم ينظر فيها ثم يغير فيها وهلُمَّ جرّاً » .

وكتاب الله سبحانه وتعالى لو نزعت منه لفظه ثم أُدير لسان العرب على لفظة أحسن منها لم يوجد »[1]

ولكن الإعجاز الزمني يتفاوت بين الأفعال والتركيب فالفعل الذي فيه إعجاز زمني تجده في تركيب آخر فيه إعجاز من نوع آخر من أنواع الإعجاز القرآني الذي لا ينضب » .

قال السيوطي : « وأنهى بعضهم وجوه إعجازه إلى ثمانين وجهاً والصواب أنه لا نهاية لوجوه إعجازه .

قال السكاكي في المفتاح[2]: قال بندر الفارسي : « القرآن لشرفه لا يشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ومعجزة لمحاوله وأهدى لقائله وليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كتابه فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده »[3].

١ ـ معترك الإقران ١/ ٢٨
٢ ـ معترك الإقران ١/ ٣
٣ ـ معترك الإقران ١/ ١١

وروى عن ابن أبي الفضل المرسي قال : « قال ابن أبي الفضل المرسي : « جمع القرآن علوم الأولين والآخرين بحيث لم يحط بها علماً حقيقةً إلا واهبها والمتكلم بها ثم رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا ما استأثر به سبحانه ثم ورث عنه معظم ذلك سادات الصحابة وأعلامهم مثل الخلفاء الأربعة وابن مسعود وابن عباس حتى قال لو ضاع لي عقال بعيد لوجدته في كتاب الله »[1] .

قسم علماء النحو الزمن في الأفعال إلى ثلاثة أقسام ماض ومستقبل ومضارع وجعلوا لكل فعل حَداً زمنياً ثابتاً وعرفوه بأنه ما دل على إقتران حدث بزمان .

قال سيبويه : « وأما الفعل فأمثلته أُخذت من لفظ أحداث الأسماء وبنيت لما مضى ولما يكون ولما يقع وما هو كائن لم ينقطع »[2] .

ثم بدأ يفصل ذلك « فأما بناء ما مضى فَذَهَبَ وسَمِعَ ومكَثَ وحمِدَ ، وأما بناء ما لم يقع ، فإنه قولك آمراً : إذهب وافعل واضرب ، وما هو كائن ولم ينقطع وعبر عنه بقوله مخبراً » يذهب ويضرب ويقتل »[3] .

وعندما نقف مع القول السابق نلحظ أن سيبويه قسم الزمن إلى أقسام ثلاثة لا تتعداها . وقد سار علماء النحو على ذلك النمط من التقسيم حتى يومنا هذا[4] .

والحقيقة إن النحاة قد استعانوا ببعض الأدوات التي تساعدهم على تفهم الجملة النحوية خاصة الظاهرة الزمنية . وسوف نشير إلى ذلك تفصيلاً ونحب في

---

١ ـ معترك الإقران ١/ ١٧

٢ ـ الكتاب ١/ ٢ ط بولاق والمقتضب ٤/ ٨٠

٣ ـ ينظر الكتاب ١/ ٢ والمقتضب ٤/ ٨٠ والموجز لابن السراج ٢٧

٤ ـ شرح المفصل ٣/ ٨٢ شرح الكافية ٢/ ٢٢٣ ، بشرح ابن عقيل ١/ ٢٤ أوضح المسالك ١/ ٢١ . شرح الأشموني ١/ ١٥ ، ١٦ تسهيل الفوائد ص ٤ ، ص ٥ حاشية الصبان ١/ ٤٥ وحاشية الخضري ١/ ١٧ .

هذا الشأن أن نقف مع الكتاب الثاني وهو المقتضب للمبرد الذي قال معرفاً الزمن في الأفعال : « الماضي من الأفعال » نحو ضرب يا فتى وذهب وانطلق وحمد ومكث »

أما المضارع فهو نحو : زيدٌ يضرب فيجوز أنه يضرب فيما يستقبل ولم يقع منه ضرب في حال خبرك ، كما تقول : « زيد ضاربٌ الساعة وضاربٌ غداً . . .

ويوضح المبرد رأيه ويقول : « وهذه الأفعال المعربة تقع لا يعرف وقتها وما كان منه في الحال وما يكون منه لما يستقبل »[1].

يريد المبرد في القول السابق أن يبين لنا أن الفعل المضارع يفيد الحال والإستقبال معاً دون تحديد ثابت لكلا الزمنين . أي الحال والإستقبال وإذا أريد تحديد ذلك قال المبرد : « وإن أدخلت على هذه الأفعال السين أو سوف صارت لما يستقبل وخرجت من معنى الحال وذلك قولك : « سأضرب وسوف أضرف »[2].

أما إبن السراج فقد ذهب إلى القول نفسه فإذا دخلت السين وسوف خلص للمستقبل[3] وأما إبن مالك فقد ذكر ذلك إذ قال : « ويترجح الحال مع التجريد ويتعين عند الأكثر بمصاحبة الآن وما في معناه[4].

أما الأمر فهو مستقبل أبداً »[5]

والخلاصة : نلحظ أن الزمن في الأفعال عند النحاة ثلاثة : ماض ومضارع وأمر[6].

---

١ ـ المقتضب ٤/ ٨١ بتصرف

٢ ـ المقتضب ٤/ ٨١ وانظر الموجز لابن السراج ص ٢٧

٣ ـ الموجز لابن السراج ص ٢٧

٤ ـ تسهيل الفوائد ص ٥ وما بعدها وكشف المشكل ورقة ٢٠ وما بعدها .

٥ ـ تسهيل الفوائد ص ٤ وكتاب الانتصار ورقة ٣٠٩ والتقريب . ورقة ٢٤

٦ ـ ينظر في هذا الشأن الكتاب ١/ ٢ والمقتضب ٤/ ٨١ شرح المفصل ١/ ٢٢ وج ٧/ ٢ وشرح ابن عقيل ١/ ٢٤ وشرح الأشموني ١/ ١٥ ، ١٦ شرح المقدمة المحبة ١/ ١٩٤ وشرح الكافية ٢/ ٢٢٣ والموجز ص ٢٧ وحاشية الصبان ١/ ٤٥ وحاشية الخضري ١/ ١٧ والإيضاح في علل النحو ص ٤١ وحاشية العطار ص ٣١

ولكن النحاة أضافوا بعض التعريفات الطارئة في التركيب اللغوي التي لها تأثير في مسار الأفعال الزمنية .

فقالوا في المضارع : يترجح الحال مع التجديد ويعني ذلك إذا تجرد الفعل من القرائن نحو : يَفْعلُ كذا ويَشْرَبُ ويَذْهَبُ فهو للحال أي للمضارع ويتخلص للإستقبال بظرف مستقبل وبإسناد إلى متوقع وباقتضائه طلباً أو وعداً وبمصاحبة ناصب أو أداة ترجح أو إشفاق أو مجازاة أو لو المصدرية أو حرف تنفيس وهو السين أو سوف »

وينصرف إلى المضي بـ « لم » ولما الجازمة ولو الشرطية » غالباً وإذ وربما وقد في بعض المواضع »[1] .

أما الماضي : فقد قال إبن مالك : وينصرف الماضي إلى الحال بالإنشاء وإلى الإستقبال بالطلب والوعد وبالعطف على ما علم إستقباله وبالنفي بـ « لا » وإن بعد القسم ويحتمل المضّي والإستقبال بعد همزة التسويه وحرف التحضيض وكلما وحيث ويكونه صلة أو صفة لنكرة عامة . . .[2]

أما الأمر فهو عندهم ثابت المعنى مستقبل أبداً[3] .

وعندما نقف مع الظاهرة الزمنية في القرآن الكريم نلحظ بوضوح أن القرآن الكريم قد استخدم أفعالاً زمنية[4] كما ذكرها النحاة في قياسهم وفيها

---

١ ـ تسهيل الفوائد ص ٥ بتصرف
٢ ـ تسهيل الفوائد ٥ ، ٦
٣ ـ تسهيل الفوائد ص ٤
ـ ينظر في هذا الشأن على سبيل المثال لا الحصر : سورة الكهف آية ٥٠ وسورة ص ٧١ ـ ٧٣ ـ ٧٥ ـ ٨٣ » والأعراف ١٢ ـ ٢٥ » « والبقرة ٣١ ـ ٣٣ حتى ٣٨ وسورة طه ١١٥ ـ ١٢٣ » وبخاصة قصص الأولين من الأنبياء والرسل وغيرهم التي قصها الله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ونقل فيها الحوار الذي دار بين الأمم السابقة وأنبيائهم .

إعجاز تركيبي وغيبي وأخرى معجزة بذاتها يقف العقل حائراً عاجزاً أمامه وأمام عظمتها وإليك بياناً لذلك :

أولاً : فعل الأمر

إتفق النحاة على أن فعل الأمر في اللغة العربية يفيد المستقبل أبداً فتقول : مثلاً إشربْ الماءَ ، إذهبْ إلى السوق ، قُلْ الحق وغير ذلك من أفعال الأمر في الأساليب الوضعية فإذا ما وقفنا مع الأفعال السابقة نلحظ أنها تدل على المستقبل ولكنه مستقبل محدود ينتهي بانتهاء الأمر والطلب . فالفاعل والمفعول والأمر والمأمور ينتهيان بانتهاء القول والقائل والزمن على حد سواء .

وإن كان بينهما تفاوت زمني له حد ينتهي عنده . ونحب في هذا الشأن أن نشير إلى فعل الأمر عند بعض الشعراء في العصور القديمة لنبين طريقة إستخدامهم للأمر وكيف كانت نهاية المطاف عندهم وإليك نماذج لفطاحل شعرائهم مختارةً من معلقاتهم التي كانت منبع فخرهم واعتزازهم :

فهذا امرؤ القيس يقول في معلقته[1] :

قِفَا نَبْكِ مِن ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ

وقال آخر :

قِفَا نَسْأَلْ مَنَازِلَ آل لَيْلَى
فَتُوضِحُ بَيْنَ حَوْمَلِ أَوْ عَرَادَا

---

١ ـ شرح القصائد السبع ص ١٤

وَقَال امرؤ القيس أيضاً :

أَلاَ أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلاَ انْجَلِي[١]
بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

وإذا ما وقفنا مع الأفعال السابقة وبخاصة الأمرُ منها . « قفا » و« قفا وانجلي » نلحظ أن الأفعال انتهت بمجرد الوقوف على الأطلال والفعل « إنجلي » انتهى بطلوع النهار هذا من جهة ومن جهة أخرى أنها انتهت بانتهاء القائل من الناحية الزمنية .

وقال طرفة بن العبد[٢] :

لِخَوْلَةَ أَطْلاَلٌ بِبَرْقَةِ ثَهْمَدِ
ظَلِلْتُ بِهَا أَبْكِي وأَبْكِي إِلى الْغَدِ
فإِنْ مُتُّ فَانْعِنِي بِمَا أَنَا أَهْلُهُ
وشُقِّي عَلَيَّ الْجَيْبَ يابنةَ مَعْبَدِ

وقال زهير بن أبي سلمى[٣] :

تَبَصَّرْ خَلِيلِيْ هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَائِن
تَحَمَّلْنَ بالْعَلْيَاءِ مِنْ فَوْقِ جُرْثُمِ
أَلاَ أَبْلِغِ الأَحْلاَفَ عَنِّي رِسَالَةً
وذُبْيَانَ هَلْ اقْسَمْتُمْ كُلَّ مُقْسَمِ

---

١ ـ شرح القصائد السبع ص ٧٧ . قال ابن السكيت ، « ألا إنجلي ألا إنكشف » وموضع « إنجلي » الجزم على الأمر ، علامة الجزم فيه سكون اللام في الأصل ثم إحتاج لحركتها بصلة لها ليستوي له وزن البيت فكسرها ووصل الكسرة بالياء قال الفراء : « العرب تصل الفتحة بالألف والكسرة بالياء والضمة بالياء » .

٢ ـ شرح القصائد السبع ص ١٢٣ ، ص ٢٢٣

ـ المصدر السابق ص ٢٤٤ ، ٢٦٥

وقال عمرو بن كلثوم[1] :

أَلاَ هُبِّي بِصَحْنِـكِ فاصْبَحِينَا وَلاَ تُبْقـي خُمـورَ الأَنْدَرِينَا
مُشَعْشَعـةً كأَنَّ الحُصَّ فيها إِذَا مَا المـاءُ خَالَطَهـا سَخِينا
تَجـوزُ بِذِي اللُّبَانَـةِ عَنْ هَوَاهُ إِذَا مَا ذَاقَهـا حَتَّـى يَلِينَا

وقال الحارث بن حلزه[2] :

فَاتْـرُكُوا البَغْـيَ والتَّعَـدِّي وَإِمّا تَتَعاشَـوْا فَفِـي التَّعاشِـي الدَّاءُ
واذكروا حِلفَ ذي المَجَـازِ وَقـاْ دِمَ فيه العُهـودُ والكِفلاءُ
واعْلَمُـوا أَنَنَـا وإِيّاكُمُ فِيـ مَا اشْتَرَطْنَـا يَوْمَ اخْتَلَفْنَـا سَواءُ

وعندما نقف

مع أفعال الأمر التي وردت في الأبيات السابقة نحو فانعيني ، وشقـي ، تبصر ، أبلغ ، هبي ، اتركوا ، إذكروا واعلموا . نلحظ أنها أفعـال أمـر عادية انتهت بانتهاء أصحابها فالآمر والمأمور والفاعل والمفعول والسائل والمسؤ ول كل ذلك قد انتهى إلى زوال . وننتقل بعد ذلك إلى العصر الإِسلامي فهذا جرير يمدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك قال[3] :

أَنْـتَ الْخَلِيفَـةُ للرَّحْـمَـن يَعْرِفُـه أَهْـلُ الزَّبـورِ وَفـي التَّـوراةِ مكْتُوبُ

---

١ ـ شرح القصائد السبع ٣٧١ ، ٣٧٢ ، ٣٧٣
٢ ـ شرح القصائد السبع ٤٧٧ وما بعدها .
٣ ـ ديوان جرير ص ٣٤

كُونُـوا كَيُوسُفَ لَمَّـا جَاءَ إِخْوَتُـهُ
واسْتَعْرَفُـوا قَالَ: مَا فِي الْيَوْمِ تَثْرِيب

اللهُ فَضَّلَـهُ واللهُ وَفَّقَـهُ
تَوْفيقَ يُوسُفَ إِذْ وَصَّـاهُ يَعْقوبُ

وهذا سديف يحرض أبا العباس السّفاح على بني أميه :

ويقول في ذلك :

لاَ يَغرنَّـكَ مَا تَرَى من أُنَـاسٍ
إنَّ بَيْنَ الضُّلُـوع دَاءً دَوِيًّا

فَضَـعْ السَّيْفَ وارْفَـعْ السَّـوْطَ حَتـى
لاَ تَرى فوق ظَهْرِهَـا أُمَوِيّاً[1]

فإذا ما وقفنا مع الأفعال الأمر السابقة [كونوا ، ضَعْ وارفع] نلحظ أنها انتهت بانتهاء القائل والمخاطب . أما الأفعال القرآنية فهي أفعال معجزة خالدة خلود المعجز لأنه من خلقه عز وجل ونحب أن نقف مع فعل الأمر في القـرآن الكريم لنبين أنه فعلٌ خالد خلود الدهر معجز إعجازاً زمنياً لا ينقطع مطلقاً وهذا سر إعجازه .

ولنقف مع هذه النماذج القرآنية المعجزة التي أنزلها الله على رسوله محمـد صلى الله عليه وسلم ليبلغها للناس وهي آخر رسالة سماوية منزلة إلى هذه الأرض هدي للناس ورحمة ونحب أن نؤكد أن هذه الدراسة تقوم على اليقين الصـادق والإيمان المطلق منطلقاً من قاعدة إلهية خالدة وهي أن هذا القـرآن الـكريم هو

ـ العمدة ١/ ٦٢

معجزة محمد العظيم إذ يحتوي على إعجاز كلي مطلق كما[1] بينت في الباب الأول من هذا البحث مصداقاً لقوله تعالى : **« قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً »**[2] .

جاء في كتابنا الخالد القرآن الكريم كثير من الأفعال التي تحثّ الناس على الإيمان بالله عزّ وجلّ ووحدانيته وطاعته والإعتماد عليه .

وكثيراً من هذه الأفعال جاءت بصيغة الأمر للرسول العظيم محمد صلىّ الله عليه وسلّم ليبلغها للناس كافةً ونوّد أن نقدّم في هذه الدراسة بعض النماذج القرآنية التي أشارت الى هذه الظاهرة القدسية . . .

إن أول أمر من الخالق لرسوله محمد صلىّ الّله عليه وسلّم كان فعل الأمر : « إقرأ »[3] وجاء مجرداً ثلاث مرات ومسنداً لواو الجماعة ثلاث مرات وكان في الأولى « إقْرأْ »[4] باسْمِ رَبِّكَ الذَّي خَلَقَ « العلق » فالمخاطب محمّد عليه السلام ومن بعده العالم كافة للجنس البشري ، فالفعل خالد من الناحية الزمنية ، لأن القائل خالد ، والمخاطب الجنس البشري كافةً فهو مستمّر حتى يوم القيامة وهذا سرّ إعجازه الزمني وقد لا نلحظ ذلك في الجمل الوضعية فتقول : « إشربْ وادرسْ وانهضْ والعبْ واذهبْ وهلمّ جرّا فهي أفعال محددة الزمن ، وان دلّت على المستقبل إلاّ أنها تقف عند حدّ زمني معينّ . ألم ترَ أن الشرب والدرس

---

١ ـ قال ابن خلدون « إعجاز القرآن إنما هو في وفاء الدلالة منه لجميع مقتضيات الأحوال منطوقه ومفهومه وهي أعلى مراتب الكلام مع إكتمال فيما يختص بالألفاظ في إنتقائها وجودة وصفها وتركيبها مقدمة إبن خلدون ص ٤٠٧ .

٢ ـ سورة الإسراء آية ٨٨ .

٣ ـ وردت مادة قرأ في القرآن الكريم ومشتقاتها « ٨٤ مرة » وجاءت فعل أمر « ٦ مرات » انظر المعجم المفهرس الألفاظ القرآن الكريم مادة « قرأ » ومعجم ألفاظ القرآن الكريم المجمع المصري .

٤ ـ الكشاف ٤/ ٧٧٥ قال الزمخشري عن إبن عباس هي أول سورة نزلت في القرآن الكريم وأسباب النزول ص ٦ والجامع لأحكام القرآن ج ٢٠/ ٢٥٢

والنهوض واللعب والذهاب ستنهى حتماً في وقت محدّد ؟ أما الأمر الخالد فهو مستمر كما جاء في القرآن : قال أبو علي الطبرسي حول الآية : « إقرأ باسْم رَبِّكَ الذّي خَلَقَ » هذا أمر من اللّه سبحانه لنبيه صلىّ اللّه عليه وسلّم أن يقرأ باسْم ربِّه وأن يدعوه بأسمائه الحسنى وفي تعظيم الاسم تعظيم المسمي لأن الاسم ذكر المسمى بما يختصه فلا سبيل إلى تعظيمه إلاّ بمعناه[1] .

وقال أحدُ العلماء في هذا الشأن : « نزل صدرها بغار حراء وهي أول ما نزل من القرآن ومعناها : « إقرأْ القرآن مفتتحاً باسْم ربِّك أو متبركاً باسْم ربِّك ، أما « الوجه الثاني فمعناه « إقرأْ هذا اللفظ وكرّر الأمر بالقراءة تأكيداً » والمقصود تأنيس النبي صلىّ اللّه عليه وسلّم كأنه يقول : « إفعلْ ما أمرت به فإن ربّـك كريم[2] ، وقال المرحوم سيد قطب « لقد ظلت أثار هذه الفترة تعمل في حياة البشر منذ تلك اللحظة الى هذه اللحظة وإلى أن يرث اللّه الأرض ومن عليها »[3] .

الآية الثانية ﴿ إقرأْ وربُّكَ الأكْرَمُ ﴾ العلق ٣ » .

جاء الفعل في الآية الكريمة « إقرأْ » أمراً ، والمخاطب محمد عليه السلام فهي توكيد لأقرأ الأولى ، إذ قيل : أكد الأمر بالإعادة فقال : « إقرأْ »[4] قال الزمخشري : إقرأْ باسْم ربِّك . قلْ : بسْم الله ثم إقرأْ[5] وروي أيضاً « إقرأْ » وقيل أمره في الأولى بالقراءة لنفسه وفي الثاني للتبليغ وليس بتكرار ... ومعناه إقرأْ

١ ـ مجمع البيان ١٠/ ٥١٣ وتفسير إبن كثير ٩/ ٢٤٥ والبحر المحيط٨/ ٤٩١
٢ ـ كتاب التسهيل ٤/ ٢٠٨ بتصرف
٣ ـ في ظلال القرآن مج ٨/ ٦١٦
٤ ـ مجمع البيان ١٠/ ٥١٤ ونحوه تفسير إبن كثير ٩/ ٢٤٥
٥ ـ الكشاف ٤/ ٧٧٥ وانظر رأي مكي ورأي الأنباري مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٢٧ والبيان . [في غريب إعراب القرآن ٢/ ٨٢٢]

القرآن »[1] قال أبو حيان : مفعول إقرأ محذوف وتقديره إقرأ ما يوحى إليك والإنسان هنا اسم جنس »[2] .

وقد نقل النيسابورى بعضاً من قصة النزول قال : فجاءه « الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : إقرأ ، فقال : رسول اللّه صلىّ اللّه عليه وسلّم : فقلت : ما أنا بقارىء ، قال : فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني ، فقال : إقرأ : فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال : إقرأ : فقلت : ما أنا بقارىء ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد فقال : « إقرأ باسْم ربِّك الذي خلق » حتى بلغ ما لم يعلم فرجع بها يرجف فؤاده حتى دخل على خديجة فقال : زملوني ، فزملوه حتى ذهب عنه الروع »[3] .

وإذا ما وقفنا مع الفعل ثانية « إقرأ » في الآية السابقة نلحظ أنه فعل خالد يردده الملايين من المسلَمين صَباحَ مَساءَ في حلهم وترحالهم وقيامهم وقعودهم فهو معجز كما بينا في الفعل الأول ، وقد ذكر الخالق عزّ وجلّ فعل الأمر « إقرأ » مرة ثالثة ونلحظ أنه يختلف عن الفعلين السابقين من حيث الحدوث وذلك في قوله تعالى : ﴿وكل انسان الزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا﴾[الأسراء ١٣] .﴿اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ [الأسراء ١٤] .

عندما نقف مع فعل الأمر « إقرأ » في الآية السابقة ، نلحظ أن الأمر موجهٌ لكل إنسان خلق في هذه الدنيا هذا من حيث المعنى أما من حيث حدوث أمر

١ ـ مجمع البيان ١٠/ ٥١٤
٢ ـ البحر المحيط٨/ ٤٩١
٣ ـ أسباب النزول ص ٥ ، ص ٦ وتفسير ابن كثير ٩/ ٣٩ وإعراب ثلاثين سورة من القرآن ص ١٣٣ وفي ظلال القرآن مج ٨/ ٦١٦ وما بعدها . « بتصرف »

القراءة فلم يحدث ذلك ، ولم يستطع أي كائن أن يحدّد الزمن الذي سوف يحدث فيه فعل الأمر « إقرأ » إلاّ اللّه عزّ وجلّ . فهو أمر خالد ولكنه يختلف عن الأمر الذي جاء في آيتي العلق﴿إقرأ باسم ربك الذي خلق﴾﴿إقرأ وربك الأكرم﴾ . حيث نلحظ أن القراءة في الآية الأولى والآية الثانية قد حدثتا ولم تزل القراءة قائمة حتى الآن وسوف تستمر الى يوم القيامة ، أمّا « إقرأ » في الآية الثالثة فهو أمر لم يحدث مطلقاً إلاّ بعد الموت وعند ذلك يطالب الإنسان بهذه القراءة التي وعد اللّه بها عبادة في هذا الكون ، وهي ﴿إقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا﴾ .

وهكذا نلحظ بوضوح ظاهرة الإعجاز الزمني في الأفعال القرآنية فهي أفعال خالدة معجزة يعجز عنها الإسناد الوضعي ويحاول المفسرٌون شرح هذه القراءة الغيبية إذ وروى الزمخشري عن قتادة قال : « يقرأ ذلك اليوم من لم يكن في الدنيا قارئاً »[1] وفي رواية عن جابر قال : « يذكر العبد جميع أعماله وما كتب عليه حتى كأنه فعله تلك الساعة »[2] .

وقد حاول المرحوم سيد قطب أن يشرح هذه الصورة فقال : « تعرض سجلُ الأعمال في كتاب منشور يرف في عنق صاحبه رفيف الطائر حيث يكلف كل إنسان قراءة كتابه فيكون هو على نفسه شهيداً »[3] .

ثانياً : إسناد الأمر من « قرأ » إلى واو الجماعة .

جاء فعل الأمر من الفعل « قرأ » مخاطباً « واو » الجماعة في اقرآن الكريم ثلاثَ مرات وقد تكرر مرتين في قوله تعالى : ﴿إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من

---

١ ـ الكشاف ٢/ ٦٥٣ ونحوه مجمع البيان ٦/ ٤٠٤
٢ ـ مجمع البيان ٦/ ٤٠٤
٣ ـ مشاهد القيامة في القرآن ص ١٢٢

ثلثي الليل ونصفه وثلثه وطائفة من الذين معك والله يقدر الليل والنهار علم ألن تحصوه فتاب عليكم فاقرءوا ما تيسر من القرآن علم أن سيكون منكم مرضى وآخرون يضربون في الأرض يبتغون من فضل الله وآخرون يقاتلون في سبيل الله . فاقرءوا ما تيسر منه﴾ المزمل ٢٠ » .

نلحظ في الآية الكريمة السابقة فعل الأمر « إقرءوا ما تيسّر منه ذكر مرتين » .

فإذا ما وقفنا مع المخاطب في الآية الكريمة نلحظ أن المخاطب محمدٌ عليه السلام وأمته والذين آمنوا معه ، فهو أمرٌ خالدٌ ، حَدَثَ ولم يزل حتى يوم القيامة ، وهو أمرٌ قراءة القرآن ونشره وترتيله » .

ويرى بعض المفسِّرين أن المقصود بقراءة القرآن في الآية السابقة « الصلاة » قال الزمخشري : « وعبّر عن الصلاة بالقراءة لأنها بعض أركانها كما عبِّر عنها بالقيام والركوع والسجود »[١] وقيل : هي قراءة القرآن بعينها[٢] .

وقال أبو علي الطبرسي : « إختلفوا في القدر الذي تضمنه هذا الأمر من القراءة ، فمنهم من رأى مائة آية ، وآخر رأى ثلث القرآن . والظاهر أن معنى ما تيسرّ مقدار ما أردتم وأحببتم[٣] .

وقال أبو حيان كرر ذلك على سبيل التوكيد القراءة الأولى[٤] أما الآية الثالثة التي جاء فيها الأمر من الفعل « قرأ » مسنداً إلى واو الجماعة ، فقد كانت في سورة الحاقه ، حيث تصور لنا بعض مشاهد القيامة . قال أحد العلماء بأنها سميت الحاقة لأنها تحقّ أي يصح وجودها »[٥] قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ

١ ـ الكشاف ٤/ ٦٤٣ ونحوه البحر المحيط ٨/ ٣٦٥ وتفسير إبن كثير ٩/ ٣٥
٢ ـ البحر المحيط ٨/ ٣٦٥
٣ ـ مجمع البيان ١٠/ ٣٨٢ بتصرف
٤ ـ البحر المحيط ٨/ ٣٨٥
٥ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٣/ ١٤٣ ومشاهد القيامة في القرآن ص ١٨٢ ، ص ١٨٣ .

بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه﴾ الحاقة (١٩) .

ونلحظ أن الأمر لم يحدث ؛ أيْ : إنّ القراءةَ لم تحدث فهو أمر معجز وسوف يحدث يوم القيامة بإذن اللّه .

قال الزمخشري : « يأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك كتابه بشماله »[١] ويقول آخر : « إنّ العبد الذي يُعطي كتابه بيمينه يقول للناس : إقرءوا كتابيه على وجه الإستبشار »[٢] .

أمّا « هاَ » فهو اسم فعل أمر بمعنى [٣] خُذْ ؛ ويجوز مدّه ، قال إبن هشام فيقال : « هَاءَ للمذكر بالفتح وهاءِ بالكسر أي بكسر الهمزة ، وهاؤما للمثنى وهاؤ نّ للمؤ نث وهاؤ مُ ، ومنه قوله تعالى :﴿ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيهْ﴾[٤] .

وإذا ما وقفنا مع الأفعال السابقة نلحظ أن القرآن الكريم جاء بفعل الأمر من مادة « قَرَأَ » ست مرات « إقرأْ » ، ثلاث مرات واقرءوا ثلاثَ مرات ، كان المخاطب فيها واو الجماعة . وقد حدثَ الأمر ـ ولم يزل ـ في فعلين من « قرأ » كما حدث الأمر في فعلين من « اقرءوا » أي حدثت القراءة فعلاً وبقى فعلان لم يحدثا حقيقةً إلاّ يومَ البعث ، أي بعد الحياة ، ويلاحظ أيضاً أن المدة الزمنية قد جاءت في جميع الأفعال السابقة خالدةً غير منقطعة زمنياً ؛ أربعة أفعال ، باقية حتى يوم القيامة وفعلان بعد البعث وهذه الظاهرة تمثل قمة الإعجاز النحوي في

---

١ ـ الكشاف ٤/ ٦٠٢ وانظر مشاهد القيامة في القرآن ص ١٧٩ ، ص ١٨٠ وما بعدهما .
٢ ـ كتاب التسهيل ٣/ ١٤٣ وفي ظلال القرآن مج ٨/ ٢٤٦ وما بعدها
٣ ـ معنى اللبيب ١/ ٣٨٥ ورصف المباني ص ٤٠٤ .
٤ ـ مغنى اللبيب ١/ ٣٨٥ بتصرف وانظر شرح المفصل ٨/ ١١٣ والجني الداني ١٣٩ وإعراب غريب القرآن ٢/ ٤٨٥ وذهب بعض العلماء إلى أنه اسم فعل بمعنى : تعالوا أما الزمخشري فقال هو صوت يفهم منه معنى خذ انظر كتاب التسهيل ٣/ ١٤٣ والهاء في كتابيه للسكت الكتاب ٤/ ١٤٤ ـ تحقيق هارون ، ومجالس العلماء ص ١٨٨ ص ١٨٩

الأفعال من حيث الزمن . ونحب أن نبين أن هناك بعضَ أفعال الأمر في القرآن قد حدثت وانتهت . وهذا ما قاسَ عليه النحاة وهذه الأفعال لا تخلو من إعجاز مـعينّ من وجـوه الإعجـاز القرآني . وذلك نحو قوله تعـالى في قصـة آدم عليه السلام : ﴿ويا آدم اسكن أنت وز وجك الجنة فكلامن حيث شئتما ولا تقر با هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ الأعراف ١٩ » .

وإذا ما وقفنا مع أفعال الأمر في الآية السابقة « نحو : اسْكُنْ وكُلاَ » نلحظ أنهما حدثا فعلاً . وانتهيا في زمن معين والإعجاز في الآية السابقة في التـركيب اللّغوي والأخبار بالغيب وغير ذلك من وجوه البلاغة . قال القاضي عبد الجبار معقباً على قوله تعالى :﴿ الر كتاب احكمت آياته ﴾(هود ١) . أريد به انه تعالى أحكمه في باب الإعجاز والدلالة على وجه لا يلحقه خلل »[1] ومعنى ذلك أن الإعجاز القرآني واضح كوضوح الشمس في جميع الآيات دون إستثناء إذ : « لا تفاوت بين أي القرآن وسورة في البلاغة . لأن القرآن بَلَغَ حد الإعجاز لما اشتمل عليه من حسن التأليف والفصاحة ووجوه الإيجاز[2] .

ومنه قوله تعالى ، عندما طرد الله إبليس من الجنّة قال :﴿ فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغـرين ﴾ ١٣ الأعـراف » اهبط وأخرج أفعال أمر حدثت وانتهت وكذلك قوله تعالى : ﴿ اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع الى حين ﴾(البقرة ٣٦) .

قال الفراء[3] « فإنه خاطب آدم وامرأته . ويقـال آدم وإبليس أمّـا فعـل الأمر : « اهبطوا » فقد حدث الهبوط فعلاً ، وهذه الأفعال التي جاءت وانتهت

---

١ ـ متشابه القرآن ١/ ٢١ وانظر معترك الإقران ١/ ١٤ ، ١٥
٢ ـ نور الإسلام مجلة الأزهر ج ٦ مج ٣ ص ٥٠٠
٣ ـ معاني القرآن ١/ ٣١ الفراء

بظاهرها الزمني ، هي التي قاس عليها النحاة . أمّا الأفعال السابقة فهي أفعال يعجز عن الأتيان بها الأسناد الوضعي وهو إعجاز قائم خالد حتى يوم يبعثون .

ونكرّر ما قاله الخطابي[١] : « والأمر في ذلك أبين من أن نحتاج الى أن ندل عليه بأكثر من الوجود القائم المستمر على وجه الدهر من لون عصر نزوله الى الزمان الراهن الذي نحن فيه . وذلك أنّ النبي صلّ الله عليه وسلّم قد تحدّى العرب قاطبةً بأن يأتوا بسرةٍ من مثلة فعجزوا عنه وانقطعوا دونه[٢] .

الحثّ على وحدانية الله وطاعته

حثّ القرآن الكريم على طاعة الّله عزّ وجلّ والإيمان بوحدانيته وقد استخدم القرآن الكريم كثيراً من أفعال الأمر تحقيقاً لهذه الغاية . ومن الأفعال التي استخدمت في هذا الشأن الفعل : « قُلْ » ذُكِرَتْ مادة « قَوَلَ » في القرآن الكريم في صور مختلفة ما يقرب من ثلاثين وسبع مائة وألف مرة « ١٧٣٠ » . أمّا الأمر فقد ذُكِرَ في تسع وأربعين وثلاث مائة مرة (٣٤٩ مرةً) مفصلاً كما يلي : « قل » ٣٣٢ « مرة » « قولوا » ١٢ مرة و « قولا » ثلاث مرات و « قولى » مرة « واحدة » وقلن مرةً واحدةً أيضاً[٣] .

والقارىء لهذه الآيات الكريمة التي جاء فيها فعل الأمر « قُلْ » يلحظ أن كل آية معجزةً في ذاتها ، وإن اتفقت في الصيغ الزمنية من حيث كونها أمراً ، ولَكِنْ لكل آيةٍ هَدَفٌ سامٍ ولكل أمر موقف خاص سبحان الذي أبدع هذا القرآن العظيم .

---

١ ـ إعجاز القرآن للخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ١٩

٢ ـ الخطابي علماء القرن الرابع تعرض سنة ٣٨٨ هـ .

٣ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة قول ونحوه معجم ألفاظ القرآن المجمع اللغوي مصر أنظر أسباب النزول ص ٣٠٩ ص ٣١٠ .

ونحب في هذا الشأن أن نقدم بعض النماذج التي تحث على الإيمان باللّـه ووحدانيته . وخاصةً ، بعض السور القصار والتي بدأت بفعل الأمر « قل »[1] « **قل هو الله احد ، الله الصمد ، لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفؤا أحد** » « الإخلاص ١ ـ ٤ » .

نلحظ أنَّ فعل الأمر في الآية السابقة هو « قُلْ » والأمر لمحمد صلىّ اللّـه عليه وسلّم ، ولمن دَبَّ على هذه الأرض ، لأن محمداً أُرسِلَ للناس كافةً اذْ قال تعالى : « ومَاَ أرسلناك إلاّ كافةً للنَّاس بَشِيراً ونَذِيراً » فالمخاطب الناس كافةً بعد الرسول ، والأمر في الجملة خالد ، من الناحية الزمنية وكذلك مقول القول » .

فإذا قلت لابنك : قل الحق أو قُلْ الصدقَ . فقد ينتهي الأمر ؛ بانتهـاء الزمن ، وبانتهاء ، الفاعل والقائل .

وإذا قلتَ لصاحبك أو لأخيك : إذهب إلى فلان ، وقُلْ له كَذَا وكذًا ؛ فقد وقع الأمر على جميع ما بعد فعل القول إلاّ أن الزمن في الإسناد الوضعي كما تلاحظ لا بدّ أن ينتهي في زمن ما ، فهو محدود إذن . أمّا الأمر كما تلحظ هو خالد معجز ستبقى الناس تردّده « قُل هُوَ اللّه أحد الّله الصمدُ إلى يوم يبعثوث » قال مكي في إعراب « قُلْ » قُل يا محمدُ الحديثَ الحقَّ اللّهُ أحدْ »[٣] .

قال إبن خالوية في إعرابها قلْ : أمر ، فإن سأل سائـل فقـال : إذا قال القائل ، قلْ : لا إله إلاّ اللّه وجب أن تقول : لا إله إلاّ اللّه ولا ترد قل : فما وجه ثبات الأمر في « قُلْ » في جميع القرآن فالجواب : في ذلك أن التقدير « قل يا محمد قُلْ هو اللّه أحد » وقل يا محمد قُلْ أعوذ بربٌ الناس ، فقال النبي صلىّ اللّه

---

١ ـ مشكل إعراب القرآن لمكي ٢/ ٨٥٢ وتفسير الخازن ٦/ ٣١٩

عليه كما لقنه جبريل عن الّله عزّ وجلّ »[1] .

أمّا الآية فهي دعوة للتوحيد الأبدي الخالد فالأمرُ خالد والمأمـور باق من حيث الجنس الى حين . قال الطبرسي : « سُميت سورة التوحيد لأنه ليس فيها إلاّ التوحيد وكلمة التوحيد تسمى كلمة الإخلاص وقيل إنما سميت بذلك ، لأن من تمسك فيها إعتقاداً وإقراراً كان مؤ مناً .[2]

وقال أحد المفسرين : « ولا يطلق هذا اللفظ على أحد في الإثبات إلاّ على الّله عزّ وجلّ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله[3] .

قال الزمخشري وقال آخر : « هذه الآيات عقيدة للضمير وتفسير للوجود ومنهج للحياة وقد تضمنت السورة أعرض الخطوط الرئيسية في حقيقة الإسلام الكبيرة » .

ورُوِيَ عن النبي صلىّ الّله عليه وسلّم[4] : « أسست السماوات السبـع والأرضون السبع على قُلْ هو الّله أحد يعني ما خلقت إلاّ لتكون دلائل على توحيد الّله ومعرفة صفاته التي نطقت بها السورة عن رسول الّله صلىّ الّله عليه وسلّم أنه سمع رجلاً يقرأ « قُل هو الّله أحد » فقال : وجبت قيل يا رسول الّلـه ، ومـا وجبت ؟ قال : « وجبت الجنة[5] » .

وقد روى عن الرسول صلىّ الّله عليه وسلّم أنه قال : والذي نفس بيده إنها لتعدل ثلث القرآن، كما روى أن رجلاً كان يؤ م قومه فيقرأ في كل ركعة : قُلْ

---

١ ـ إعراب ثلاثين سورة ص ٢٢٨ ومشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٨٣

٢ ـ مجمع البيان ١٠/ ٥٦٥ وانظر توضيحاً لفضلها ونحوه تفسير الخازن ٦/ ٣١٩الكشـاف ٤/ ٨١٧ والبحر المحيط٨/ ٥٢٨

٣ ـ تفسير ابن كثير والبغوي ٩/ ٣٤٤

٤ ـ في ظلال القرآن بتصرف ج ٨/ ٧٠٢

٥ ـ الكشاف ٤/ ٨١٩

هو الّله أحد ، فذكر ذلك قومه للنبي صلىّ الّله عليه وسلّم . وأرسل اليه ، فقال إني أحبها ، فقال له الرسول عليه السلام : حبّك إياها أدخلك الجنة »[1] .

وقال ابن خالوية حول الظاهرة النحوية وتقديم « هو » في أول السورة بعد فعل الأمر « قُلْ » فإن قيل لما إبتدأت بالمكنى ، ولم يتقدم ذكره ؟ فقُلْ لأن هذه السورة ثناء على الّله تعالى . وهي خالصة له . ليس فيها شيء من ذكر الدنيا ، ونزلت جواباً لقوم قالوا للنبي صلىّ الّله عليه وسلّم ؛ اخبرنا عن الّله تعالى ذكره . أمن ذهب هو أم من فضة أم من مسك ؟ فانزل الّله تبارك وتعالى « قُلْ هو الله أحد »[2] .

أما مكي القيسي فيقول : وإنما وقعت « هو » كنايةً في أول الكلام لأنه كلام جرى على جواب سائل[3] . ويلاحظ من حكمته تعالى أنه جاء بهذه الآيات القصيرة لحكمة في التعليم وتدرج الأطفال من السور القصاد الى ما فوقها تيسيراً من الّله على عباده لحفظ كتابه[4] .

وقوله تعالى :﴿ قل اعوذ برب الفلق . من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ، ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد﴾ « الفلق ١ ـ ٥ » .

وقال تعالى ﴿قل أعوذ برب الناس . ملك النـاس . الـه النـاس من شر الوسواس الخناس . الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس ﴾« الناس ١ ـ ٦ ».

---

١ ـ أحكام القرآن لابن العربي مج ٤/ ١٩٨٣ بتصرف
٢ ـ إعراب ثلاثين سورة ص ٢٢٨
٣ ـ مشكل إعراب القرآن ٢/ ٨٥٣ والبيان في غريب إعراب القرآن ٢/ ٥٤٥ وأسباب النزول ص ٣٠٩ ، ص ٣١١ إذ روى ثلاثة أسباب للنزول معاني القرآن ٣/ ٢٩٩
٤ ـ الإتقان ١/ ٨٧

اذا ما وقفنا مع السورتين السابقتين نلحظ انهما بدأتا بفعل الأمر « قُلْ » والمخاطب فيها الرسول عليه السلام ، ومن بعده الذين آمنوا به وبرسالته الخالدة .

قال ابن خالوية : « فما وجه ثبات الأمر في « قُلْ » في جميع القرآن ؟ فالجواب في ذلك أن التقدير ، قُلْ يا محمدُ : قُلْ هو اللّه أحد . وقل يا محمد قُلْ أعوذ بربِّ الناس فقال النبي صلىّ الله عليه وسلّم كما لقنه جبريل عن الله عزّ وجلّ . وأخبرنا محمد بن أبي هاشم عن ثعلب عن إبن الإعرابي قال : قيل لأعرابي : ما تحفظ من القرآن فقال : أحفظ سور القلاقل يعني ما كان في أوله ، « قُلْ »[1] .

وهكذا نلحظ أن الأمر خالد من الناحية الزمنية ، وهذا سرّ من أسرار الإعجاز القرآني الكريم روى صاحب الكشاف عن رسول اللّه صلىّ اللّه عليه وسلّم : « لقد أنزلت على سورتان ما أنزل مثلهما وإنك لن نقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند اللّه منهما . يعني : المعوذتين . ويقال للمعوذتين المشِقشقتان[2] . أما الطبرسي فيروي في شأنهما : « قُلْ : من قرأ « قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ » و « قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاس » فكأنما قرأ جميع الكتب التي أنزلها اللّه على الأنبياء . وعن الرسول علَيه السلام إنه قال لعقبه : إقرأهما كلما قمت ونمت »[3] .

وروى صاحب روح المعاني ، قال : « أخرج مسلم والترمذي والنسائي وغيرهما عنه قال : قال رسول اللّه صلىّ اللّه عليه وسلّم : « أنزلت على الليلة

---

١ ـ إعراب ثلاثين سورة ص ٢٢٩ وما بعدها ومجمع البيان ١٠/ ٥٧٠ وانظر شرحاً للسورتين الكشاف ٤/ ٨٢٠ وما بعدها ومجمع البيان ١٠/ ٥٦٧ ومعاني القرآن ٣/ ٣٠١

٢ ـ الكشاف ٤/ ٨٢٤ والجامع لأحكام القرآن ٢٠/ ٢٥٢ / ٢٦٢

٣ ـ مجمع البيان ١٠/ ٥٦٧ وتفسير المراغي مج ٣٠/ ٢٦٥

آيات لم أرَ مثلهن قط . « قُلْ أعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ »[1] .

وفي حديث أن من قرأهما مع سورة الإخلاص ثلاثاً حين يُمسي وثلاثاً حين يُصْبح كفته من كل شيء . وفي فضلهما أخبار كثيرة ، وقال المرحوم سيد قطب في هذا الشأن « . . . . . . : « هذه السورة التي يعدها توجيه من اللّه سبحانه وتعالى لنبيه صلىّ اللّه عليه وسلّم إبتداء وللمؤمنين من بعده جميعاً «[2] .

وقال تعالى :﴿ قل يا ايها الكافرون . لا أعبد ما تعبدون . ولا أنتم عابدون ما أعبد . ولا أنا عابد ما عبدتم . ولا أنتم عابدون ما اعبد . لكم دينكم ولي دين﴾[الكافرون ١ ـ ٦] .

نلحظ أن السورة الكريمة بدأت بفعل الأمر[3] « قُلْ » وهو أمر موجه لمحمد صلىّ اللّه عليه وسلّم أن يبلغ الكافرين رأيه وثباته وذلك بعد أن جادلوه في دينه جدالاً شديداً . والأمر « قُلْ » هو أمر مستمر لن ينقطع حتى يوم القيامة لأنه أمرٌ من اللّه عزّ وجلّ ويلاحظ المسلم في هذه الفترة أن بعض الملحدين والمنافقين الذين يجادلون في دين اللّه العظيم ويغرسون بذور الشك في عقيدة المسلم وذلك عن طريق الكتابة او المشافهة ووسائل أخرى فما على المسلم الصادق القوي عقيدة إلاّ أنْ يتذكر الأمر المعجز الخالد وقد روى عن رسولنا العظيم محمد صلىّ اللّه عليه وسلّم أنه قال : « من قرأها فقد برىء من الشرك[4] » .

وقال الزمخشري في هذا الشأن : عن رسول اللّه صلىّ اللّه عليه وسلّم :

---

١ ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم ٣٠/ ٢٧٩ ٧ « قال : « قل أعوذ » أي : ألتجىء وأعتصم وأحترز .

٢ ـ في ظلال القرآن مج ٨/ ٧٠٧

ـ ينظر في ذلك الكشاف ٤/ ٨٠٨ ومعاني القرآن ٣/ ٢٩٧ وأسباب النزول ص ٣٠٧ ومجمع البيان ١٠/ ٥٥٣

٤ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ٤/ ٢٢٠

من قرأ سورة الكافرين فكأنما قرأ ربع القرآن وتباعدت عنه مِرآة الشياطين وبرىء من الشرك ويعافى من النزع الأكبر »[٣] .

وروى الطبري « عن فروة بن نوفل الأشجعي عن أبيه انه أتى النبي صلىّ اللّه عليه وسلّم فقال : « جئت يا رسول اللّه لتعلمني شيئاً أقوله عند منامي قال : « إذا أخذت مضجعك فاقرأ : « قل يا أيها الكافرون » ثم « نم » على خاتمتها فإنها براءة من الشرك »[٤] .

وهكذا نلحظ أن الأمر في الآيات السابقة لم يحدّد بمستقبل معينّ من الناحية الزمنية فهو أمر زمني خالد ستبقى ملايين المسلمين تردده إلى أن يشاء اللّه العظيم » .

قال سيد قطب : « قُلْ » الأمر الإلهي الحاسم الموحي بأن أمر هذه العقيدة أمر اللّه وحده ليس لمحمد فيه شيء : إنما هو اللّه الآمر الذي لا مرد لأمره الحاسم الذي لا راد لحكمه[٥] » .

وقد ذكر اللّه تعالى فعل الأمر « إتقوا » « ٦٩ مرّة » في سور متفرقة من القرآن الكريم « التقوى بمعنى الإتقاء » وأصله وقياً فأبدلت الواو تاءً ، والياء واواً .

والتقوى في لسان الشرع : إتقاء عذاب اللّه وذلك بامتثال أوامره واجتناب نواهيه وورد أن اللّه أهلٌ التقوى أي : أهلٌ ان يُتّقى ويُخَافُ[١] جاء في اللسان : وقي وقاهُ اللّه وقياً ووقاية وواقية : صانه . قال أبو معقل الهذلي :

---

١ ـ الكشاف ٤/ ٨٠٩ ومجمع البيان ١٠/ ٥٥١ وروح المعاني ٣٠/ ٢٧٩ .
٢ ـ مجمع البيان .
٣ ـ في ظلال القرآن مج ٨/ ٦٨٨ .
٤ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة « وقي »

فَعَادَ عَلَيْكِ أنَّ لكُنَّ حَظّاً وواقيةً كواقيةِ الكِلابِ

وفي الحديث « فوقى أحدكم وجهه النَّار »

وقيت الشيء إذا صنته وسترته عن الأذى »[1] .

ومنه قوله تعالى : « وَتَزَوَّدُوا فإنَّ خَيرَ الزَّادِ التَّقْوى »[2] .

قال الزمخشري : « أي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فإنَّ خير الزاد اتقاؤها[3] .

ومن الأفعال التي جاءت تحثّ على تقوى اللّه عزّ وجلّ قوله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا اللَّه واعْلَمُوا أنَّ اللَّه مع المتقين﴾ [البقرة ١٩٤] .

جاءت الآية الكريمة مكملة في مجال التشريع القتالي وختمها بأمره الخالد طالباً منهم تقوى اللّه في ذلك قال الزمخشري : « واتقوا اللّه في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا إلى ما لا يحل لكم »[4] .

قال أحد المفسرين في الأمر « واتقوا الله » لا تعتدوا على أحد ولا تبغوا ولا تظلموا في القصاص بأن تزيدوا في الإيذاء وأكد الأمر بالتقوى بما يبين مزيتها وفائدتها .[5] .

﴿ واتَّقوا الله واعلموا انكم اليه تحشرون﴾[البقرة ٢٠٣] .

جاءت الآية الكريمة تكملة لقاعدة في التشريع الإسلامي بعد الحج مباشرة

ـ لسان العرب مادة « وقي »
٢ ـ البقرة آية ١٩٧
٣ ـ الكشاف ١/ ٢٤٤
٤ ـ الكشاف ١/ ٢٣٦ وانظر المناسبة تفسير المنار ٢/ ٢١٣
٥ ـ تفسير المنار ٢/ ٢١٣ .

وقيل هي الأيام الثلاثة بعد يوم العيد والحجاج يرمون الجمرات ».

قال الطبرسي : « واتقوا اللّه » أي اجتنبوا معاصي اللّه وتحققوا أنكم بعد موتكم تجمعون إلى الموضع الذي يحكم اللّه بينكم ويجازيكم على أعمالكم »[1] .

وقوله تعالى : « واتقوا الله ان الله سريع الحساب » [المائدة ٤] .

جاءت الآية الكريمة تكملةً لقاعدة سماوية في الحلال من المأكولات والذبائح واختتمت بأمر إلهي وهو التقوى »[2] .

وذكر أبو علي الطبرسي معنى الأمر في الآية السابقة واتقوا اللّه أي : اجتنبوا ما نهاكم اللّه عنه فلا تقربوه واحذروا معاصيه التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم أو ما لم يمسكه عليكم[3] وقوله تعالى فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا واطيعوا وانفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » (التغابن ١٦) .

قال القرطبي : « أي « اسمعوا ما توعظون وأطيعوا فيما تؤمرون وتنهون عنه وقال مقاتل : « إسمعوا » أي أصغوا الى ما ينزل عليكم من كتاب اللّه وهو الأصل في السماع »[4] .

وفي رواية عن البخاري ومسلم وغيرهم : « اسمعوا وأطيعوا وأن استعمل عليكم عبدٌ حبشي كأنه رأسه زبيبة »[5] .

جاء التحدّي القائم منذ نزول الكتاب حتى يرث اللّه هذه الأرض وذلك

---

١ ـ مجمع البيان ١/ ٢٩٩

٢ ـ الكشاف ١/ ٦٠٦ ومجمع البيان مج ٣/ ١٦٠

٣ ـ مجمع البيان ٣/ ١٦٢

٤ ـ تفسير القرطبي ١٨/ ١٤٥

٥ ـ كشف الخفا ومزيل الإلتباس ص ١٣٩

في صيغة الأمر الخالد : « اذ قال تعالى : ﴿وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين﴾ البقرة ٢٣ - ٢٤] .

واذا وقفنا مع الأفعال السابقة وأتوا ، وأدعوا فاتقوا ، نلحظ أنها أفعال خالدة فهي وقف على مدى الزمن[١] أما الفعل « اتقوا » فقد قال الزمخشري : « لأن من اتقى النار ترك المعاندة »[٢] .

قال تعالى : ﴿وجاء آخر أمر في القرآن الكريم حاثاً على تقوى اللّه واتّقوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فيه إلى اللَّه. . . . .ثُم تُوفىَّ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ﴾ « البقرة ٢٨١ » ذهب معظم المفسرين الى انها آخر آيةٍ نزلت في القرآن الكريم ، ونلحظ أن الأمر الأخير اختتم بالتقوى ذكر الزمخشري عن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام »[٣] .

قال تعالى﴿ يأيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم » والذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾« البقرة (٢١) » ذكر الله تعالى الفعل « اعبدوا » مخاطباً فيه واو الجماعة إحدى وعشرين مرة »[٤] ، وفيها أمرِ خالد بعبادة اللّه عزّ وجلّ من نشأة الخليفة حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

---

١ - ينظر في هذا الشأن : الكشاف ١/١٠٢ وما بعدها ومجمع البيان ١/ ٦١ وما بعدها ومعاني القرآن ١/ ١٩ وتفسير المنار ١/ ١٠٩ وما بعدها والإتقان ٢/٢١٨ والإعجاز في دراسات السابقين ص ٣٦٢ والبرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ص ٢٨ ص ٢٩ وما بعدها وثلاث رسائل في إعجاز القرآن ص ٦٥

٢ - الكشاف ١/ ١٠٢

٣ - الكشاف ١/ ٣٢١ وتفسير الثعالبي ١/ ٢٨ وفتح البيان في مقاصد القرآن ١/ ٥٣

٤ - معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة « عَبَدَ » ونحوه : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن

قال الزمخشري : « يأيهُّا النَّاسُ اعبُدُوا رَبكُمْ خطاب لمشركي مكة »[1] ، ولكنه أمر للناس كافة قال السيوطي : « يأيها النَّاسُ خطاب للجنس عام يراد به الخصوص «»[2] ودعوة الخالق للتوحيد والعبادة أزلية لم تنقطع منذ خلق اللّه آدم عليه السلام ثابتة حتى يوم القيامة وقد نقل السيوطي بعض آراء العلماء والمفسرين حول قوله تعالى : « يا أيها النبي ويا أيها الرسول ويا أهل الكتاب وما شابه ذلك قال : حول قوله تعالى يا أيها النبي يا أيها الرسول هل يشمل الأمة ؟ .

قيل نعم : لأن أمر القدوة أمر لا تباعه معه عرفاً . والأصح في الأصول .

المنع لإختصاص الصفة أما « يايها الناس » هل يشمل الرسول عليه السلام . قال : فيه مذاهب أصحها وعليه الأكثرون نعم لعموم الصفة ، وفيه آراء أما « يا أهل الكتاب هل تشمل المؤ منين فالأصح : لا : لأنّ اللفظ قاصر على من ذكر يأيها الذين آمنوا . هل يشمل أهل الكتاب فقيل لا »[3] .

ومن أفعال الأمر الخالدة في قرآننا الكريم أفعال التسبيح لله عز وجل فقد ورد الأمر من الفعل « سَبَّحَ » في القرآن الكريم ثماني عشرة مرة : ثلاث عشرة مرة « سبح » غير متصل بضمير . وسبحه ثلاث مرات ومسندة لواو الجماعة مرتين[4]

والتَّسبيح في اللغة التنزيه[5] وسبحان الله معناه التنزيه لله ، وهو نصب على المصدر كأنَّه قال : أبرىءُ الله من السُّوء براءةً ، والسُّبحة خرزات يسبح

---

١ ـ الكشاف ١/ ٨٩ قال الزمخشري : « كل شيء أنزل فيه يا أيها الناس فهو مكي وكل شيء أنزل فيه يا أيهُّا الذين آمنوا فهو مدني »

٢ ـ معترك الاقران ١/ ٢٣١ بتصرف

٣ ـ معترك الأقران ١/ ٢١٥ بتصرف .

٤ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم مادة « سبح » ص ٣٣٩

٥ ـ كتاب التسهيل ٤/ ١٣٩ وتفسير المنار ٧/ ٢٦٤

بها ، وهي أيضاً التطوع من الذكر والصلاة [1] . وقال عنها صاحب اللسان بأنها كلمة مولده [2] .

وقد يكون التسبيح بمعنى الصلاة والذكر ، والسُّبحة : الدعاء . وصلاة التطوع والنافلة ، يقال فَرغ فلان من سبحته أي : من صلاته النافلة سميت الصلاةُ تسبيحاً لأنَّ التسبيح تعظيم الله وتنزيهه من كل سوء [3] قال ابن خالويه : « فاذا صرفت قلت « سَبَّحَ يُسَبِّحُ تسبيحاً » فهو مُسَبِّحُ ، ويقال للسَّبابة أعني « الإصبع » السَّباحةُ والمُسَبِّحة والمشِيرة » وقد يتعدى الفعل سبح بالباء وبدونها نحو قوله عز وجل : « سبح اسم ربك وباسم ربك » [4]

ومن أفعال الأمر الخالدة التي جاءت في هذا الشأن قوله تعالى :﴿ **فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين** ﴾الحجر ٩٨ - ٩٩ » فالأمر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وهو أمر خالد يردده الذين آمنوا بهذا الرسول العظيم وبما أُنزل إليه يرددون ترديداً إيمانا واحتساباً .

تنزيهاً لهذا الخالق العظيم الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور . قال الزمخشري موضحاً ذلك الأمر الخالد « فسبح » فافزع فيما نابك إلى الله ، والفزع إلى الله هو الذكر الدائم ، وكثرة السجود يُكفك ويكشف عنك النعم ، و« دُمْ » على عبادة ربك » .

وعن النبي عليه السلام « أنه كان إذا حزًّ به أمر فزع إلى الصلاة [5] قال

---

١ ـ مختار الصّحاح مادة « سبح »
٢ ـ لسان العرب مادة سبح
٣ ـ لسان العرب مادة سبح بتصرف
٤ ـ إعراب ثلاثين سورة ص ٥٤
٥ ـ معاني القرآن ٢/ ٢٥٦
٦ ـ الكشاف ٢/ ٥٦٢

الطبرسي : « أي « قل سبحان الله وبحمده » وكن من الساجدين أي المصلين ، وقيل معناه : « احمدْ ربك على نعمه إليك وكن من الذين يسجدون لله ويوجهون بعبادتهم إليه »[1]

وكان عليه الصلاة والسلام يقرأ تارة سورة سبح باسم ربك الأعلى في صلاة الظهر[2]

وقوله تعالى : ﴿ فاصبر على ما يقولون وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب ومن الليل فسبحه وأدبار السجود واستمع يوم يناد المناد من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . إنا نحن نحي ونميت وإلينا المصير يوم تشقق الأرض عنهم سراعا ذلك حشر علينا يسير﴾ « ق ٣٩ - ٤٤)

إذا ما وقفنا مع أفعال الأمر في الآيات الكريمة السابقة ، فاصبر ، وسبح واستمع ، نلحظ أنها أوامر خالدة ، لم تقف عند وقت معين . فالصبر على المشركين والملحدين من إنكارهم للبعث وتكذيبهم أمر واجب على المؤمنين وكذلك التسبيح بحمد الله وتنزيهه تعالى في كل شيء وكذلك الإيمان بالبعث .

يرى الزمخشري أنَّ الصبر على ما يقوله اليهود أو ما يقوله المشركون من انكارهم للبعث ثم قال والصبر مأمور به في كل حال[3]

قال الطبرسي في معنى الأمر « استمع » والمراد به جميع المكلفين : أي اصغ

---

١ - مجمع البيان ٥/ ٣٤٧ بتصرف

٢ - زاد الميعاد ١/ ٥٣ وانظر تفصيلاً معنى التسبيح وكلمة سبحان في تفسير المنار ج ٧/ ٥٦٤ وما بعدها .

٣ - الكشاف ٤/ ٣٩٢ بتصرف .

إلى النداء وتوقعه يعني صيحة القيامة والبعث والنشور ينادي بها المنادي[1].

قال الفراء : « يقال إن جبريل عليه السلام يأتي بيت المقدس فينادي بالحشر » [2]

وقوله تعالى : ﴿ سبح اسم ربك الأعلى ، الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى ، والذي أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى ﴾ الأعلى ١ ـ ٥ ، نلحظ أن السورة الكريمة بدأت بالأمر وهو التسبيح وهو أمر ثابت دائم قال أبو علي الطبرسي : أي : قل سبحان ربي الأعلى [3]

وقال الزمخشري « تسبيح اسمه عز وعلا تنزيه عما لا يصح فيه من المعاني التي هي إلحاد في أسمائه كالجبر والتشبيه ونحو ذلك مثل أن يفسر الأعلى بمعنى العلو الذي هو القهر والأقتدار لا بمعنى العلو في المكان والأستواء على العرش حقيقة [4]

والتسبيح بحمد الله دائم ثابت يردده المسلمون في كل صلاة أي في كل ركعة ست مرات وروى أن الرسول عليه السلام كان يقرأ هذه السورة تارة في صلاة الظهر [5]

وقال أبو علي أيضاً : « ويحسن بالقارىء إذا قرأ هذه الآية أن يقول سبحان ربي الأعلى وإن كان في الصلاة » [6]

---

١ ـ مجمع البيان ٩/ ١٥١
٢ ـ معاني القرآن ٣/ ٨١
٣ ـ مجمع البيان ٧/ ٤٧٤ وانظر البحر المحيط٨/ ٢٤١ « سبح لله ما في السموات »
٤ ـ الكشاف ٤/ ٧٣٧ وانظر كتاب التسهيل ٤/ ١٣٩
٥ ـ تفسير المنار ٧/ ٢٦٤
٦ ـ مجمع البيان ١٠/ ٤٧٤

ومن أفعال الأمر الخالدة ما جاءت تحث الناس على العبادات وإطاعة أوامر الخالق العظيم ومن ذلك قوله تعالى : « **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** » (البقرة ٤٣)

فإقامة الصلاة واتيان الزكاة أمر خالد لن يتوقف حتى يرث الله الأرض الفانية فهو أمر ثابت وكذلك الركوع لله عزَّ وجَلَّ .

قال الزمخشري : « أقيموا الصلاة » يعني صلاة المسلمين وزكاتهم [١] ويجب إقامتها باخلاص لله والصدق والتوجيه إليه والخشوع لعظمته وجلاله . [٢]

كما أوصى الخالق العظيم بالمحافظة عليها وذلك في قوله تعالى : ﴿ **حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى** ﴾ « البقرة ٢٣٨ » فهو أمر خالد لن ينقطع أبداً يطبقه المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها .

قال البيضاوي : « قبل صلاة العصر لقوله عليه السلام يوم الأحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى ـ صلاة العصر ملأ الله بيوتهم ناراً » [٣] قال أبو علي الطبرسي في هذا الشأن داوموا على الصلوات المكتوبات في مواقيتها ، بتمام أركانها ثم خص الوسطى تفخيماً لشأنها . [٤]

وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف إذا بلغت هذه الآية فلا

---

١ ـ الكشاف ١/ ١٣٣ وانظر باب الزكاة في زاد الميعاد ١/ ١٤٧ وما بعدها وسنن أبي داود ٢/ ٢١٢
٢ ـ تفسير المنار ١/ ٣٦٩
٣ ـ تفسير البضاوي ص ٥٤ والكشاف ٤/ ٢٧٨ وروح المعاني ٢/ ٢٢١
٤ ـ مجمع البيان ١/ ٣٤٢ أما الزكاة فهي فرض واجب جاء في تفسير المنار ١٠/ ٢٠٢ الزكاة المفروضة من أموال الأغنياء للفقراء وللمصالح العامة وهي الركن المالي الإجتماعي من أركان الإسلام التي يقوم بها نظامه العام ونحوه زاد الميعاد ١/ ١٤٧ وما بعدها وسنن أبي داود ٢/ ٢١٢ وفي رواية عن جندب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كان يأمرنا أن نخرج الصدقة من الذي نعد للبيع .

تكتبها حتى أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه ، والصلاة الوسطى صلاة العصر [1]

وقوله تعالى : ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ (البقرة ٤٥)

وهكذا نجد الأمر الخالد في قرآننا الكريم لا ينقطع ليس له حدود ولا وقت قال الزمخشري : « واستعينوا على حوائجكم إلى الله بالصبر والصلاة أي الجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين مشاقها وما يجب فيها من إخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب » .

قال أبو علي الطبرسي : « كان النبي عليه السلام إذا حزنه أمر إستعان بالصلاة والصوم [2] ومن قال إنه خطاب للمسلمين ، قال المراد به استعينوا على تنجز ما وعدته لمن إتبع النبي « ص » أو على مشقة التكليف بالصبر أي « بحبس النفس على الطاعات والشهوات وبالصلاة لما فيها من تلاوة القرآن » [3]

وعن الرسول عليه السلام « إِقْرَءُوا الْقُرْآنَ فإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيامَةِ شفيعاً لأَصْحَابِهِ » [4]

وجاء في تفسير المنار حول الآية الكريمة السابقة وأما الأستعانة بالصلاة فهي أقرب إلى حصول المأمول وإرجاع النفس إلى الله تعالى لما لها من تأثير في الروح

---

١ ـ أنظر تفصيلاً لذلك في الكشاف ١/ ٢٨٨ ومجمع البيان ١/ ٣٤٣ وتفسير القرطبي ٣/ ٢٠٨ .

٢ ـ الكشاف ١/ ١٣٣ ، ١٣٤ يرى بعض المفسرين أن الخطاب لليهود أنظر توضيحاً لذلك في مجمع البيان مج ١/ ٩٩ وسنن أبي داود مج ٢/ ١٤٤

٣ ـ مجمع البيان ١/ ٩٩ والكشاف ١/ ١٣٤ وتفسير المنار ١/ ٣٠٠ وما بعدها وانظر رأي الدين في تارك الصلاة تفسير المنار ١٠/ ٢٠٣ وما بعدها

٤ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٤

ولكنها أشق على النفس الأمارة بالسوء ولذلك قال تعالى : « وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين » أي لثقيلة شديدة الوقع [1]

وقوله تعالى : **﴿ وأْمرْ أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى ﴾** (طه ١٣٢) وهذا أمر للرسول وللذين آمنوا برسالته الخالدة وكتابه العظيم وهو أمر مطلق واجب على كل مسلم أن يأمر أولاده وذويه بالصلاة بل واجب على كل وال ومعلم ومسلم أن يأمر أهله بالصلاة وهو أمر خالد .

قال أبو علي الطبرسي : حول تفسير الآية الكريمة : « وأمر يا محمد أهل بيتك وأهل دينك بالصلاة » روى أبو سعيد الخدري قال : « لما نزلت هذه الآية كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي باب فاطمة وعليٍّ ، تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول الصلاة رحمكم الله » [2]

قال الزمخشري : « أقبل أنت مع أهلك على عبادة الله والصلاةِ واستعينوا بها على خصاصتكم : ولا تهتم بأمر الرزق والمعيشة فإن رزقك مكْفِيٌّ من عندنا » [3]

وقوله تعالى : **﴿ اتل ما أوحي إليك من الكتاب وأقم الصلاة إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ولذكر الله أكبر والله يعلم ما تصنعون ﴾** (العنكبوت ٤٥)

نلحظ أن أفعال الأمر خالدة فهي تطالب الرسول والمسلمين بتلاوة القرآن

---

١ ـ تفسير المنار ١/ ٣٠٠ وانظر مزيداً عن فضل الصلاة في أحاديث الرسول عليه السلام وسبل السلام ج ٢/ ٤٢٣ وما بعدهما وسنن أبي داود مج ٢/ ١٤٤

٢ ـ مجمع البيان ٧/ ٣٧ بتصرف والكشاف ٣/ ٩٩

٣ ـ الكشاف ٣/ ٩٩

وإقامة الصلاة لما فيها من فائدة عظيمة وعبادة خالصة لوجهه تعالى . قال الزمخشري : « الصلاة تكون لطفاً في ترك المعاصي فكأنها ناهية عنها . فإن قلت : كم من مُصَلٍّ يرتكب ولا تنهاهُ صلاته ، قلت : الصلاة التي هي الصلاة عند الله المستحق بها الثواب أن يدخل فيها مقدماً للتوبة النصوح متقياً لقوله تعالى : « إنما يتقبل الله من المتقين » ويصليها خاشعاً بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم : كأن رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها فهي الصلاة التي تنهي عن الفحشاء والمنكر » وعن ابن عباس رضي الله عنه من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهيه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً » [1]

الأمر بالحج لبيت الله

ومن الأفعال الخالدة من حيث الزمن قوله تعالى : ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾(الحج ٢٧)

ذهب المفسرون حول المخاطب في الآية السابقة الى قولين : أحدهما : أن الأمر لابراهيم عليه السلام ، والثاني أنَّ الأمر في الآية لمحمدٍ عليه السلام وكلاهما رسول من عند الله فهو أمر للمسلمين كافة .

قال الزمخشري : « وعن الحسن أنه خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أن يفعلَ ذلك في حجة الوداع [2]

أما أبو علي الطبرسي فقد قال : «واختلف في المخاطب به على قولين أحدهما

---

١ ـ الكشاف ٣/ ٤٥٦ وانظر النظم الفني في القرآن الكريم ص ٢٣٤ وتفسير المنار ج ٩ / ص ٥٤٤ ، ٥٤٥ وما بعدها ، وج ١٠/ ص ٣٢٥ ، ص ٣٢٦ ، ص ٣٢٧ ، ص ٣٢٨ وما بعدها .

٢ ـ الكشاف ٣/ ١٥٢

أنه إبراهيم عن علي وابن عباس واختاره مسلم . قال ابن عباس قام في المقام فنادى يا أيها الناس إن الله دعاكم إلى الحج فأجابوا بلبيك اللهم لبيك والثاني ان المخاطب به نبينا محمد عليه أفضل الصلوات أي : وأذن يا محمد في الناس بالحج فأذن صلوات الله عليه في حجة الوداع أي : أعلمهم بوجوب الحج عن الحسن والجبائي وجمهور المفسرين على القول الأول [1] قال ابن كثير إن الآية لابراهيم عليه السلام وقال في هذا الشأن قال ابراهيم قيل يا رب كيف أبلغ الناس ؟ فصوتي لا ينفذهم فقال : ناد وعلينا البلاغ [2]

وقوله تعالى : ﴿وأتموا الحج والعمرة لله﴾ البقرة ١٩٦)

الأمر للمسلمين كافةً فهو أمر خالد باق إلى أن يشاءَ الله .

قال الزمخشري : « ائتوا بها تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان » [3]

ويكون الإنسان في هذه الحالة تائباً إلى الله مستغفراً ذنبه ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الشأن أنه قال من لزم الإستغفار جعل الله له من كل ضيق مخرجاً ، ومن كل هم فرجاً ورزقه من حيث لا يحتسب [4] وكذلك صوم رمضان الذي أنزل فيه القرآنِ لهدىً ورحمةً .

ومن الأمر الخالد قوله تعالى :﴿ شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والعرفان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ﴾(البقرة ١٨٥) فالأمر في الآية الكريمة خالد مدى الدهر فهو فرض واجب على كل مسلم

---

١ - مجمع البيان ٧/ ٨٠ وانظر إعرابها معاني القرآن ٢/ ٢٢٤

٢ - تفسير إبن كثير ٤/ ٦٣٢

٣ - الكشاف ١/ ٢٣٨ ومجمع البيان ١/ ٢٩٠ والبحر المحيط ٢/ ٨٤ وروح المعاني ٢/ ١١٢

٤ - سنن أبي داود مج ٢/ ١٧٩

ومسلمة [٢] قال الأمام الشافعي : « يبين في الآية الكريمة أنه فرض الصيام عليهم . . . وجعل لهم أن يفطروا مرضى ومسافرين . [٢]

قال الزمخشري مشيراً لمعنى الأمر في قوله تعالى : « من كان شاهداً أي حاضراً مقيماً غير مسافر في الشهر فليصم فيه ولا يفطر [٣]

ثم أمرنا بأكل ما يحل لنا في هذه الأرض الواسعة من طعام إذ قال تعالى : ﴿يا أيها الناس كلوا مما في الأرض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ (البقرة ١٦٨) .

وهذا أمر خالد لأكل الحلال من الطعام قال المرحوم سيد قطب حول هذه الآية : « بمناسبة ما كان يحاول فيه اليهود من الحلال والحرام في المطاعم والمشارب ومما نزل به القرآن وبيانه عندهم فيما يكتمونه في التوراة تجيء دعوة إلى الناس كافة للإستمتاع بالطيبات التي أحلها الله وتحذير من الذي يأمرهم بالسوء والفحشاء »[٤]

قال الزمخشري : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان فتدخلوا في حرام أو شبهه أو تحريم حلال أو تحليل حرام [٥] وقد سمى الحلال حلالا لانحلال عقد المنع منه [٦]

وقوله تعالى في أمره الخالد طالباً الذين آمنوا بالوفاء بالوعد والعقود إذ قال

---

١ ـ ينظر في ذلك الكشاف ١/ ٢٢٦ وتفسير المنار ٢/ ١٤٣ ومجمع البيان ١/ ٢٧٧
٢ ـ أحكام القرآن للإمام أبي عبد الله الشافعي ص ١٠٦
٣ ـ الكشاف ١/ ٢٢٦ وانظر مشكل الآثار للإمام الحافظ الطحاوي وزار الميعاد ١/ ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ وروح المعاني ٢/ ٧٩ .
٤ ـ في ظلال القرآن مج ١/ ٢٠٧ وروح المعاني مج ٤/ ص ٣ ص ٤ والبحر المحيط ١/ ٤٧٧
٥ ـ الكشاف ١/ ٣١٢
٦ ـ البحر المحيط ١/ ٤٧٧

تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام ﴾ (المائدة ١) فهو أمر خالد للمؤمنين وقيل : إن العقود هنا عقدة الإنسان مع غيره من بيع ونكاح وعتق وشبه ذلك : وقيل ما عقده مع ربه من الطاعات كالحج والصيام » [١] وقيل الآية عامة في الوفاء بالعقود وهي الربوط في القول [٢] قال الزمخشري : « هي عقود الله التي عقدها على عبادة وألزمها إياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الأمانات ويتحالفون عليه . . . والظاهر أنها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه » [٣]

ثم تأتي أوامر الخالق العظيم قاعدة أساسية في بناء المجتمع والأسرة الإسلامية المؤمنة المستقيمة فيطالبهم بغض البصر والمحافظة على الفروج من الزنا بعد أن وضع حدوداً لذلك . [٤]

إذ قال تعالى : ﴿ قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم إن الله خبير بما يصنعون ﴾ « النور ٣٠ » فانظر إلى الأمر الخالد والأمر لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين كافة ، قال الزمخشري والمراد غض البصر عما يحرم والإقتصاد به على ما يحل [٥]

قال الطبرسي : « قل » يا محمد « للمؤمنين » أن يغضوا من أبصارهم عما لا يحل لهم النظر إليه ويحفظوا فروجهم عمن لا يحل لهم وعن الفواحش [٦]

---

١ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ١/ ١٦٦ وتفسير الثعالبي ١/ ٤٢٦

٢ ـ تفسير الثعالبي ١/ ٣٢٦

٣ ـ الكشاف ١/ ٦٠٠ ، ٦٠١

٤ ـ الكشاف ٣/ ٢٠٨ ينظر قوله تعالى : « الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ١٠/ ٥ وسبل السلام ج ٤/ ٤ .

٥ ـ الكشاف ٣/ ٢٢٩ وقال ابن زيد كل موضع في القرآن ذكر فيه حفظ الفرج فهو عن الزنا إلا في هذا الموضع فإن المراد به الستر .

٦ ـ مجمع البيان ٧/ ١٣٧ وتفسير إبن كثير ٥/ ٧٦

قال ابن كثير : « هذا أمر من الله تعالى لعبادة المؤمنين »

وفي رواية عن الإمام أحمد مسندة للرسول عليه السلام انه قال ينظر إلى محاسن المرأة في بعض بصره إلا أخلف الله له عبادة يجد حلاوتها »

وقال عليه السلام كُلّ عين بكت يوم القيامة إلا عينا غضت عن محارم الله . وعيناً سهرت في سبيل الله [1]

ثم أمره الخالد بالزواج بأكثر من واحدة لحكمة جَلَّ قدره في سَنّها لينقذ هذه الأمة من الزنا والمعاصي ومنافع أخرى لا يعلمها إلا هو الخلاق العظيم فاتحاً أمام المسلم قاعدة التمتع بالزواج الشرعي الحلال » [2]

إذ قال تعالى : ﴿ وإن خفتم ألا تقسطوا في اليتامى فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا ﴾ (النساء ٣)

فاذا ما وقفنا مع الآية الكريمة نلحظ أن الأمر فيها خالدٌ حتى يرث الله الأرض ومن عليها . إنه أمر غير مرتبط بزمن معين ، له دلالة تاريخية موقوفة ، إنه أمر بالزواج الحلال أباحه الخالق العظيم . . . في شريعته الخالدة .

قال أبو علي الطبرسي موضحاً الأمر في ذلك : « فانكحوا الطَّيب من النساء أي الحلال منهن أي من اللواتي يحل نكاحهن دون المحرمات [3] وهذا الزواج

---

١ - تفسير إبن كثير ٥/ ٧٦ بتصرف

٢ - ينظر في هذا الشأن :

الكشاف ١/ ١٦٦ وتفسير المنار ج ٤ ص ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ وما بعدها .

ومجمع البيان مج ٣/ ٤ وما بعدها وفي ظلال القرآن ١/ ٢٥٣ وتفسير إبن كثير ٢/ ١٩٧ وما بعدها والبحر المحيط ٣/ ١٦١ والإسلام عقيدة وشريعة باب تعدد الزوجات ص ١٩٧ حتى ص ٢٠٦ وسبل السلام خاصة كتاب النكاح ج ٣/ ١٠٧ وما بعدها .

٣ - مجمع البيان ج ٣/ ٦ وما بعدها والكشاف ١/ ٤٦٧ ، ٤٦٨ ، ٤٦٩ .

الحلال القائم على الإشهار ودفع المهر يجب أن يأتي بالطريقة التي أحلها الله عز وجَلَّ ، ليس خطفاً أو إغتصاباً إبتغاء شهوة طارئة حيوانية بل مشاورة وحفّاً ومعروفاً ، مع ذوي الزوجة فاستمع إلى الأمر الخالد الأزلي إذ قال تعالى : **﴿ فانكحوهن بإذن أهلهن وأتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مُسافحات ﴾** « النساء ٢٥ »

ويفسر الطبرسي قوله تعالى حول هذا الأمر : « فانكحوهن » يعني الفتيات المؤمنات أي تزوجوهن بإذن أهلهن أي بأمر سادتهن ومواليهن وفي هذا دلالة على أنه لا يجوز نكاح الأمة بغير إذن مالكها [١]

ثم يرسم الخالق العظيم العلاقة الزوجية من الناحية الجنسية وما ينبغي لهذه العلاقة أن تكون لسموها إذ قال جلَّ شأنه : **﴿ ويسألونك عن المحيض ، قل هو أذى فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فاتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين ﴾** « البقرة ٢٢٢ » وهكذا نلحظ الأمر الخالد الأبدي حتى يوم القيامة حيث الحياة الخالدة فالمحيض أذى ولا تقربوهن . . فاتوهن . . . هذه أوامر الله العظيم فهي أوامر خالدة أنَّى للإسناد الوضعي أن يصل إليها فهي أفعال معجزة .

قال سيد قطب : « وليست المسألة بعد ذلك فوضى ولا وفق الأهواء والأنحرافات إنما هي مقيدة بأمر الله فهي وظيفة ناشئة عن أمر وتكليف مقيدة بكيفية وحدود فآتوهن من حيث أمركم الله في منبت الإخصاب دون سواء فليس الهدف هو مطلق الشهوة إنما العرض هو إمتداد الحياة [٢]

---

١ ـ مجمع البيان ٣/ ٣٤ والكشاف ١/ ٤٩٩ ، ٥٠٠ وروح المعاني مج ٥/ ص ٢ ، ص ٣
٢ ـ في ظلال القرآن ١/ ٣٥٢ ، وروح المعاني ٢/ ١٧٣ وما بعدها وتفسير ابن كثير ١/ ٤٥٨ وما بعدها والبحر المحيط ٢/ ١٦٧

وروى عن الرسـول عليه السـلام أنـه قال : « إصنعـوا كل شيء إلا النكاح » [١] وذهـب القرطبـي إلى القـول بأن الأذى هو الـذي تتـأذى به المرأة وغيرها [٢]

ومن الأمر الخالد ما جاء به القرآن الكريم في حث المسلمين للدفـاع عن دينهم وعرضهم ووطنهـم وأن يكونـوا مستعـدين للقتـال دائماً إذ قال تعـالى : ﴿ واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم » **ومـا تنفقـوا من شيء في سبيل اللـه يوف إليكم وأنتـم لا تظلمون** ﴾ الأنفال ٦٠) فهذا أمر للمسلمين بالأعداد للحرب قال الزمخشري : « من قوة من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها » [٣]

ثم بين طريقة الحرب وأمرهم بالجهـاد وهـو أمـر خالـد إذ قال تعـالى [٢] **﴿ انفروا خفاقا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله » ذلكم خـير لكم أن كنتم تعلمون ﴾**(التوبة ٤)

قال الطبرسي في أمر الجهاد : « ثم أمر سبحانه بالجهاد وبين تأكيد وجوبه على العباد فقال : « انفروا » أي اخرجوا إلى الغزو « خفافا وثقالا : أي شبانـا وشيوخاً » معناه : أخرجوا إلى الجهاد خفَّ عليكم أو شق على أي حالة كنتم لأن أحوال الإنسان لا تخلو من أحد هذه الأشياء »

ثم قال : الجهاد واجب بالنفس والمال على من استطاع بهما ومن لم يستطع على الوجهين فعليه أن يجاهد بما استطاع » [٥] ويجب على المسلم أن يجاهد في سبيل

---

١ ـ تفسير ابن كثير ١/ ٤٧١ وانظر توضيحاً لمعنى الآية في تفسير القرطبي ٣/ ٨٠
٢ ـ تفسير القرطبي ٣/ ٨٠
٣ ـ الكشاف ٢/ ٢٣٢ ومجمع البيان أنظر الأراء حول معنى الآية ٤/ ٥٥٥
٤ ـ الكشاف ٢/ ٢٧١ أنظر تفسيراً للآية
٥ ـ مجمع البيان ٥/ ٣٣ وروح المعاني ٥/ ٦٤

الله دفاعاً عن وطن الإسلام وعرضهم وشرفهم جاء في روح المعاني : إن دخول الجنة ليس بالأماني . وفي المثل إن الثمن رأس مال المفلس [1]

وقد حدث الرسول عن فضل الجهاد بأحاديث شتى قال صلى الله عليه وسلم ما من ميت يموت إلا ختم على عمله إلا من مات مرابطاً في سبيل الله فانه ينمو له عمله إلى يوم القيامة وأمن من فتنة القبر وقال رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل » .

وذكر الترمذي عنه من رابط ليلة في سبيل الله كانت كألف ليلة صيامها وقيامها . [2]

ومن الأمر الخالد قوله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وللمسلمين كافة الذين يطبقون الشريعة الإسلامية التي نادى بها خالقنا العظيم﴿ **خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين** ﴾(الأعراف ١٩٩)

قال ابن قتيبة : « كيف جمع له بهذا الكلام كل خُلُق عظيم ، لأن في أخذ العفو صلة القاطعين والصفح عن الظالمين وإعطاء المانعين »

وفي « الأمر بالعرف » تقوى الله وصلة الأرحام ، وصون اللسان عن الكذب وغض الطرف عن الحرمان ، وإنما سمي هذا وما أشبهه « عُرْفا » ومعروفاً » لأن كل نفس تعرفه وكل قلب يطمئن إليه وفي الأعراض عن الجاهلين ، الصبر والحلم وتنزيه النفس عن مجاراة السفيه ومنازعة اللّجوج [3]

وقال الزمخشري : « العفو » ضد الجهد أي خذ ما عفا لك من أفعال الناس

١ ـ روح المعاني ٥/ ١٥٢ وانظر أجر الشهداء عند الله تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٣
٢ ـ زاد الميعاد ٢/ ٦١ ، ٦٢ وانظر آيات الجهاد تفسير إبن كثير ١/ ٤٠٠ وما بعدها
٣ ـ معترك الإقران ١/ ٢٢٥

وأخلاقهم وما أتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا . كقوله صلى الله عليه وسلم « يسروا ولا تعسروا » [1]

ومن أفعال الأمر الخالدة التي يرددها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها هذا الفعل « اهدنا » وذلك في قوله تعالى : ﴿**إهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين**﴾« الفاتحة ٦ - ٧) وهي الركن الثالث من الفاتحة وفي ذلك براعة الاستهلال المطلوبة ، لأنه يشير إلى أن المقصود بالقرآن وضع دين جديد للخلق يشتمل على أحكام لا عوج فيها ولا انحراف ويصلح ما أفسده الناس في شرائع الله من قبله [2]

قال أبو علي الطبرسي : « قيل في معنى اهدنا وجوه أخذها أن معناه ثبتنا على الدين الحق » [3] ويبقى أمر الله نافذاً يفتح باب المغفرة والتوبة لمن دَبَّ على هذه الأرض الفانية لأن باب التوبة مفتوح أمام المسلم وأمام المؤمن قال تعالى : ﴿**يايها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً » عس ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم**﴾« التحريم ٨)

وعن الأمام علي رضي الله عنه أنه سمع إعرابيا يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال : يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال : وما التوبة ؟ قال يجمعها ستة أشياء : على الماضي من الذنوب الندامة ، وللفرائض الإعادة وردُ المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب

---

١ - الكشاف ٢/ ١٨٩

٢ - النظم الفني في القرآن الكريم ص ٤٣ وكتاب التسهيل مج ١/ ٣٤ والكشاف ١/ ١٤ والبحر المحيط ٢٥/١
وتفسير إبن كثير ٤٨/١ ، غرائب القرآن ١/ ١٠٩

٣ - مجمع البيان ١/ ٢٧ وما بعدها

نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعات كما أذقتها حلاوة المعاصي »[١]

وقال أيضاً في باب التوبة وهو أمر خالد معجز ﴿ **واستغفروا ربكم ثم توبوا إليه إنّ ربي رحيم ودود** ﴾(هود ٩٠)

وقال تعالى : ﴿ **قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم** ﴾(الزمر ٥٣) هكذا بين الخالق العظيم للذين جنوا على أنفسهم بالإسراف في المعاصي والغلو فيها يمكنهم التوبة وباب التوبة مفتوح لمن أراد التوبة . وذلك في حب الله عز وجل وعبادته وطاعته﴿ **قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فإن تولوا فإن الله لا يحب الكافرين** ﴾(آل عمران ٣١ ـ ٣٢)

هذا أمر خالد لمحمد والمؤمنين والناس كافة الذين يريدون الحق . إن حب الله ليس دعوى باللسان ولا هياماً بالوجدان ، إلا أن يصاحبه الإتباع لرسول الله والسير على هداه وتحقيق منهجه في الحياة وان الأيمان ليس كلمات تقال ، ولا مشاعر تجيش ، ولا شعائر تقام ، ولكنه طاعة لله ولرسوله وعمل بمنهج الله الذي يحمله الرسول .

رأى الأمام ابن كثير في تفسير الآية قال : « هذه الآية الكريمة حاكمة على كل من ادعى محبة الله وليس هو على الطريقة المحمدية فإنه كاذب في نفس الأمر حتى يتبع الشرع المحمدي والدين النبوي في جميع أقواله وأعماله »[٢] وروى عن

---

١ ـ الكشاف ٤/ ٥٦٩
٢ ـ في ظلال القرآن مج ١/ ٥٧

الرسول عليه السلام « من استمسك بحديثي وفهمه وحفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة »[1]

قال الزمخشري في معنى الآية الكريمة إن كنتم مريدين لعبادة اللـه على الحقيقة فاتبعوني حتى يصح ما تدعونه من إرادة عبادته ، يرضى عنكم ويغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحبون الله فأراد أن يجعل لقولهم تصديقاً من عمل فمن ادعى محبته وخالفه سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه[2]

ونحب أن نختم حديثنا عن فعل الأمر في القرآن ـ الأمر الخالد ـ وهو قوله تعالى ﴿ **فتعالى الله الملك الحق ولا تعجل بالقرءان من قبل أن يقضى إليك وحيه ، وقل ربي زدني علما** ﴾(طه ١١٤) فالأمر لمحمد عليه السلام وللمسلمين من بعده فالمؤمن الصادق هو الذي يستعين بالله في طلب العلم وازدياده .

قال الزمخشري : « وقوله تعالى : « رَبّي زِدْني **علْماً** » متضمن للتواضع لله تعالى والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم : أي علمتني يا رب لطيفة في باب التعلم ، وأدباً جميلاً ما كان عندي ، فزدني علماً إلى علم[3]

وقال الطبرسي في تفسيره للآية الكريمة « وقل ربي زدني علماً » أيْ استزد من الله سبحانه علماً إلى علمك . . . وقيل زدني علماً بقصص أنبيائك ومنازل أوليائك وقيل زدني قرآناً لأنّه كلما ازداد من نزول القرآن عليه ازداد علماً[4]

جاء في فتح الباري للعسقلاني هذا القول : « إن الله تعالى لم يأمر نبيه

---

١ ـ تفسير الثعالبي ١/ ٢٥٨
٢ ـ الكشاف ١/ ٣٥٣ وتفسير الثعالبي ١/ ٢٥٨
٣ ـ الكشاف ٣/ ٩٠
٤ ـ مجمع البيان ٧/ ٣٢ « بتصرف »

صلى الله عليه وسلم بطلب الأزدياد من شيء إلا من العلم والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته والعلم بالله وصفاته [1]

ونحن نميل إلى أنه العلم المطلق الذي يفيد الإنسان والإنسانية جمعاءَ ويرفع المجتمعات إلى الرقي والتقدم والذي لا يخالف تعاليم القرآن الكريم . وهكذا نلحظ بوضوح الإعجاز النحوي في أفعال الأمر فهي أفعال خالدة يمتد بها الزمن إلى ما شاء الله . وتأتي بعد ذلك أوامر أخرى حين البعث فأنَّى للإسناد الوضعي أن يصل إلى ذلك الإعجاز الخالد . وقد بينا أن الأمر في القرآن الكريم قسمان : قسم فيه إعجاز زمني خالد لا ينتهي حتى يشاء الخالق العظيم ويرث هذه الدنيا ومن عليها ، وبينا ذلك بوضوح تام لا لبس فيه وقسم آخر انتهى بانتهاء الأمر وإنما هو معجز في تركيبه وأخباره عن الغيب وهو الذي قاس عليه علماء النحو .

وبينا جزءاً من ذلك فيما سبق ونود أن نشير إلى جزء يسير على سبيل الإستشهاد لا الحصر .

وذلك نحو قوله تعالى حين ولادة عيسى عليه السلام : ﴿**وهزي إليك بجزع النخلة تساقطُ عليكِ رطبا فكلي واشربي وقري عينا فإما ترين من البشر أحدا فقولي إني نذرت للرحمن صوما فلن أكلم اليوم إنسيا**﴾(مريم ٢٥ - ٢٦)

وقوله تعالى ليحيى عليه السلام : « **يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا** » (مريم ١٢) [2]

---

١ - فتح الباري شرح صحيح البخاري ١/ ١٣٠ والكشاف ٣/ ٩٠

٢ - قال الزمخشري « تساقط » فيه

٣ - قال الزمخشري « تساقط » فيه تسع قراءات الكشاف ٣/ ١٣ وانظر معجزات المسيح عليه السلام روح المعاني ٣/ ٢٤٢ والبحر المحيط ٢/ ٤٦٢ وج ٣/ ٣٩٠ ، ٣٩١ وتفسير إبن كثير ٢/ ٤٠ وتفسير القرطبي ٣/ ٦٣ وما بعدها

قال الطبرسي : « ها هنا إختصار عجيب تقديره فوهبنا له يحيى وأعطيناه الفهم والعقل وقلنا له يا يحيى خُذْ الكِتَابَ يعني التوراة بما قواك الله عليه وأيدك به [1]

ألم تلحظ الإعجاز واضحاً في الآيات السابقة في المعاني وفي أخبار الغيب وكيف ولدت مريم وكيف حملت وكيف تكلم إبنها وهو في المهد ؟ وهل ترى أعظم إعجازاً من ذلك ؟ وكيف تستطيع المرأة وهي في حالة الوضع ان تقوى على هز جذع النخلة ؟ إنها إرادة الله الخالق العظيم .

وكذلك الحال في قصة يحيى عليه السلام ووالده ذكريا وزوجته العاقر التي أنجبت بعد ذلك نبيا اختار الخالق العظيم اسما له ، وكذلك عندما أمر الله موسى أن يذهب إلى فرعون متحديا كفره وجبروته وقد صورة ذلك القرآن الكريم أروع تصوير : ﴿ **اذهب إلى إلى فرعون إنه طغى ، قال رب إشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي . واجعل لي وزيراً من أهلي . هارون أخي ، اشدد به أزري ، واشركه في أمري** ﴾ (طه ٢٤ ـ ٣٢) قال الزمخشري : « لما أمره بالذهاب إلى فرعون الطاغي ـ لَعَنَهُ الله ، عرف أنه كلف أمراً عظيماً وخطباً جسيماً يحتاج معه إلى إحتمال ما لا يحتمله إلا ذو جأش » رابط وصدر فسيح فاستوجب ربه أن يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حلياً حمولاً يستقبل ما عسى يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر » [2] وحسبنا أن نكون قد بينا جزءا يسيراً من أفعال الأمر المعجزة في قرآننا العظيم الذي يشع إعجازاً ونوراً أني لمخلوق أن يصل إدراكه [3]

---

١ ـ مجمع البيان ٦/ ٥٠٦

٢ ـ ينظر في ذلك : روح المعاني ١٦/ ٨٣ وما بعدها والكشاف ٣/ ١٢ ومجمع البيان ٦/ ٥٠٦ وما بعدها

٣ ـ الكشاف ٣/ ٤٠ ومعجزات موسى عليه السلام تفسير إبن كثير ٤/ ٤٩٧

الفصل الثالث

الفعل المضارع

تحدثنا فيما سبق عن فعل الأمر في قرآننا الكريم ، وبينـا تقسيم الأفعـال الزمني عند نحاة العرب . وأشرنا إلى ذلك بشيء من التفصيل ، إلا أننا نود أن نقف وقفة غير قليلة مع المضارع ، لإلقاء الضوء على بعض العبارات التي أوردها النحاة في هذا الشأن ، إذ رأوا أن المضارع قد يأتي للمستقبل حينا وللماضي حيناً آخر . وإليك تفصيلاً ، قال ابن مالك : « والمضارع صالح له وللحال ولو نُفيَ بلا خلافاً لمن خَصَّها بالمستقبل ، ويترجع الحال مع التجريد ، ويتعين عند الأكثر بمصاحبة الآن وما في معناه وبلام الإبتداء ، ونفيه بليس ومـا وإن ، ويتخلص للإستقبال بظرف مستقبل وبإسناد إلى متوقع وباقتضائه طلباً أو وعداً وبمصاحبة ناصب أو أداة ترجٍّ أوْ اشفاق أو مجـازاة أو لَوْ المصـدرية أو نون توكيد أو حرف تنفيس وهو السين أو سَوْفَ أوْ « سَفْ » أوْسَوْ » أو « سَي » وينصرف إلى المضي بـ « لَمْ » و« لَمَّا » الجازمه » ولَوْ الشرطية غالباً وإذ وربما وقَدْ في بعض المواضع »[1]

إذا ما وقفنا مع ابن مالك في حديثه عن المضارع نلحظ أنه لَخّص معظم آراء

---

١ ـ تسهيل الفوائد ص ٥ وظاهرة الشذوذ في النحو ص ٤٦١ « ذهبت للإستشهاد في آراء إبن مالك في هذا الشأن لأنه لخص آراء النحاة السابقين في الفتيه المشهورة ثم سار شراح الألفيه على نمطه .
أنظر مقدمة التسهيل ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ وكشف الظنون ١/ ١٥١ وما بعدها عدد الشروح على الفية إبن مالك (٥٠) شرحاً و(١٣) حاشية على الشرح و« ٣» تعليقات .

النحاة القدماء الذين سبقوه تلخيصاً دقيقاً ، ووجهة نظره هذه تشمل معظم الإتجاهات النحوية هذا من جهة ومن جهة ثانية أن هذه الآراء هي الآن السائدة والتي نقلها النحاة بعده ، وخاة شُرَّاحُ الأَلْفية ونود أن نشير إلى ذلك بشيء من الإيجاز ، مقسمين إتجاهات النحاة إلى أربعة أقسام :

أولاً : الفعل المضارع صالح للاستقبال وللحال ولَوْ نُفي بلا .

ثانياً : يترجع الحال مع التجريد ؛ أي تجريد الفعل من القرائن الدالة على الاستقبال أو المضّي على حد سواء ويتعين عند أكثر النحاة أن يكون المضارع مصحوباً بكلمة « الآن » ، فمثلاً تقول : « زَيْدٌ يَذْهَبُ الآنَ إلى السُّوقِ » وما في معناه :

ثالثا : يتلخص للأستقبال بإضافة بعض العوامل الدالة عليه .

رابعاً : ينصرف للماصي غالباً بعد لَمْ ولَمَّا الجازمة ولَوْ الشرطية .

ولذلك . . نلحظ أن ابن مالك استخدام عبارتي « الأكثر » و« الغالب » فما المعنى الإصطلاحي لكلتا العبارتين عند النحاة ؟؟

نقل السيوطي عن ابن هشام النحوي أنه قال : « أعلم أنهم يستعملون غالباً وكثيراً ونادراً وقليلاً ومطرداً فالمطرد لا يختلف والغالب أكثر الأشياء ولكنه يختلف والكثير دونه والقليل دون الكثير والنادر أقل من القليل فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرون غالباً والخمسة عشر إليها كثير لا غالب والثلاثة قليل والواحد نادر فعلم بهذا مراتب ما يقال في ذلك » [1]

فإذا ما نظرنا لاصطلاحات النحاة السابقة نلحظ أن الغالب والكثير عندهم

---

١ ـ المزهر ١/ ٢٣٤

هو القياس وأن المضارع يأتي للحال ، إذا كان مصحوباً بكلمة الآن أو وما في معناها . وذلك عند أكثر النحاة ، وبعضهم يرجح التجريد ، أي دون مصاحبة كلمة « الآن » فتقول : محمدٌ يَشْرَبُ الماءَ ويَلْعَبُ الكرةَ ويَذْهَبُ إلى عمله إلخ . . » ومعنى ذلك أنَّ المضارع عند بعض النحاة محصور في هذه الحالة فقط ؛ وذلك إذا كان مجرداً من القرائن الدالة على الاستقبال ، وعند الأكثر يكون مَصحُوباً بالآن أو ما في معناه ، وإذا ما وقفنا مع أقوال النحاة حول المضارع في قرآننا الكريم نجد أن هناك أفعالاً لم يستطع النحاة القياس عليها لأنها في رأينا أفعال تحتوي على إعجاز زمني فهي مضارعة ، ولكنها غير مقيدة بظاهرة زمنية محددة كما ذهب النحاة في تحديدهم للظاهرة [1] الزمنية . فهي أفعال تشير إلى المستقبل دون مصاحبة ظرف أوْ إسناد لمتوقع أو باقتضائه طلباً أو وعداً إلى غير ذلك من أقوالهم . وتشير إلى الحال دون كلمة الآن أو ما وقع في معناها كما يزعم أكثر النحاة كما نجد أن هناك أفعالاً قاس النحاة عليها وهذه الأفعال لا تخرج عن دائرة الإعجاز القرآني العام من حيث التركيب والأخبار بالغيب وغير ذلك من أنواع الإعجاز ، إذ لا تمثل إعجازاً زمنياً محدداً ، وقد بينت ذلك في الفصل السابق . . ونود أن نقف في بادىء الأمر معَ المضارع المعجز في كتابنا الخالد القرآن الكريم وهي أفعال في الحقيقة لا تخضع للقياس النحوي مطلقاً لأنها من لدن عزيز حكيم ، ولنقف مع قوله تعالى : ﴿ **إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا** ﴾ « **الإسراء ٩** »

عندما نقف مع الأفعال في الآية الكريمة السابقة نلحظ أنها جاءت للهداية والتبشير بحياة رغده فـ « يهدي ويبشر ويعملون أفعال تدل على المضارع والحقيقة لنا أن نتساءل ، هل هذه الأفعال تختص بالمضارع فقط؟ ألم تلحظ أنها خالدة

---

١ ـ أي أن بعض أدوات معينة تجعله خالصاً بالحال وأدوات أخرى تجعله خاصاً بالمستقبل

باقية أبد الدهر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؟ ألم تر أنها معجزة من لدن عزيز حكيم ؟ **ألم نلحظ أنها جاءت غير مقرونة بكلمة الآن**

مع أنها تدل على الحال والاستقبال الأبدي الخالد الذي لم يحدده زمن معين ، فالأفعال خالدة زمنيا منذ نزول القرآن الكريم على محمد صلى الله عليه وسلم سنة ٦١٠ م حتى يوم القيامة فالقرآن هو الهادي والمبشر والمنقذ إلى يوم البعث .

قال الزمخشري مفسراً قوله تعالى : ﴿**للتي هي أقوم**﴾ للحالة التي هي أقوم الحالات أو للملة أو للطريقة [1] وقال أبو علي الطبرسي : « يريد إلى الكلمة التي هي أعدل الكلمات وأَصْوَبها ، وهي كلمة التوحيد ، وقيل : يهدي إلى الحال التي هي أعدل الحالات [2]

أما في الأسناد الوضعي فتقول : « مُحَمّدٌ يَذْهَبُ إلى السوقِ ويَشْرَبُ ويَلْعَبُ ويأْكُلُ . . . الخ ، فهي أفعالٌ أَشارَتْ إلى المضارع ، وانتهت بانتهاء الزمن . وإذا افترضنا ووضعنا لها بعض الأدوات التي تدل على المستقبل نحو : سوف أزور فلاناً ، والطّالبُ سوف يَنْجَحُ ، ولَنْ أَذْهَبَ معه أَلَمْ تَرَ أنها أفعال تدل على المستقبل ولكنها سوف تنتهي حتماً من الناحية الزمنية ، بانتهاء الزمن والقائل ؟

ونود أن نقف مع بعض الأفعال المضارعة التي جاءت في أقوال الشعراء قال امرؤ القيس في وصف إحدى النساء :

وَيُضْحِي فَتِيتُ الْمِسْكِ فَوْقَ فِراشِها ... نَؤومُ الضُّحَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ

يُضِيءُ الظَّلامُ بالْعِشاةِ كأَنهَّا ... مَنارَةُ مُمْسٍ راهِبٍ مُتَبَتِّلِ [3]

---

١ ـ الكشاف ٢ / ٦٥١ ومجمع البيان مج ٦ / ٤٠١

٢ ـ مجمع البيان ٦ / ٤٠١

٣ ـ شرح القصائد السَّبع الطِّوال ص ٦٥ ، ص ٦٧

وقال في وصف الحصان :

مِسَحٌ إذا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى ... أَثَرْنَ الغُبَارَ بالكَدِيدِ المُرْكَّلِ
يَزِلُّ الغُلاَمُ الخِفُّ عَنْ صَهَوَاتِهِ ... ويُلْوِي بأَثوابِ العَتِيقِ المُثَقَّلِ [1]

فإذا ما وقفنا مع الأفعال التي استخدمها امرؤ القيس في أبياته السابقة وهي : يُضحي ، لَمْ تَنْطق ، تُضيءُ ، يزلُ ، ويُلْوِي - فهي أفعال مضارعة ولكنها انتهت كظاهرة زمنية في حينها .

وهذا شاعر آخر من أصحاب المعلقات وهو عنترة الذي تحدث [2] عن شجاعته وقوة خيوله . . إذ قال :

يُخْبِرُكِ مَنْ شَهَدَ الوقيعةَ أَنَّني ... أَغشَى الوَغَى وأَعِفُّ عِنْدَ المغنمِ
والخَيْلُ تقْتَحِمُ الغُبارُ عوابِساً ... مِنْ بَيْنِ شظيمةٍ وأَجْرَدَ شَيْظَمِ [3]

وهذا ثالث من أصحاب المعلقات وهو عمرو بن كلثوم : [4]

بأَيِّ مَشيئةٍ عَمْرُو بن هِنْد ... تُطيحُ بنا الوُشَاةَ وتَزْدرينا
تُهدَّدنا وأوْعِدْنا رُوَيْداً ... مَتى كُنَّا لأُمِّكَ مَفْتونينَا

وعندما نقف مع الأفعال التي استخدمها كلا الشاعرين السابقين نلحظ أن الأول ذكرَ الأفعال المضارعة الآتية : يخبرك ، وأغشى وأعف تقتحم .

وأما الثاني فقد ذكر : نطيع وتزدرينا ، تهددنا فهي في الحقيقة أفعال عبرت عن فترة زمنيةٍ معينةٍ انتهت كأثر زمني بانتهاء زمنها وقائلها ، فأين امرؤ القيس

١ - شرح القصائد السبع الطِّوال ص ٨٦ ، ص ٨٧
٢ - المصدر السابق ص ٣٤٢ ، ٣٥٩
٣ - المصدر السابق ، ص ٣٤٤ ، ٣٦٢
- المصدر السابق ص ٤٠٢

وصاحبته ؟ وأين عنترة وخيوله ؟ وعمرو بن كلثوم وأعداؤه ؟

ألم نلحظ أنها أفعال فانية لم تأتِ إلا وقتاً معيناً لظاهرة زمنية محددة . أما المضارعُ القرآني فهو فعل أزلي ثابت باقٍ ؛ فالفعل « يهْدِي ، مثلاً هل يحدد بعصر أو زمن ؟ هل هو مضارع عادي مرتبط بزمن معين كالأفعال التي تخضع للإسناد الوضعي قد انتهى من الناحية الزمنية ؟

ألم تلحظ الإعجاز النحوي واضحاً خالداً حتى يرث الله الأرض ومن عليها ؟ ومن الأفعال الخالدة التي لا ترتبط بزمن معين قوله تعالى : « **والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** » (**البقرة ٢١٣**)

فالفعل يهدي مضارع غير مقترن بكلمة الآن أو ما يقع في معناها ولم تقترن بأدوات تجعله خاصاً بالمستقبل فهو فعل معجز وهذه الآية الكريمة بمثابة قاعدة عامة للمؤمنين إذ كانت الناس أمة واحدة حين أخرجهم الله من ظهر آدم ثم حدث إرسال الأنبياء هداية للبشر ثم حدث الخلاف بينهم [١] فمنهم من صَدَّق الرسلَ ومنهم من كذبهم .

قال الزمخشري : عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بين آدم وبين نوح عشرة قرون على شريعة من الحقّ فاختلفوا ، وقيل هم نوح ومن كان معه في السفينة [٢]

قال القرطبي معقباً على قوله تعالى ﴿**والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم**﴾رد على المعتزلة في قولهم : « إن العبد يستهدي بهداية نفسه [٣]

١ ـ تفسير القرطبي ٣/ ٣١ والكشاف ١/ ٢٥٦
٢ ـ تفسير القرطبي ١/ ٣٣
٣ ـ الكشاف ١/ ٢٥٦ ومعاني القرآن ١/ ١٣١

ومن الأفعال المعجزة قوله تعالى : ﴿ **يعلم ما في السماوات والأرض ويعلم ما تسرون وما تعلنون والله عليم بذات الصدور** ﴾(التغابن ٤) فالعلم لله وحده فهو علم مطلق غيرُ مرتبطٍ بزمنٍ فهو يعلم منذ الخلق وحتى انتهاء الخلق والحياة .

قال الزمخشري : نَبَّهَ بعلمه ما في السماوات والأرض ثم بعلمه ما يسره العباد ويعلنونه ثم بعلمه ذوات الصُّدور [١]

وقوله تعالى : ﴿ **إنَّ الله يعلم غيب السماوات والأرض والله بصير بما تعلمون** ﴾(الحجرات ١٨) .

فالفعل يعلم هو فعل خالد أبد الدهر ليس مقيدا بزمن المضارع فحسب بل هو مطلق من الناحية الزمنية وهذا من أسرار الإعجاز القرآني في الظاهرة الزمنية .

قال الزمخشري : « إنه عز وجل يعلم كل مستتر في العالم ويبصر كل عمل تعملونه في سركم وعلانيتكم فلا يخفى عليه منه شيء » [٢]

وقوله تعالى ﴿ **والله يعلم ما تسرون وما تعلنون** ﴾(النحل ١٩)

فالعلم خالد من الناحية الزمنية كذلك ما يبدي الإنسان وما يخفي قال الزمخشري مفسراً الآية السابقة « من أعمالكم وهو وعيد [٣]

وقوله تعالى :﴿ **يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور** ﴾(غافر ١٩) قال الزمخشري : « المراد استراق النظر إلى ما لا يحل كما يفعل أهل الريب » [٤] أما

---

١ ـ الكشاف ٤/ ٥٤٦
٢ ـ الكشاف ٤/ ٣٧٩
٣ ـ الكشاف ٢/ ٦٠٠
٤ ـ الكشاف ٤/ ١٥٩

الطبرسي فقد قال : « أي ضيائها وهي سارقة النظر إلى ما لا يحل النظر إليه » [1]

﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما سقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾(الأنعام ٥٩)

في الآية السابقة نلحظ الإعجاز واضحاً ليس في المعنى الغيبي فحسب بل في ظاهرة الزمن قال الزمخشري : « فأراد أنه هو المتوصل إلى المغيبات وحده لا يتوصل إليها غيره كمن عنده مفاتيح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل إلى ما في المخازن [2]

ولنقف مع الأفعال الخالدة والعلوم الغيبية في صورة معجزة متحدية لمن دب على هذه الأرض إنساً أو جِنّاً .

قال تعالى : ﴿ إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت إن الله عليم خبير ﴾ (لقمان ٣٤) فهل الأفعال « ينزل ، يعلم ، تدري تكسب تشير إلى المضارع فقط ! ! أو أنها خالده .

يذكر الزمخشري سبب نزول الآية السابقة « روى أن رجلاً من محارب وهو الحرث بن عمر بن حارثة أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ، أخبرني عن الساعة متى قيامها ؟ واني قد ألقيت حبات في الأرض وقد أبطأت عنها السماء فمتى تمطر ؟ وأخبرني عن إمرأتي فقد اشتملت ما في بطنها ، أذكر أم أنثى وإني علمت ما علمت أمس فما أعمل غدا ، وهذا مولدي قد عرفته فأين أموت ؟ فنزلت وعلى النبي صلى الله عليه وسلم « مفاتيح الغيب » خمس وتلا هذه

١ ـ مجمع البيان مج ٨/ ٥١٩
٢ ـ الكشاف ٢/ ٣١

الآية»[1] ذكر صاحب أسباب النزل أن أعرابياً أتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم سأله عن الساعة ووقتها ، وقال ان أرضنا أجدبت فمتى ينزل الغيث ؟ وتركت امرأتي حبلى فماذا تلد وقد علمت أين ولدت فبأي أرض تموت[2]

وقوله تعالى : ﴿ هو الذي يصوركم في الأرحام كيف يشاء لا إلـه إلا هو العزيز الحكيم ﴾ (آل عمران ٦)

يقول الزمخشري : حول قوله تعالى : « كيف يشاء » عن الصور المختلفة وعن سعيد بن جبير، هذا حجاج على من زعم أن عيسى كان رباً كأنّه نبَّه بكونه مصوراً في الرحم على أنه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله[3]

وقوله تعالى﴿ الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام ومـا تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة ﴾ (الرعد ٨ ـ ٩)

وهذا تأكيد واضح لعلم الخالق عز وجل وما تحمله المرأة قال الزمخشري : « أنه يعلم ما تحمله من الولد على أي حال هو من ذكوره وأنوثة وتمـام وخـداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الأحوال الحاضرة والمترقبـة ويعلـم ما تغيضه الأرحام وما تأخذه زائداً[4]

قال القرطبي : « أخبر تعالى عن تصويره للبشر في أرحام الأمهات » وقال في موضع ثان : « . . . إن الله تعالى يخلق عظام الجنين وغضاريفه من منى الرجل وشحمه ولحمه من منى المرأة[5]

---

١ ـ الكشاف ٣/ ٥٠٥
٢ ـ أسباب النزول ص ٢٣٤
٣ ـ الكشاف ١/ ٣٣٧
٤ ـ الكشاف ٢/ ٥١٥
٥ ـ تفسير القرطبي ٤/ ٧

قال تعالى : « **يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو الرحيم الغفور** » (سبأ »[2])

فإذا ما وقفنا مع الأفعال السابقة يعلَمُ ويلج ويخرج وينزل ويعرج نلحظ أنها أفعال مضارعة ولكنها ليست وقفاً على الزمن الحاضر بل تتجاوزه إلى الأزل . دون قرينته كـ « السين أو سوف مثلاً وهذا دليل واضح على إعجاز الأفعال القرآنية والمسؤول عنها هو الله عز وجل مسؤولية أبدية مستمرة » .

قال الزمخشري : « ما يلج في الأرض من الغيث والكنوز والدفائن والأموات وما يخرج منها من الشجر والنبات وماء العيون والغلة والدواب وما ينزل من السماء من الأمطار والثلوج والبرد والصواعق والأرزاق والملائكة » [1]

قال البيضاوي : « وما ينزل من السماء كالملائكة والكتب والمقادير والأرزاق والأنواء والصواعق وما يعرج فيها كالملائكة وأعمال العباد والأبخرة والأدخنة [2] ﴿ **وما يعلم جنود ربك إلا هو وما هي إلا ذكرى للبشر** ﴾(المدثر ٣١) والعلم المطلق لله عز وجل إذ نلحظ المضارع « يعلم » فهو فعل خالد ليس مرتبطاً بزمن معين لفترة تاريخية محددة فهو زمن خالد خلود هذه الدنيا حتى يرثها الله العظيم .

قال الطبرسي : « أي ما يعلم جنود ربك من كثرتها أحد إلا هو [3]

وقوله تعالى : ﴿ **والله يحيي ويميت والله بما تعملون بصير** ﴾(آل عمران ١٥٦) فالحياة والموت بيده عز وجل فهي أفعال خالدة كما ترى غير مقيدة بزمن

---

١ ـ الكشاف ٣/ ٥٦٧ وأنوار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٠٢

٢ ـ أسرار التنزيل وأسرار التأويل ٢/ ٢٠٢

٣ ـ مجمع البيان ١٠/ ٣٨٩

وهذا سرُّ إعجازها فالحياة والموت بيده منذ خلق الحياة وحتى النهاية فهي بيده عز وجل .

قال الزمخشري : « قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال عند موته « ما في موضع شبرٍ إلا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت البعير فلا نامت عيون الجبناء »[1]

وكذلك الحال في الآيات الآتية إذ قال تعالى : ﴿ **إن الله له ملك السماوات والأرض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير** ﴾(التوبة ١١٦)

قال الطبرسي أي يحيي الجماد ويميت الحيوان »[٥]

وقال تعالى : ﴿ **هو يحيي ويميت وإليه ترجعون** ﴾(يونس ٥٦)

فهذه الأفعال ليست مرتبطة بزمن مطلقاً فهي أفعال خالدة . .

واسمع قوله تعالى في هذه الأفعال الخالدة إعجازاً إذ لا ترتبط بزمن معين قال تعالى﴿ **قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب** ﴾(آل عمران ٢٦ / ٢٧)

نلحظ أن الأفعال الواردة في الآيتين السابقتين هي أفعال مضارعة ولكنها ليست مرتبطة بزمن كما نلحظ ذلك ، وهذا سر الإعجاز التركيبي في قرآننا الخالد العظيم « فيؤتي وينزع ويَعزُّ ويذلُّ ويُولجُ ويُخْرجُ ويُرْزِقُ » هل يستطيع أحدٌ أن

---

١ - الكشاف ١/ ٤٣١

٢ - مجمع البيان ٥/ ٩

يحدد زمناً محدداً ؟ فهي أفعال خالدة معجزة لا ترتبط بوقت زمني فهي قائمة منذ الخليقة حتى يرث الله هذه الأرض الفانية ومن عليها .

عقب الطبرسي على الآية السابقة إذ قال : « قادر على جميع الأشياء ؟ فقدر على إيجاد المعدوم وإفناء الموجود وإعادة ما كان موجودا [1]

قال الزمخشري : « إن من قدر على تلك الأفعال العظيمة المحيرة للأفهام ثم قدر أن يرزق بغير حساب من يشاءُ من عباده »[2]

قال الفراء : « وقوله « ويخرج الحي من الميت » ذكر عن ابن عباس أنها البيضة ميتة يخرج منها الفرخ حياً ، والنطفة ميتة يخرج منها الولد [3]

وعن أسباب النزول قال القرطبي : « جاءت هذه الآية رداً على قول النصارى أهل نجران أن عيسى هو الله وذلك أن هذه الأوصال تبين لكل صحيح الفطرة أن عيسى ليس في شيء منها . قال ابن اسحاق أعلم الله عز وجل في هذه الآية بعنادهم وكفرهم وان عيسى صلى الله عليه وسلم وإن كان تعالى أعطاه آيات تدل على نبوته من إحياء الموتى وغير ذلك فان الله عز وجل هو المنفرد بهذه الأشياء [4] وقال آخر : « جاءت هذه الآية تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم في مقام عناد المنكرين ومكابرة الجاحدين وتذكيراً له بقدرته تعالى على نصره وإعلاء دينه » [5]

جاء في تفسير القرطبي أن معاذ بن جبل قال : « علمني رسول الله صلى

---

١ ـ مجمع البيان مج ١/ ٤٢٨ وانظر تفصيلاً لذلك ص ٤٢٨ ، ص ٤٢٩
٢ ـ الكشاف ١/ ٣٥٠
٣ ـ معاني القرآن ١/ ٢٠٥
٤ ـ تفسير القرطبي ٤/ ٥٣
٥ ـ تفسير المراغي مج ٣/ ١٢٦ ط الحلبي ط(١) ١٩٤٦

الله عليه وسلم آيات من القرآن أو كلمات ما في الأرض مسلم يدعو بهن وهو مكروب أو غارم أو ذو دين إلا قضى الله عنه وفرج همه [١]

وقوله تعالى في أفعال الرزق حيث أن الرزق بيده وهو إستمرار للوجود ﴿ الله لطيف بعباده يرزق من يشاء وهو القوي العزيز ﴾ (الشورى ١٩) فالرزق أبدي خالد فالله يرزق كل من دب على هذه الأرض غير مرتبط بزمن قال الزمخشري : فما معنى قوله يرزق من يشاء بعد توصل بره إلى جميعهم ؟ قلت : كلهم مبررون لا يخلو أحد من بره ، إلا أن البِرَّ أصْنافٌ وله أَوْصاف والقسمة تتفاوت بين العباد على حسب تفاوت قضايا الحكمة والتدبير ، فيطير لبعض العباد صنف من البر لم يطر مثله لآخر ، ويصيب هذا حَظُّه وصف ليس ذلك الوصف لحظ صاحبه ، فمن قسم له منهم ما لا يقسم للآخر فقد رزقه »[٢]
ولنقف مع الأفعال المضارعة في آيات الرزق إذ نلحظ أنها جميعها غير مرتبطة بزمن نحو قوله تعالى : ﴿ الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾(الرعد ٢٦)

﴿ إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ الإسراء ٣٠)

﴿ويكأنَّ الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر (٨٢ القصص)

﴿ أو لم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ ٣٧ الروم)

﴿ قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾(سبأ ٣٦)

﴿ أو لم يعلموا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾(الزمر ٥٢)

﴿له مقاليد السموات والأرض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ﴾ (الشورى ١٢)

---

١ ـ تفسير القرطبي ٤/ ٥٢

٢ ـ الكشاف ٤/ ٢١٨ « بتصرف »

﴿ والله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾(البقرة ٢١٢)

وقوله تعالى : ﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا والآخرة وأعدَّ لهم عذابا مهيناً ﴾

﴿والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثما مبيناً ﴾(الأحزاب ٥٦ ـ ٥٨)

فإذا ما وقفنا مع الأفعال المضارعة في الآيات السابقة نلحظ أنها أفعال خالدة . غير مرتبطة بزمن فمنذ رسالة محمد صلى الله عليه وسلم والبدء في الدعوة وهذه الأفعال ثابتة غير وقفٍ على زمن محدد فالله والملائكة يصلون على النبي فهو فعل خالد .

والذين يؤذون الله ورسوله فلعنة من الله عليهم في الدنيا وفي الآخرة وكذلك الذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات كالمشركين بالله عز وجل والملحدين فلهم عذاب مؤجل لذلك الإيذاء بدون حق .

قال الزمخشري معقباً على الآية :﴿ إن الله وملائكته يصلون على النبي ﴾ فقال صلى الله عليه وسلم : هذا من العلم المكنون ولولا أنكم سألتموني عنه ما أخبرتكم به ، إن الله وكلَّ بي ملكين فلا أذْكَرُ عند عبد مسلم فيصلي عليَّ إلا قال ذانكَ الملكان غفَرَ الله لك » (١)

أما الذين يؤذون الله ورسوله قال الزمخشري فيه وجهان : أحدهما أن يعبر بإيذائهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وإنكار النبوه وكالة الشريعة والثاني هو قول اليهود والنصارى والمشركين . ومن هذه الأفعال المعجزة

---

١ ـ الكشاف ٣/ ٥٥٧ وانظر البحر المحيط ٧/ ٢٤٨

التي جاءت بلفظ المضارع ولكنها لا ترتبط بزمن قوله تعالى : ﴿ **ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق** ﴾ الرعد ١٣) والتسبيح خالد أبدي يقول الزمخشري : « يسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر صامدين له » [1]

وقوله تعالى : ﴿ **ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض** ﴾ (النحل ٤٩) قال السيوطي : « جاء بما لغير العاقل حيث أتى بما لكثرته » [2]

وقوله تعالى : « **يقبل التوبة عن عباده** » (التوبة ١٠٤)

وكذلك التوبة مفتوحة أمام الإنسان الضال ، قال السيوطي : « عديت بعن لتضمينها معنى العفو والصفح » [3] ولكن ليس لمن يشرك به إذ قال عز من قائل : ﴿ **إن الله لا يغفر أن يُشْرَكَ به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً** ﴾ (النساء ١١٦)

أي أن الغفران للجميع ما عدا المشرك بالله عز وجل [4] قال الزمخشري: « جاء شيخ من العرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إني شيخ منهمك في الذنوب [6] إلا أني لم أشرك بالله شيئاً منذ عرفته وآمنت به ، ولم أتخذ من دونه ولياً ، ولم أوقع المعاصي جرأةً على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين أني أعجز الله هرباً ، وإني لنادمٌ تائبٌ مستغفر فما ترى حالي عند الله ؟ فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسرً « من يشاء » بالتائب من ذنبه [5]

---

١ ـ الكشاف ٤/ ٥٥٩ (باختصار)
٢ ـ الكشاف ٢/ ٥١١
٣ ـ معترك الأقران ١/ ٢٦٢
٤ ـ معترك الأقران ١/ ٢٦٣
٥ ـ أنظر في هذا الشأن مجمع البيان ٣/ ١١ والكشاف ١/ ٥٦٥
٦ ـ الكشاف ١/ ٥٦٥ ، ٥٦٦

﴿وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم ، يقولون آمنا به ﴾(آل عمران ٧) وعندما نقف مع المضارع « يعلم » في الآية السابقة نلحظ ان الحديث عن القرآن الكريم وهذا الزمن « يعلم » قائم الى يوم القيامة » حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

يقول الزمخشري مُفَسراً قوله تعالى : « أي لا يهتدي إلى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه إلاّ الّله وعبادة الصالحون الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله إلاّ الّله ويبتدأ والراسخون في العلم يقولون ويفسرّون المتشابه بما إستأثر الّله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته »[1] .

قال القرطبي : « يقال إن جماعة من اليهود منهم حَيّ بن أخطب دخلوا على رسول الّله صلىّ الّله عليه وسلّم وقالوا : بلغنا أنه نزل عليك « آلم » فان كنت صادقاً في مقالتك فإن تلك أمتك يكون إحدى وسبعين سنة لأن الألف في حساب الجمل واحد واللام ثلاثون والميم أربعون » منزل وما يعلم تأويله إلاّ الّله والتأويل يكون بمعنى التفسير ويكون بمعنى ما يؤ ول الأمر اليه »[2] .

ذهب معظم العلماء الى القول بأن جملة والراسخون في العلم مستأنفة ، روى القرطبي عن الخطابي قال : « فلا يعلم تأويله أحد غيره » ثم أثنى الّله عزّ وجلّ على الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به ولولا صحة الإيمان منهم لم يستحقوا الثناء عليه ومذهب أكثر العلماء أن الوقف التام في هذه الآية إنما هو قوله تعالى : « وما يعلم تأويلَه إلاّ الّله وإن ما بعده إستئناف كلام آخر وهو قوله

---

١ ـ تفسير الكشاف ١/ ٣٣٨

٢ ـ تفسير القرطبي ١٦٤

والراسخون في العلم يقولون آمنا به »[1] . والجملة المستأنفة هي الجملة المنقطعة عما قبلها نحو قولك مات فلان رحمه الله »[2] . وقوله تعالى : ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ (فصلت ٤٢) .

فلا يأتيه الباطل أبداً فالمضارع أبدى معجز خالد قال ابن قتيبة معقباً على الآية الكريمة : « وشرّفه وكَرّمهُ ورَفَعهُ وعظّمهُ وسمّاهُ روحاً وشفاءً وهدىً ونوراً »[3] .

أمّا الزمخشري فقد قال : « كأنّ الباطل لا يتطرق اليه ولا يجد اليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل اليه ويتعلق به »[4] .

وقوله تعالى : ﴿ولم يجعل له عوجا﴾ (الكهف ١) .

يرى بعض النحاة أن المضارع اذا سبقته لم غالباً ما يكون لما مضى[5] أما هنا فالمضارع مطلق الزمن معجز لم يشر الى زمن معينّ فالمضارع يجعل مطلق الزمن غير محدّد ـ قال الزمخشري حول تفسير الآية الكريمة قال الزمخشري : « ألم يجعل له شيئاً من العوج قطوالمراد نفس الإختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيءٌ منه من الحكمة والإصابة فيه[6] » .

وقوله تعالى : ﴿ مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم ﴾ (البقرة ٢٦١) واذا ما وقفنا مع المضارع في الآية الكريمة السابقة « ينفقون ،

١ ـ تفسير القرطبي ج ٤/ ١٦ ومعاني القرآن ١/ ١٩١
٢ ـ الجملة النحوية ص ٩٧ ومغنى اللبيب ٢/ ٤٢٧ وحاشية الأمير ٢/ ٤٦
٣ ـ تأويل شكل القرآن ص ٣
٤ ـ الكشاف ٤/ ٢٠٢
٥ ـ تسهيل الفوائد ص ٥ : قال إبن مالك : عن المضارع وينصرف إلى المضي بلم . . .
٦ ـ الكشاف ٢/ ٧٠٢

ويضاعف ويشاء فهي أفعال غير مرتبطة بزمن فهي خالدة أبدية معجزة .

وفي رواية عن الرسول صلىّ اللّه عليه وسلّم لما نزلت هذه الآية قال : « ربّ زد أمتي »[1] يريد الرسول عليه السلام لهذه الأمة زيادة الخير والتقوي والايمان باللّه عزّ وجلّ ذكر اللهُ فضل الإنفاق وإن الحسنة قد يضاعفها اللّه إلى سبعمائة ثم ضرب مثل النسبلة لذلك »[2] .

قال سيد قطب : « إنه يعرض صورة من صور الحياة النابضة النامية المعطية الواهبة صورة الزرع هبة الأرض أو هبة اللّه الزرع الذي يعطي أضعاف ما يأخذه وإن المعنى الذهني للتعبير ينتهي إلى عملية حسابية تضاعف الحبة الواحدة الى سبعمائة حبة »[3] .

أمّا الزمخشري فيفسر قوله تعالى : « واللّه يضاعف لمن يشاء » أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق »[4] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ الذين ينفقون اموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴾(البقرة ٢٧٤) فالإنفاق في سبيل اللّه مستمر ما دامت السموات والأرض .

قال الزمخشري : « يعمون الأوقات والأحوال بالصدقة لحرصهم على الخير »[5] . قال سيد قطب أموالهم : يشمل جميع الأموال بالليل والنهار تشمل جميع الأوقات وجميع الحالات وقال معقباً : « إن الإسلام نظام متكامل تعمل

---

١ ـ تفسير القرطبي ٣/ ٣٠٣
٢ ـ تفسير المراغي ٣/ ٢٨
٣ ـ في ظلال القرآن مج١ ج ٣/ ٤٤٨
٤ ـ الكشاف ٤/ ٣١٠
٥ ـ الكشاف ١/ ٣١٩

نصوصه وتوجيهاته كلها متحدة ولا يؤخذ أجزاء وتفاريق وهو يضع نظمه لتعمل كلها في وقت واحد فتتكامل وتتناسق وهكذا أنشأ مجتمعة الفريد الذي لم تعرف له البشرية نظيرا في مجتمعات الأرض »[1] .

وقوله تعالى : ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص﴾(يوسف ٣) فالفعل نقص مضارع ولكنه خالد معجز مستمر حتى يوم القيامة .

قال الكرماني : قيل هو قصة يوسف وسماها أحسن القصص لاشتمالها على ذكر حاسد ومحسود ومالك ومملوك وشاهد ومشهود ، وعاشق ومعشوق ، وحبس وإطلاق ، وسجن وخلاص ، وخصب وجدب ، وغيرها مما يعجز عن بيانها طوق الخلق »[2] .

وقوله تعالى : ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين﴾(الفاتحة ـ ٥)

فالمضارع نعبد ونستعين أفعال إستمرارية ليست مرتبطة بزمن معين فنعبد في الليل والنهار فهو المعبود دائماً .

قال أحد العلماء[3] : « في ذلك إقرار بأنّه لا معبود غيره ولا عون إلاّ منه . والشمسُ تجري لمستقر لها « يس ٣٨ » وتجري أيضاً فعل معجز لأنه مستمر قال السيوطي : أنها تسجد تحت العرش »[4] .

﴿ والذّينَ يَرْمُونَ الْمُحصَنَاتِ ثُمَ لَمْ يأتُوا بأَربَعةِ شُهداءَ فاجْلِدُهُمْ ثمانِينَ جلْدَةً ولا تَقْبَلُوا لَهُمْ شهَادةً أَبَداً ﴾ وكذلك الذين يرمون المحصنات ولم يأتوا بشهود أربعة فالحكم ليس مرتبطاً بزمن .

---

١ ـ في ظلال القرآن مج ١/ ٢٦٥ وينظر تفسير القرطبي ٣/ ٣٤٦ وما بعدها بتصرف
٢ ـ معترك الإقران ١/ ٤٨٢
٣ ـ النظم الفني ٤١
٤ ـ معترك الإقران ٣/ ٦٣٧

وقوله تعالى :﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير﴾(الأنعام ١٠٣)

قال السيوطي : « فإنَّ اللطيف يناسب ما لا يدرك بالبصر والخبير يناسب ما يدركه »[١] .

فيدرك الأول مضارع لم يحدث لإعجازه . ويدرك الثاني خالد حادث مستمر .

وقد جاء في القرآن الكريم طائفةٌ من الآيات الغيبية المعجزة وتحتوي على أفعال في المضارع ولكنها لم تحدث حتى يرث اللهُ هذه الأرض ومن عليها وهي أفعال معجزة . والإعجاز في ذلك واضحٌ ساطعٌ لكل قارىء لقرآننا العَربي المبين .

ومن هذه الآيات الكريمة قوله تعالى :﴿ ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نفيرا ﴾النساء ١٢٤) هذا وعد من الخالق العظيم للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بأن يدخلوا الجنة بإذنه آمنين .

ونلحظ ان الفعل المضارع « يَدْخُلونَ » لَم يقع حتى الآن وجاء بلفظ المضارع دليلاً على إعجاز الزمن في القرآن الكريم .

قال الزمخشري حول الآية الكريمة السابقة : « وأما المحسن فله ثواب وتوابع الثواب من فضل الله هي في حكم الثواب »[٢] .

وكذلك الحال في قوله تعالى : ﴿من عمل سيئةً فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير

١ ـ معترك الإقران ١/ ٤

٢ ـ تفسير الكشاف ١/ ٥٦٧

حساب﴾) غافر ٤٠) فالفعل المضارع « يَدخلون » لم يحدث إلاّ عند الحساب يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى اللّه بقلب سليم فهو فعل معجز أتى للإسناد الوضعي أن يصل إليه .

قال الزمخشري : « إن جزاء السيئة لها حساب وتقدير ، لئلا يزيد على الإستحقاق فأمّا جزاء العمل الصالح فبغير تقدير وحساب »[1] .

وقوله تعالى :﴿ يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾(النبأ ١٨) .

ذلك النفخ لم يحدث وإن كانت الإشارة بكلمة يوم الظرفية ، لأنه فعل معجز هيهات للإسناد الوضعي أن يصل اليه .

قال الرازي : « وهذا النفخ هو النفخة الأخيرة التي عندها يكون يوم الحشر حيث يأتون ذلك المقام فوجاً فوجاً حتى يتكامل اجتماعهم »[2] .

وكذلك قوله تعالى : « يوم ينفخ في الصور ونحشر المجرمين يومئذ زرقا » (طه ١٠٢) واذا وقفنا مع الفعل ينفخ والفعل نحشر نلحظ انهما يلفظ المضارع ولكنها لم يحدثا فهذا دليل واضح على الإعجاز الزمني في قرآننا الكريم .

قال الزمخشري حول الآية السابقة : « أسند النفخ الى الأمر به فيمن قرأ : فنفخ بالثوب ، أوْ لأن الملائكة المقربين وإسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من ربِّ الغرةِ ، فصحَّ لكرامتهم عليه ، وقربهم منه أن يسند ما يتلونه الى ذاته تعالى . وقرىء : يُنْفَخُ بلفظ ما لم يسم فاعله ، ويَنفخ يَحشر بالياء المفتوحة على الغيبية ، والضمير للّه عزّ وجلّ أو لإسرافيل عليه السلام وأما يحشر المجرمون فلم يقرأ به إلاّ الحسن[3] .

---

١ ـ تفسير الكشاف ٤/ ١٦٨

٢ ـ التفسير الكبير ج ٣١/ ١٠ ط ١ الأزهر

٣ ـ الكشاف ٣/ ٨٧

وأمّا المؤمنون الصادقون الذين صبروا ووعدهم الخالق العظيم في الجنة فاسمعْ كيف أعَدَّ اللّه لهم إذ قال تعالى : ﴿ **جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذريتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب**﴾(الرعد ٢٣) .

سلامٌ عليكم بما صبرتَم فنعم عقبى الدار ، فالفعل الخاص بالمؤمنين يدخلون وكذلك الملائكة لم يحدثا فقد جاءا بلفظ المضارع مع أنهما لم يحدثا من الناحية الزمنية وهذا دليل على الإعجاز الزمني في قرآننا الكريم .

نقل الزمخشري عن ابن عباس قال : « يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من شيء غيرهم وعن الحسن إذا حُرِمُوا أعْطوا وإذا ظُلِّمُوا عفوا وإذا قُطِعُوا وَصَلُوا وعن ابن كيسان إذا أذْنَبُوا تابوا ، وقيل : إذا رأوا منكراً أمروا بتغييره[1] .

والخلاصة : نلحظ أن المضارع في قرآننا الكريم جاء على ثلاثة أنواع وكل نوع فيه إعجاز خاص ، فقسم حدث ويستمر حدوثه حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها ، وقسم ثانٍ لم يحدث كما بينت وسوف يحدث بإذن اللّه بعد هذه الحياة الفانية .

وقسم ثالث وهو الذي قاسَ عليه النحاة ولكنه مع ذلك معجز في إخباره عن الغيب وتركيبه الخلاق .

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى :﴿ **اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا**﴾ النصر ١ ـ ٣) .

---

١ ـ الكشاف ٢/ ٥٢٦

فالفعل المضارع يدخلون قد حدث في زمن الفتح وكذلك قوله تعالى : **« إنا أرسلنا نوحا الى قومه ان أنذر قومك من قبل أن يأتيهم عذاب أليم »** (نوح ١).

فالأفعال المضارعة في الآية السابقة حدثت ولكنها معجزة في إخبارها عن الغيب كما أشرت سابقاً . وهي التي أخذ بها النحاة وقاسوا عليها في ظاهرة الإسناد الوضعي . . .

الفَصل الرّابع

الفِعل المَاضِيّ (١)

قبل أن نتحدث عن الفعل الماضي في قرآننا الكريم نحب ان نشير الى ظاهرة جديرة بالإعتبار والتقدير إذ أن الأفعال القرآنية هي أفعال معجزة يعجز عن الإتيان بها الإسناد الوضعي . وإنَّ النحاة وضعوا شروطاً لنقل الماضي إلى المستقبل كما بينا ذلك عن حديثنا عن الأفعال بصورة عامة ، وبخاصة الظاهرة الزمنية ، ومع تقديرنا لجهود علماء النحو على مر السنين الا أن للقرآن الكريم مكانة رفيعة خاصة معجزة أنَّى للإسناد الوضعي أن يصل الى كنهها . ونود أن نشير الى رأي النحاة بشيء من الإيجاز والذي كما يبدو لنا يمثله إبن مالك في كتابه تسهيل الفوائد الذي وصفه بأنه وافٍ : « هذا كتاب في النحو جعلته بعون اللّه مستوفياً لأصوله مستولياً على أبوابه وفصوله . . فليثق متأمله ببلوغ أمله ، وليتلق بالقبول ما يرد من قبله »(٢) .

وابن مالك نقل جُلَّ آراء النحاة السابقين له ومن ثم إن النحاة الذين جاءوا من بعده تأثروا به ، ونقلوا آراءه التي لم تزل تدرس في جامعات العالم العربي والإسلامي . قال إبن مالك : « وينصرف الماضي الى الحال بالإنشاء والى

---

١ ـ ينظر في هذا الشأن المقتضب ٤/ ٨١ وتسهيل الفوائد ص ٥ وشرح المقدمة المحسبه ١/ ١٩٤ وشرح الأشموني ١/ ١٥ وشرح الكافية ٢/ ٢٢٣

٢ ـ تسهيل الفوائد ص ٢ نحو

الإستقبال بالطلب والوعد ، وبالعطف على علم إستقباله وبالنفي بلا وإن بعد القسم ويحتمل المضّي والإستقبال بعد همزة التسوية وحرف التحضيض ؛ وكلما ، وحيث ويكون صلةً أو صفةً لنكرة عامة »[1] . والحقيقة إنَّ كل ما نقله إبن مالك في هذا الشأن لا يصل إطلاقاً لمرتبة قرآننا الكريم لأن الأفعال في الإسناد الوضعي - وإن دلّت على زمن معينّ كما يشير ابن مالك مستقبلاً أم ماضياً - لها حدود زمنية معيّنة وسوف نوضح ذلك تفصيلاً ونحب أن نقف قليلاً مع الفعل الماضي في الإسناد الوضعي .

قال أحد الشعراء يصف راحلته :

إذا مَا قُمْتُ ارْحَلُها بِلَيْلٍ   تَأَوَّهَ أَهَةَ الرَجلِ الحَزينِ

تَقُولُ إذا دَرَأَتُ لَهَا وضينى   أهَذَا دَيِنُهُ أَبَداً وَدِيني

أَكُلُّ الدَهرِ حِلٌ وارْتِحالٌ   أمَا يُبْقي عَليَّ ولاَ يَقيني

أنها لو كانت تبين وتفصح لأظهرت شكوىً وأنيناً إذا أبصرتْ وأنا أهيئها لشد الرحل عليها وإعمالها ولتأوهت تأوّه المشتكى حزناً وعويلاً »[2] .

ترى أن لبيد بن ربيعة لما بعث إليه الوليد بن عقبة مائة ناقة من الأبل ينحرها كعادته عند هبوب الصبًا ، وقد أسَنٌ وكان يطعم الناس ما هبت الصبًا .

قال لإبنته : أشكري هذا الرجل إنّي لأجد نفسي تحبينى ولقد أراني لا أعيا بجواب شاعر : فقالت هذه الأبيات :

---

١ ـ تسهيل الفوائد ص ٦

٢ ـ شرح إختبارات المفضل للتبريزي ج ٢/٣ ١٢٦ بتصرف

إذا هبَّتْ رِياحُ أبي عَقيل دَعَوْنَا عِندَ هبَّتِها الْوَلِيدَا

أَعزَّ الْوجهِ أَبْيضَ عَبْشَميَّاً أعانَ عَلى مرُوءتِهِ لَبِيدَا

بأَمْثَالِ الهِضَابِ كأَنَّ رَكْباً عَلَيْهَا مِنْ مبني حَامٍ قعودا

أَبَا وَهبٍ جزَاكَ اللَّهُ خيْراً نَحرناهَا وأَطْعَمْنَا الثَّرِيدَا

فَعُدْ إِنَّ الْكَرِيمَ لَهُ مَعَادٌ وَظَنِّي بابنِ أَرْوَى أَنْ يَعُودا[١]

واذا ما وقفنا مع الأفعال الماضية السابقة نلحظ أَنهَّا انتهت بانتهاء زمنها .

أما الفعل الماضي في القرآن الكريم فله شأن آخر فهو فعل معجز خالد . ونود أن نشير الى بعض النماذج القرآنية التي ذُكر فيها الفعل الماضي . ويمكننا أن نقسم الماضي القرآني إلى الأقسام الآتية :

أولاً :

الغاء الظاهرة الزمنية .

نلحظ أن الظاهرة الزمنية قد تلغى تماماً في بعض الآيات القرآنية الكريمة ومن النماذج الدالة على ذلك إسناد كان للفظ الجلالة كقوله تعالى : « إن الله كان على كل شيء حسيبا » (النساء ٨٦)

وقوله تعالى : ﴿ وكان الله عليما حكيما ﴾(النساء ٩٢).

﴿ إن الله كان بما تعملو ن خبيرا ﴾(النساء ٩٤).

﴿ وكان الله غفورا رحيما النساء ٩٦﴾.

١ ـ العمدة ١/ ٨٢

« واستغفر الله إن الله كان غفورا رحيما » (النساء ١٠٦).

« «وكان الله سميعا بصيرا » (النساء ١٢٦).

« وكان الله على ذلك قديرا » (النساء ١٣٣).

وقد نلحظ ذلك كثيرا في القرآن الكريم وخاصة عند إسناد كان للفظ الجلالة . وإذا ما وقفنا مع الآيات السابقة نلحظ إن كان في الآيات السابقة ملغاة زمنياً . فلا تستطيع أن نربطها بالزمن الماضي مطلقاً لأنها في التركيب السابق جاءت معجزة من لُدَن عزيز حكيم من حيث أنها فعلُ ماضٍ من حيث الشكل .

أما كان في الإسناد الوضعي فهي فعل ماضي يدل على الزمن الماضي المطلق وقد وصفها أحد النحاة بأنها أم الأفعال ودالة على مطلق الزمن الماضي[1] نحو قولك : « كنت مريضاً وكان الطالب ناجحاً وهو الآن راسب وهلّم جرّا . . . »

من الآيات الكريمة التي استخدم فيها الفعل الماضي مجرداً عن الزمن قوله تعالى : ﴿ الرحمن . علم القرآن ، خلق الإنسان علمه البيان﴾ الرحمن ١ ـ ٤).

وقوله تعالى : ﴿ خلق الإنسان من صلصال كالفخار وخلق الجان من مارج من نار﴾(الرحمن ١٤ ـ ١٥).

وقوله تعالى : ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾(المؤ منون ١٢).

فالأفعال السابقة أفعال خالدة غير مرتبطة بزمن فالرحمن علم ويعلم وسيعلم وخلق ويخلق وسيخلق فهي أفعال معجزة باقية أبدية ومستقبلية حتى يرث الله هذه الأرض .

كما جاءت غير مرتبطة بزمن وذلك عند اسنادها في بعض الآيات كقوله

١ ـ الأشباه والنظائر ٢/ ٥٦

تعالى : ﴿ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ﴾(النساء ١٠٣) فالصلاة كانت ولم تزل كتاباً موقوتاً أو للأخبار عن المؤمنين الموعدين بالجنة كقوله تعالى : ﴿ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا ﴾(١٠٧ الكهف).

كانت ولم تزل حتى يرث الله الأرض .

وقوله تعالى :﴿ وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ذلك تقدير العزيز العلم ﴾(فصلت ١٢).

قال ابن عباس : « أتت السماء بما فيها من الشمس والقمر والنجوم »[1] .

وقوله تعالى :﴿ اخرج منها ماءها ومرعاها ﴾(النازعات ٣١).

فهو أخرج ويخرج وسيخرج .

قال ابن قتيبة معقباً على الآية السابقة : « كيف دَلَّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والحطب والعصف [ورق الزرع وما يؤكل منه [لسان العرب مادة عَصَفَ] واللباس والنار والملح لأن النار من العيدان والملح من الماء[2] .

وقوله تعالى :﴿ إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله وأخلصوا دينهم لله ﴾(النساء ١٤٦).

فتابوا وأصلحوا واعتصموا أفعال غير مرتبطة بزمن .

---

١ ـ مجمع البيان مج ٩/ ٦

٢ ـ مشكل تأويل القرآن ص ٥

قال إبن قتيبة : « فدل على أن المنافقين شرٌ من كفر به وأولاهم بمقته ؛ وأبعدهم من الإنابة اليه لأنه شرط عليهم في التوبة الإصلاح والإعتصام ولم يشرط ذلك على غيرهم »[1] .

وقوله تعالى : ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس ٩٩) .

فالفعل (شاء : مجرد عن الظاهرة الزمنية ، وهو معجز في التركيب القرآني « ذكر للنبي صلىّ اللّه عليه وسلّم أنه لو شاء لآمن بما أنـزل إليه من في الأرض جميعاً ، وانه لا يصح أن يكره الناس حتى يكونوا مؤمنين » ومشيئة اللّه ليست مرتبطة بزمن . وذهب أحد الباحثين الى القول : « هذا الأمر خالد خلود الدنيا فلم نسمع أن مسلماً أجبر كافراً أو آخر من أهل الكتاب السابقين أن يدخل الإسلام كراهية[2] ، بل جُلّ ما يذهب اليه الداعية بأن يشرح جوهر الإسلام الحنيف وعدالة هذا الدين العظيم الذي إختاره الخالق لهذا الكون الغالي ليكون لهم ذخرا وحياة دينا ودنيا لأن الدين عند الله الإسلام .

وقوله تعالى : ﴿ قد أفلح المؤمنون الذين في صلاتهم خاشعون ﴾ (المؤمنون ٢٠١) فأفلح ماض معجز لأن الفعل غير مرتبط بزمن فقد أفلح ويفلح وسيفلح المؤمنون بإذنه تعالى وبمشيئته .

قال الزمخشري : « ولا شك أن المؤمنين كانوا متوقعين لمثل هذه الإشارة وهي الإخبار بثبات الفلاح لهم فَخُوطِبُوا بما دَلّ على ثبات ما توقعوه »[3] .

---

١ ـ مشكل تأويل القرآن ص ٧
٢ ـ النظم الفني في القرآن الكريم ص ١٤٣
٣ ـ الكشاف ٣/ ١٧٤

وقوله تعالى : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (الإسراء - ١) .

والإسراء بالرسول صلى الله عليه وسلم قد حدث ، أما قوله تعالى الذي باركنا حوله « فالمباركة ثابتة حتى يرث الله هذه الأرض وإنما إستخدام الماضي هو إعجاز لاستمرار الحدث الزمني المطلق فقد سئل إبن عباس عن « كان الله » فقال : « وأما قوله » « كان الله » فإنَّ الله كان ولم يزل كذلك ، وهو كذلك عزيز حكيم عليم قدير ثم لم يزل كذلك .

وقد أخرج إبن أبي حاتم من وجه آخر عن إبن عباس أن يهودياً قال : « إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكيماً فكيف هو اليوم : فقال : إنه كان في نفسه عزيزاً حكيماً[1] . ونحن نرد برأي آخر عندما تسند كان إلى لفظ الجلالة تلغى حينئذ الظاهرة الزمنية

ثانياً : أفعال قرآنية جاءت بصيغة الماضي ولم تحدث

عندما نقف مع قرآننا الخالد نلحظ أن بعض الأفعال قد جاءت بصيغة الماضي من الناحية الزمنية ولكنها لم تحدث وإن دلّ ذلك على شيء فيدل على إعجاز هذه الأفعال من حيث تركيبها في الصيغة القرآنية وإليك بعضاً من الأمثلة القرآنية على سبيل الإستشهاد لا الحصر :

قال تعالى : ﴿ إنَّا أعطيناك الكوثر . فصلي لربك وانحر إنَّ شانئك هو الأبتر ﴾(الكوثر ١ - ٣) .

---

١ - معترك الإقران ١/ ٩٥ وما بعدها بتصرف

قال أبو حيان : « وذكر في التحرير في الكوثر ستة وعشرون قولاً والصحيح هو ما فَسرَّه به رسول الله ، صلى الله عليه وسلم فقال هو نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل وأبيض من الثلج ، قال الترمذي هو حديث حسن صحيح ، وفي صحيح مسلم واقتطعنا منه قال أتدرون ما الكوثر ؟ قلنا الله ورسوله أعلم قال : نهر وعدنيه ربي عليه خير كثير هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيام »[1] وروى الثعالبي : « قال جماعة من الصحابة والتابعين الكوثر نهر في الجنة حافتاه ثياب من لؤلؤ مجوف وطينه مسك وحصاؤه ياقوت ونحو هذا من صفاته وإن اختلفت ألفاظ رواته »[2].

وعن إبن عباس عن أنس رضي الله عنهما قال : « لما عُرِج بالنبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء . قال : أتيت على نهر حافتاه ثياب اللؤلؤ مجوفاً فقلت ما هذا يا جبرائيل ؟ قال هذا الكوثر[3].

وروى لا يظمأ من شرب منه أبداً[4]

قال الألوسي : « حتى أن أقصر سورة فيه وهي الكوثر » تشير إلى أربعة أخبار عن الغيب »[5].

وإذا ما وقفنا مع الفعل الماضي في الآية السابقة نلحظ أنه جاء بلفظ الماضي « أعطيناك » والمعطيّ هو الله عز وجل رسوله محمد صلى الله عليه وسلم وهذا لم

١ ـ البحر المحيط مج ٨/ ٢١٩ والكشاف ٤/ ٨٠٧
٢ ـ تفسير الثعالبي ٤/ ٤٤٥ ومعاني القرآن ٣/ ٢٩٦
٣ ـ صحيح البخاري ج ٤/ ٢١٩ كتاب الشعب وتفيد الخازن ٦/ ٣٠٠
٤ ـ الكشاف ٤/ ٨٠٧
٥ ـ روح المعاني ١/ ٤٣

يحدث إلا يوم القيامة لأن وعد الله حق ولكنه الإعجاز القرآني العظيم المذهل حيث استخدم الماضي للمستقبل .

قال المرحوم سيد قطب : « هذه سورة خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . . يسري عنه ربه فيها ويعده بالخير ويوعد أعداءه بالشر[1] .

وقد استخدم القرآن الكريم « الماضي » بمعنى المستقبل في كثير من آياته التي وصف بها الآخرة ومصير الإنسان يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم . وإنَّ أصدق كتاب جاء . . . . بما سيحدث بعد الحياة هو القرآن الكريم ولنقف مع بعض الآيات الكريمة التي يصف بها القرآن الكريم يوم القيامة ذلك اليوم العظيم الرهيب

ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إذا الشمس كورت ، وإذا النجوم انكدرت ، وإذا الجبال سيرت ، وإذا العشار عطلت ، وإذا الوحوش حشرت ، وإذا البحار سجرت ، وإذا النفوس زوجت ، وإذا المؤدودة سئلت ، بأي ذنب قتلت ، وإذا الصحف نشرت ، وإذا السماء كشطت ، وإذا الجحيم سعرت ، وإذا الجنة أزلفت ، علمت نفس ما أحضرت ﴾ (التكوير ١ ـ ١٤) قال الزمخشري : « يروى في الشمس والنجوم أنها تطرح في جهنم ليراها من عبدها »[2] قال سيد قطب : « فتحس أن الهول يشمل الأرض والسماء ، والحيوان والإنسان والصغار والكبار ، والجنة والنار وكلها في موقف الهول والانتظار[3] وقال في موضع ثان : « هنا مشهد تام لكل معهود وثورة شاملة لكل موجود[4] وقوله تعالى : ﴿ فإذا النجوم طمست ، وإذا السما فرجت ، وإذا الجبال خسفت ، وإذا الرسل أقتت ،

١ ـ في ظلال القرآن ٨/ ٦٨٢ ط ٧
٢ ـ الكشاف ٤/ ٧٠٧
٣ ـ مشاهد القيامة في القرآن الكريم ص ٤٢
٤ ـ مشاهد القيامة في القرآن الكريم ص ٥٧

لأي يوم أجلت . ليوم الفصل وما أدراك ما يوم الفصل﴾ (المرسلات ٨ - ١٤) .

فالزمن في الآيات السابقة جاء في صيغة الماضي وإن دل ذلك على شيء إنما يدل على الإعجاز القرآني المطلق . أما حول المعنى فقد قال الطبرسي : طمس النجوم « أي محيت آثارها وأذهب نورها وأزيل ضوؤ ها « إِذَا السَّماءُ فُرِجَتْ » أي شقت وصدعت وصار فيها فروج ، ونقلت الجبال من مكانها والرسل جمعت لوقتها وهو يوم القيامة لتشهد على الأمم »[١] .

وكذلك قوله تعالى : ﴿كلا إذا دكت الأرض دكاً دكاً ، وجاء ربك والملك صفاً صفاً وجيء يومئذ بجنهم ، يومئذ يتذكر الإنسان وأنّى له الذكرى﴾(الفجر ٢١/٢٣)

قال الزمخشري مفسراً موقف الملائكة في تلك الفترة الرهيبة ، ينزل الملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف محدقين بالجن والإنس »[٢] وشرح سيد قطب هذا الموقف قال « ذلك نموذج للمقابلة النفسية بين الكافرين والمؤمنين في يوم الروع العظيم »[٣] .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا جاءت الصَّاخَّةُ ، يوم يفرُّ المرء من أخيه وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه ، لكل امرىء منهم يومئذ شأن يغنيه ﴾(عبس ٢٣ - ٢٧)

فالصَّاخة المراد بها الصيحة التي يكون فيها قيام الخلق من القبور وهي النفخة الثانية ، وسميت بذلك لأن من شأنها أن تصخ آذان من يسمعها أي تصيبها بالصم من شدتها[٤] . .

---

١ - مجمع البيان ١٠/ ٥١٤﴿ لله

٢ - الكشاف ٤/ ٧٥١

٣ - مشاهد القيامة في القرآن الكريم ص ٦٠

٤ - المصحف الميسر ص ٧٩١

وقوله تعالى : ﴿ إذا السماء انفطرت ، وإذا الكواكب انتثرت وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت ، علمت نفس ماقدمت وأخرت ﴾(والإنفطار ١ ـ ٥) .

يروي الزمخشري عن هذا اليوم العظيم ، انفطرت ، إنشقت « فجرت » فتح بعضها إلى بعض فاختلط العذب بالمالح وزال البرزخ الذي بينهما وصارت البحار بحراً واحداً ، وروى أن الأرض تنشف الماء بعد إمتلاء البحار ، فتصير مستوية »[١] .

قال سيد قطب : « والهول في هذا المشهد هول نفسي بحيث يفزع النفس ويفصلها عن محيطها ويستبد بها إستبداداً فكل نفس وشأنه »[٢] .

وقوله تعالى : ﴿ إذا زلزلت الأرض زلزالها ، وأخرجت الأرض أثقالها ، وقال الإنسان مالها ﴾(الزلزلة ١ ـ ٣) .

الآيات الكريمة السابقة تتحدث عن القيامة وحالة القوم حينذاك . وقد استخدم التعبير القرآني الفعل الماضي وهذا يمثل قمة الإعجاز قال الزمخشري مفسراً الزلزال : « قال هو الزلزال الشديد الذي ليس بعده »[٣] وقال سيد قطب : « إنها هزة عنيفة للقلوب الغافلة . . . إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة إرتجافاً وتزلزل زلزالاً وتنفض ما في جوفها »[٤] .

وقوله تعالى : ﴿ فإذا برق البصر وخسف القمر وجمع الشمس والقمر يقول الإنسان يومئذ أين المفسر ، كلا لا وزر إلى ربك يومئذ المستقر ﴾(القيامة ٧ ـ ١١) .

---

١ ـ الكشاف ٤/ ٧١٤
٢ ـ مشاهد القيامة في القرآن الكريم ص ٦٢
٣ ـ الكشاف ٤/ ٧٨٣
٤ ـ في ظلال القرآن ٨/ ٦٣٩ ط ٧

قال الطبرسي : « فإذا بَرَق البَصر » أيْ : شخص البصر عند معاينة مَلك الموت فلا يطرف من شدة الفزع . وقيل إذا فزع وتحير لما يرى من أهوال القيامة وأحوالها مما كان يكذب به في الدنيا »[1]

روى الثعالبي : « قال وجمع بين الشمس والقمر واختلف في معنى الجمع بينهما[2] فقال عطاء يجمعان فيفترقان في الناس وقيل في البحر تبصر نار الله العظمى » وقبل أن ينتهي بنا المطاف حول الماضي القرآني الذي لم يحدث نحب أن نشير إلى أن كثيراً من الأفعال القرآنية التي جاءت في وصف القيامة ـ ذلك اليوم الرهيب بعضها قد سبقت بكلمة « إذا » الظرفية الدالة على الزمن المستقبل عند معظم النحاة قال إبن هشام في تعريف إذا : « فالغالب أن تكون ظرفاً للمستقبل »[3] وهذا الأمر صحيح عند إسنادنا بإذا الظرفية فتقول : « إذا درست نجحت وإذا عزمت على السفر فسافر وهلم جرا . . .

ولكن المدة الزمنية في الإسناد الوضعي مدة محددة تنتهي بانتهاء حدوث الفعل ولكنها في القرآن الكريم ليست محددة بزمن فالقيامة أمر غيبي سوف يحدث ولن نعلمه لأنه سر من أسرار الخالق العظيم ، ولذلك يردُ الزمن في الإستخدام القرآني للإعجاز لأنّ « إذا والفعل » معاً يشيران إلى مستقبل غير محدود بزمن وهنا قمة في الإعجاز الزمني أنّى للإسناد الوضعي أن يصل إلى ذلك .

ثالثاً : أفعال قاس عليها النحاة :

جاءت كان بمعناها الحقيقي وهو « الزمن الماضي » في الإستخدام القرآني

---

١ ـ مجمع البيان ١٠/ ٣٩٥

٢ ـ تفسير الثعالبي ٤/ ٣٦٦ وانظر رأي الفراء معاني القرآن ٣/ ٢٠٩

٣ ـ مغنى اللبيب ١/ ٩٧ ونحوه شرح الوافية نظم الكافية ص ٤١٤ والجني الداني ص ٦١ والصاحبي ص ١٣٩ وما بعدها وشرح المقدمة المحسبة ١/ ٢٤٦ والمقرب ١/ ٢٧٤ والجملة الشرطية عند العرب ص ١٧٩ وما بعدها .

ولكنها لا تخلو من الإعجاز النظمي والغيبي ومن ذلك قوله تعالى : « **فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين** » (البقرة ٣٤) .

وقوله تعالى: ﴿ **ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين** ﴾ (آل عمران ٦٧)

﴿ **كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ما حرم إسرائيل على نفسه** ﴾(٩٣ آل عمران) .

﴿ **ونادى نوح ابنه وكان في معزل يا بني اركب معنا** ﴾ (التوبة ٤٢)

﴿ **وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً** ﴾ (الكهف ٧٩)

﴿ **يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغياً** ﴾(مريم ٢١) .

قال تعالى : ﴿ **ولقد آتينا إبراهيم رشده** ﴾ (الأنبياء ٥١) .

قال الفراء : « هداه إذ كان في السرب[1] حتى بلغه الله ما بلغه »[2] .

وقوله تعالى : ﴿ **فأنجيناه وأهله إلا إمرأته كانت من الغابرين** ﴾ (الأعراف ٨٣)

وقوله تعالى : ﴿ **أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر** ﴾ (الكهف ٧٩) .

عندما نقف مع الأفعال السابقة نلحظ أنها فعلاً قد حدثت في الماضي وهي الأفعال التي قاس عليها النحاة ولا تخلو الآيات السابقة من الإعجاز الغيبي والبلاغي والنظمي لأن القرآن الكريم كله معجز .

قال إبن حزم : « إن القرآن معجز قد أعجز الله عن مثل نظمه جميع العرب

---

١ ـ بيت في الأرض لا منفذ له والمراد المغارة التي ولدته أمه فيها خوفاً من النمرود وكان يذبح الأنبياء معاني القرآن ٢/ ٢٠٦ هامش

٢ ـ معاني القرآن ٢/ ٢٠٦

وغيرهم من الإنس والجن »[1] .

ومن الأفعال التي حدثت في الماضي قوله تعالى : « **فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عدداً** » .

الزمن فيه عادي أي أن الفعل ماضي وفعلاً قد تم الحدث ولكن إعجاز تركيبي مذهل .

قال إبن قتيبة : « إن أردت أن تنقله بلفظه لم يفهمه المنقول إليه فلو قلت : أنمناهم سنين عدداً ، لكنت مترجماً للمعنى دون اللفظ »

وهكذا نلحظ في الآية الكريمة السابقة أن الخطاب موجه لمحمد صلى الله عليه وسلم وتمثل الظاهرة الزمنية التي سار عليها النحاة في تقسيم للأفعال .

ومن ذلك قوله تعالى : « **إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إنّي رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين** » (يوسف ٢٤) وعندما نقف مع الآية الكريمة نلحظ أنها تحتوي على إعجاز نظمي وبلاغي وإعجاز غيبي إذ يحدثنا القرآن الكريم عن نبأ يوسف وأبيه وإخوته إذ كان ليعقوب إثنا عشر ولداً ستة من ليّابنت ليان ، وأربعة من سريتين وإثنان من راحيل بنت ليان ، وكان قد تزوجها بعد وفاة أختها فولدت له بنيامين ويوسف »[2] .

وقوله تعالى :﴿**قالوا يا أبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاءُوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون**﴾ (يوسف ١٧ ـ ١٨) .

والحقيقة نلحظ أن الإعجاز القرآني لم يكن وقفاً على سورة دون الأخرى

---

١ ـ كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل ٣/ ١٥

٢ ـ النظم الفني في القرآن ص ١٥٠ بتصرف

أو آية دون الأخرى بل كله معجز قال السيوطي : « فهذه سورة الكوثر ثلاث آيات وهي معجزة إعجاز سورة البقرة »[1] .

جاء في روح المعاني : « والمشهور عند الجمهور الإقتصار على بلاغته وفصاحته حيث بلغت الرتبة العليا والغاية القصوى التي لم تكد تخفى على أهل هذا الشأن حتى النساء ، كما يحكى أن الأصمعي وقف متعجباً من إمرأة تنشد شعراً فقالت : أتعجب من هذا أين أنت من قوله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذ خفت عليه فألقيه في اليّم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » .

فقد جمع بين أمرين ونهيين وبشارتين أي مع ما فيه يدرك بالذوق »[2] .

والخلاصة : نلحظ على ضوء ما قدمنا في هذه الدراسة أن الزمن في القرآن الكريم ينقسم إلى قسمين :

الأول :

أفعال خالدة أبدية معجزة باقية ومنها ما هو مستمر ومنها ما سيحدث في اللحد ومنها ما سيحدث يوم البعث معجزة أنىّ للإسناد الوضعي الوصول إليها

وقسم ثان وهي أفعال عادية كما قسمها النحاة العرب تحتوي على الأزمنة الثلاثة ـ الماضي والمضارع والأمر ـ وجاء إعجازها فيما أخبرت عن الغيبيات ونزلت على رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، نقص عليه قصص الأمم السابقة ، والغيبيات . وترسخ القاعدة الإسلامية بما تحتويه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، شاملة لرسم حياة فاضلة شريفة خطها لنا الخالق العظيم . وقد أخرجت العالم كافة من الظلمات إلى النور والهداية ناشرة تعاليم الإسلام الخالدة .

روى السيوطي قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ستكون

---

١ ـ الإتقان في علوم القرآن ١/ ٨٧ .
٢ ـ روح المعاني ١/ ٤٣ .

فتن قيل : « وما المخرج منها قال : كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم » أخرجه الترمذي وغيره »[1] ونلحظ ذلك واضحاً جلياً إذ قال تعالى : « ما فرطنا في الكتاب من شيء » (الأنعام ٣٨) وقوله تعالى : « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء » (النحل ٨٩) وعن إبن مسعود « من أراد العلم فعليه بالقرآن »[2]

أجل إنه العلم الحقيقي الباعث على الحق والهداية .

---

١ ـ معترك الإقران ١/ ١٤

٢ ـ معترك الإقران ١/ ١٤ .

الباب الثالث

الفواتح القرآنية

الفصل الأول

موقف علماء التفسير من الفواتح

يجدر بنا قبل أن نتحدث عن ظاهرة الإعجاز النحوي في فواتح السور القرآنية أن نقف مع آراء علماء التفسير حول هذا الموضوع : وعندما نقف مع هذه الفواتح المقدسة نلحظ أنها قد جاءت في تسع وعشرين سورة من قرآننا الكريم . وقد جاءت هذه الفواتح بصور مختلفة من حيث التركيب وإليك تفصيلاً لذلك .

١ ـ فواتح تبدأ بحرف واحد وعددها ثلاثَ سورٍ « ص » و« ق » و« ن » .

٢ ـ فواتح تبدأ بحرفين وعددها : عشر سور سبع تبدأ بـ « حم » وهي : غافر ، فُصِّلت ، الشورى ، الزخرف ، الدخان ، الجاشية ، الإحقاق ، وتبدأ الباقية بـ « طه » والثانية « طس » والثالثة « يس » .

٣ ـ فواتح تبدأ بثلاثة أحرف جاءت في ثلاث عشرة سورة ست منها تبدأ بـ « آلم ـ وهي البقرة ، آل عمران ، العنكبوت ، الروم ، لقمان ، والسجدة وخمس سور تبدأ « ألر » وهي يونس ، هود ، يوسف ، إبراهيم ، والحجر وسورتان تبدأن بـ « طسم » وهما الشعراء والقصص

٤ ـ فواتح تبدأ بأربعة أحرف وهما سورتان سورة الأعراف وتبدأ « المص » والثانية سورة الرعد وتبدأ « المر » .

٥ ـ سورة واحدة تبدأ بخمسة أحرف وهي سورة مريم « كهيعص »

أما ترتيبها من حيث النزول مكياً أم مدنياً فجاء كما يلي : « والسور المكية المستهلة بالفواتح ، هي على المشهور في ترتيب النزول : القلم (ن) ، ق ، ص ، الأعراف (المص) يس ، مريم (كهيعص) طه ، الشعراء (طسم) النمل (طس) القصص (طسم) يونس وهود ويوسف والحجر و « الر » ، لقمان و « الم » ، غافر وفصلت (حم) الشورى (حم عسق) الزخرف والدخان والجاثية والاحقاق (حم) إبراهيم (الر) السجدة والروم والعنكبوت (ألم)

والسور المدنية هي : « البقرة وآل عمران (الم) ، والرعد (المر) وقد تنبه السلف إلى أن مجموع هذه الحروف ، بغير المكرر منها أربعة عشر حرفاً ، هي نصف الحروف العربية[1] .

أما موقف علماء التفسير من فواتح السور القرآنية الكريمة فقد نلحظ أن أقوالهم جاءت على قسمين ، الأول : يرى أنها سر من أسرار الله عز وجل والثاني يرى أن لها معاني يجب أن يشار إليها[2] .

القسم الأول : أن هذه الفواتح سرٌ من أسرار الله عز وجل ومعجزة من عنده . . .

نقل علماء التفسير أن هذه الفواتح سر من أسرار القرآن ومعجزة من الله فهذا نظام الدين النيسابوري يقول : « حول فاتحة سورة البقرة » « ألم » والفواتح عامة : إنَّ هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به والتخاطب بالحروف المفردة سنة الأحباب في سنن المحاب فهي من الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليها الرقيب .

---

١ ـ الإعجاز البياني ص ١٢٧ وينظر الإتقان ٢/ ١٤ وما بعدها ومباحث في علوم القرآن ص ٢٣٤
٢ ـ معترك الاقران ١/ ١٥٦ وتفسير الثعالبي ١/ ٣٠

عن أبي بكر في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور ، وعن علي كرم الله وجهه ، إنّ لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتـاب حروف التهجـي[1] .

وقال القرطبي : « هي سر الله في القرآن ولله في كل كتاب سر فهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه ولا يجب أن يتكلم فيها ولكن نؤمن بها ، ونقرأ كما جاءت وروى هذا القول عن أبي بكر الصديق وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما » .

وعن عمر رضي الله عنه وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا « الحروف المقطعة من المكتوب الذي لا يفسر »[2] .

قال الشيخ عبد الله الحنفي : « إن الراسخين تكلموا في شأن المقطعات في فواتح السور الكريمة ، فقال الأكثر من الفرقـة الأول هي من المشابهـات التـي حكمها التوقف فنحن نؤمن بظواهرها من غير معرفة حقيقة المراد »[3] .

وتابع القرطبي رواياته قال ، وقال أبو حاتم : « لم نجد الحروف المقطعة في القرآن إلا في أوائل السور ، ولا ندري ما أراد الله جَلَّ وَعَزَّ بها .

قلت : « ومن هذا المعنى ما ذكره أبو بكر الأنباري : حدثنا الحسـن بن الحباب حدثنا أبو بكر بن أبي طالب حدثنا . أبو المنذر الواسطي عن مالك بن مغول عن سعيد بن مسروق عن الربيع بن خثيم قال : إن الله تعالى أنزل هذا القرآن فاستأثر منه بعلم ما شاء ، وأطلعكم على ما شاء ، فأما ما استأثر به لنفسه فلستم بنائليه فلا تسألوا عنه ، وأما الذي أطلعكم عليه فهو الذي تسألون عنه وتخبرون به ، وما بكل القرآن تعلمون ، ولا بكل ما تعلمون تعملون ، قال أبو

---

١ - غرائب القرآن ١/ ١٣٤ ، وتفسير القرطبي ١/ ١٥٤ ومعترك الإقران ١/ ١٥٥ والتسهيل ١/ ٣٥ .
- تفسير القرطبي ١/ ١٥٤ ونحوه تفسير الثعالبي ١/ ٣٠ والطبري ١/ ٢٧٠ وتفسير إبن كثير ٦٤١ والتفسير الكبير للرازي ج ١/ ص ٢ وج ٢٧/ ٢٥٦ . ومجمع البيان ١/ ٦٨ وفتح البيان في مقاصد القرآن ١/ ٥٣ وما بعدها .
٣ - رسالة في الحروف المقطعة ورقة ٢ مخطوطة جامعة الكويت رقم ٢٨٨ ك م .

بكر : فهذا يوضح أن حروفاً من القرآن سترت معانيها عن جميع العالم ، اختباراً من الله عز وجل ، وامتحاناً ، فمن آمن بها أثيب وسعد ، ومن كفر وشك أثم . وبعد ، حدثنا أبو يوسف بن يعقوب القاضي حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان عن الأعمش عن عمارة عن حريث بن ظهير عن عبد الله قال : ما آمن مؤمن أفضل من إيمانٍ بغيب ثم قرأ « الذين يؤمنون بالغيب »[1] .

ونقل نظام الدين النيسابوري حول سر هذه الحروف قال : « أحدهما : أن هذا علم مستور وسر محجوب استأثر الله به ».والتخاطب بالحروف المفردة سنة الأحباب في سنن المحاب ، فهو سر الحبيب مع الحبيب بحيث لا يطلع عليه الرقيب ، شعر :

بَيْنَ المُحِبِّين سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ قَوْلٌ ولا قَلَمٌ للخلق يُحكِيهِ

عن أبي بكر : في كل كتاب سر وسره في القرآن أوائل السور .

وعن علي كرم الله وجهه : إن لكل كتاب صفوة ، وصفوة هذا الكتاب حروف التهجي ، وقال بعض العارفين : العلم كبحر أجرى منه واد ، ثم أجرى من الوادي نهر ، ثم أجرى من النهر جدول ، ثم أجرى من الجدول ساقية فالوادي لا يحتمل البحر ، والنهر لا يحتمل الوادي ، ولهذا قال عز من قائل « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها » فبحور العلم عند الله تعالى ، فأعطى الرسل منها أودية ، ثم أعطى الرسل من أوديتهم أنهاراً إلى العلماء ثم أعطى العلماء إلى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم ، ثم أجرت العامة سواقي إلى أهاليهم بقدر طاقتهم ، وهذا مأخوذ مما ورد في الخبر﴿ **للعلماء سر وللخلفاء سر وللأنبياء سر وللملائكة سر ، ولله من بعد ذلك كله سر ، فلو اطلع الجهال على سر العلماء لأبادوهم ، ولو اطلع العلماء على سر الخلفاء لنابذوهم ، ولو اطلع الخلفاء**

١ ـ تفسير القرطبي ١/ ١٥٥

على سر الأنبياء لخالفوهم ، ولو اطلع الأنبياء على سر الملائكة لا تهموهم ولو اطلع الملائكة على سر الله لطاحوا حائرين وبادوا بائدين » ، والسبب في ذلك ، أن العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القوية كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش .

وسئل الشعبي عن سر هذه الحروف ، فقال : « سرُّ اللهِ فَلاَ تَطْلُبُوهُ . وعن إبن عباس أنه قال : « عجزت العلماء عن إدراكها ، وقيل هو من المتشابه وزيف هذا القول بنحو قوله تعالى : ﴿أفلا يتدبرون القرآن ـ تبياناً لكل شيء ـ هدى للمتقين﴾ وإنما يمكن التدبر ويكون تبياناً وهدى إذا كان مفهوماً ، وبقوله صلى الله عليه وسلم : « إني تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا : كتاب الله وسنتي » فكيف يمكن التمسك به وهو غير معلوم ؛ وأيضاً لا يخاطب المكلف بما لا يفهم كما لا يخاطب العربي بالعجمي ولا يجوز التحدي بما لا يكون معلوماً ، وعورض بقوله تعالى ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾[1] .

قال الشيخ عبد الله الحفني : « مُزِّقَتْ الفواتح على السور لأن فيها عادة التحدي وتكرير التبني لمذكور والمبالغة فيه وحاصل المعنى هذا المتحدي به من جنس هذه الحروف »[2] .

---

١ ـ غرائب القرآن ١/ ١٣٤

٢ ـ رسالة في معاني الحروف مخطوطة ورقة ٤

الفصل الثاني

معاني الفواتح القرآنية

روى طائفة من علماء التفسير أن للفواتح القرآنية معان وينبغي معرفتها وقبل أن نبين رأينا في هذا الشأن نحب أن نعرض بشيء من الإيجاز تلك الآراء . روى عن إبن العربي أن لمعاني الفواتح فيما ذكره العلماء أكثر من عشرين قولاً وأزيد »[١] .

أما الثعالبي فيرى أن معاني الفواتح أقل من العدد السابق إذ يقول : « واختلفوا في ذلك . يريد عدد المعاني ـ على اثني عشر قولاً وقال حول تفسيرها : « وقال الجمهورُ مِن الْعُلَماءِ ، بل يجب أن يتكلم فيها وتلقى الفوائد التي تحتها ، والمعاني التي ستخرج عليها »[٢] ونود أن نبين بعض الآراء التي ذكرت العلة في ذلك وإليك أشهرها .

روى السيوطي : « قال أهلُ البيان من البلاغة حسن الإبتداء وهو أن يتأنق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع »[٣] .

وقال القاضي عبد الجبار شارحاً معاني الفواتح : « فأما قوله عز وجل في فواتح السور وذلك مثل : « المَص » و« ألم » إلى ما شاكله فليس من المتشابه وقد أراد عز وجل به ما إذا علمه المكلف كان صلاحاً له »[٤] .

١ ـ معترك الإقران ١/ ١٥٥
٢ ـ تفسير الثعالبي ١/ ٣٠
٣ ـ الإتقان ٢/ ١٠٦
٤ ـ متشابه القرآن ١/ ١٦

وقال ، في موضع ثان : « والغرض أن نبين أنه ليس في القرآن ما يخرج عن أن يقع به فائدة فلا وجه لنقص الأقاويل في ذلك »[1] .

وقال : « وقد قيل في ذلك أنه عز وجل أراد بهذه الحروف المقطعة أن يبين أن كتابة المنزل مركب من هذه الحروف وأنه ليس بخارج عن هذا الجنس المعقول ، وأنه مع ذلك قد اختص من الفصاحة بما عجز الخلق عنه وذلك يبين قوة إعجازه ويبطل قول من يظن أن كلامه عز وجل مخالف لكلامنا وقال معقباً على قوله تعالى : « آلر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ (هود ١) أريد به أنه تعالى أحكمه في باب الإعجاز والدلالة على وجه لا يلحقه خلل »[2] .

وإليك عرضاً لآراء العلماء في معاني الحروف المقطعة في قرآننا الكريم نحب أن نشير إليها بشيءٍ من الإيجاز ويمكننا أن نجملها كما يلي :

أولاً : اسم الله الأعظم

ذكر أصحاب التفسير أن الفواتح في القرآن الكريم هي من أسماء الله تعالى : قال القرطبي : « روى عن إبن عباس وعلي أيضاً أن الحروف المقطعة في القرآن اسم الله الأعظم ، إلا أنا لا نعرف تأليفه منها »[3] وروى أنها أسماء الله تعالى . روى عن عليّ عليه السلام أنه كان يقول : « يا كهيعص يا حَم عَسَق » ويقرب منه ما روى عن سعيد بن جبير : أنها أبعاض أسماء الله تعالى ، فإن (الر ، حم ، ن) مجموعها اسم الرحمن ، لكننا لا نقدر على كيفية تركيبها في الجميع . وقيل : كل واحد من الحروف دالٌ على اسمٍ من أسماءِ الله تعالى أو

---

١ ـ متشابه القرآن ١/ ١٧

٢ ـ متشابه القرآن ١/ ٢١

٣ ـ تفسير القرطبي ١/ ١٥٥ والتسهيل ١/ ٣٥ وتفسير الطبري ١/ ٢٠٧ ومجمع البيان ١/ ٦٨

صفة من صفاته . فالألف إشارة إلى أنه أحد ، أول آخر أزلي أبدي ، واللام إشارة إلى أنه لطيف ، والميم إلى أنه مجيد ملك منان ، وفي « كهيعص » الكاف كافٍ لعبادة ، والهاء هادٍ ، والياء من الحكيم ، والعين ، عالم ، والصاد ، صادق أو الكاف محمول على الكبير والكريم والياء على أنه مجيد ، والعين على العزيز والعدل . ويروى هذا عن إبن عباس .

وعنه أيضاً في (آلم) أنا الله أعلم ، وفي (المص) أنا الله أعلم وأفضل وفي (المر) أنا الله أرى ، الخامس : أنها صفات الأفعال ، الألف من آلاؤه ، واللام من جبرائيل ، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم : أي أنزل الله الكتاب بواسطة جبرائيل على محمد صلى الله عليه وسلم »[1] .

قال الفراء : « وقد قيل في كهيعص إنه مفسر لأسماء الله ، فُصِلَ ، الكاف من كريم والهاء من هادٍ والعين والباء من عليم ، والصاد من صدوق . فإن يكن كذلك « فالذكر » مرفوع بضمير لا بكهيعص ، وقد قيل في طه « إنه يا رجلَ فإن يك كذلك فليس يحتاج إلى مرافع لأنَّ المنادي يرفع بالنداء وكذلك (يس) . جاء فيها يا إنسان وبعضهم يا رجل والتفسير فيها كالتفسير في طه »[2] .

وقال الطبرسي : « إنها أسماء الله تعالى منقطعة لو أحسن الناس تأليفها لعلموا إسم الله نقول : آلر ، وحم ، و« ن » فيكون الرحمن وكذلك سائرها »[3] .

١ ـ غرائب القرآن ١/ ١٣٥ ورسالة في الحروف المقطعة ورقة ٣ وتفسير الثعالبي ١/ ٣٠ وتفسير البيضاوي ص ٦ والمحرر الوجيز ١/ ١٣٨ .
٢ ـ معاني القرآن ١/ ٣٧٠ ورسالة في الحروف المقطعة ورقة ٣ ومجمع البيان ١/ ٦٩ ونحوه تفسير البيضاوي ص ٦ وتفسير الثعالبي ١/ ٣
٣ ـ مجمع البيان ١/ ٦٩ وتفسير البيضاوي ص ٥

وقال أبو السعود : « إنها أسماء الله تعالى كل حرف منها يشير إلى اسم من أسماء الله تعـالى ، وقيل إنهـا صفـات الأفعـال : الألف آلاؤه والميم مجـده وملكه »[1] .

حدثنا محمد بن المثنى قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهـدي قال : حدثنـا شعبة قال : سألت السُّدِّي عن « حَم » و« طسم » و« ألـم » فقـال : قال إبـن عباس : هي اسم الله الأعظم[2] .

ثانياً : إشارة إلى حروف الهجاء .

وقال قُطرب والفراء وغيرهما : « هي إشارة إلى حروف الهجاء ، أعلم الله بها العرب حـين تحداهـم بالقـرآن أنـه مؤتلف من حروف هي التـي منهـا بنـاء كلامهم . ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم ، إذ لم يخرج عن كلامهم . قال قطرب : كانوا ينفرون عند إستماع القرآن فلما سمعوا « ألـم » و« المص » إستنكروا هذا اللفظ ، فلما أنصتوا له صلى الله عليه وسلم أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم ، وقال قوم : روى أن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة وقالوا : « لا تسمعوا لهذا القرآن وألغوا فيه » نزلت ليستغربوها فيفتحونَّ لها أسماعهم فيسمعون القرآن بعدهـا فتجـب عليهم الحجة »[3] .

أما صاحبُ البحر المحيط أبو حيان فقال : « أسماء مدلولها حروف المعجم نطق بها نطق حروف المعجم وهي موقوفة الآخر لا يقال إنها معربة لأنها لم يدخل

---

١ ـ تفسير السعود ١/ ١٦

٢ ـ تفسير الطبري ١/ ٢٠٦

٣ ـ تفسير القرطبي ١/ ١٥٥ وتفسير البيضاوي ص ٦

عليها عامل فتعرب ، ولا يقال إنها مبنية لعدم سبب البنـاء لكن أسماء حروف المعجم قابلة لتركيب العوامل عليها فتعرب : فتقول هذه ألف حسنة ويبدو أنه غير رأيه فجاء في هامش المحيطقال : « حروف التهجي هذه التي في أوائل السور اختلف الناس في المراد بها إختلافاً كثيراً ولم يقم دليل على تعيين شيء مما ذكروه والذي إختاره هو ما ذهب إليه الشعبي والثوري وجماعة من المحدثين قالوا : « هي سر الله في القرآن وهي من المتشابه الذي انفرد الله تعالى بعلمه »[1].

ومن المحدثين فقد ذهب سيد قطب مذهب القدماء في تفسير الفواتح قال : « وقد وردت في تفسيرها وجوه كثيرة نختار منها وجاً إنها إشارة إلى أن هذا الكتاب مؤلف من جنس هذه الأحرف ، وهي في متناول المخاطبين به من العرب ولكنه مع هذا هو ذلك الكتاب المعجز الـذي لا يملـكون أن يضعـوا من تلك الحـروف مثله »[2].

ولم يغير رأيه في آل عمران قال : « نختار في تفسيرها على سبيل الترجيح لا الجزم ما اخترنا في مثلها في أول سورة البقرة »[3].

ثالثاً : عدد بقاء الإسلام[4]

قال الطبرسي في هذا الشأن : « إن المراد بها مدة بقاء هذه الأمة عن مقاتل بن سليمان ، قال مقاتل : « حسبنا هذه الحروف التي في أوائل السور بإسقـاط المكرر فبلغت سبع مائة وأربعاً وأربعين سنةً ، وهي بقية مدة هذه الأمة ، قال علي بن فضال المجاشعي النحوي : « وحسبت هذه الحروف التي ذكرها مقاتل فبلغت

---

١ ـ البحر المحيط ١/ ٣٢ وتفسير ابن السعود ١/ ١٥ والمحرر الوجيز ١/ ١٣٩
٢ ـ في ظلال القرآن ١/ ٣٨
٣ ـ في ظلال القرآن ١/ ٥٣٥ بتصرف
٤ ـ كتاب التسهيل في علوم التنزيل ١/ ٣٥

ثلاثة آلاف وخمساً وستين ، فحذفت المكررات فبقي ستمائة وثلاث وتسعون ، والله أعلم بما فيها ، وأقول قد حسبتها أنا أيضاً فوجدتها كذلك ، ويروى أن اليهود لَـماً سمعوا ، آلم ، قالوا مدة ملك محمد صلى الله عليه وآله قصيره إنما تبلغ إحدى وسبعين سنة ، فلما نزلت « الـر » ، المر والمص وكهيعص ، اتسع عليهم الأمر هذه أقوال أهل التفسير[1] .

وفي رواية للطبري قال : مَرَّ أبو ياسر بن أخطب برسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يتلو فاتحة سورة البقرة « ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه » فأتي أخاه حُيٍّ بن أخطب من اليهود فقال : تعلمون والله لقد سمعت محمداً يتلو فيما أنزل الله عز وجل عليه (ألم ذلك الكتاب) فقالوا : أنـت سمعتـه ؟ قال : نعـم ! قال : فمشى حُيٌّ بن أخطب في أولئـك النفـر من يهـود إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا محمدُ ، ألم تذكر لنا أنك تتلو فيما أُنزل عليك (ألـم ذلك الكتاب » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بلى ! فقالـوا : أجـاءك بهـذا جبريل من عند الله ؟ قال : نعم قالوا : لقد بعث الله جَلَّ ثناؤه قبلك أنبياء ، ما نعلمه بَـيِنَّ لنبيٍ منهم ، ما مُدَّةُ ملكه وما أُكْلُ أُمَّتِهِ غَـيرْك ! فقـال : حُيٌّ بن أخطبِ ، وأقبل على من كان معه فقال لهم : الألف واحدة ، واللام ثلاثون ، والميم أربعون فهذه إحدى وسبعون سنة » أفتدخلون في دين نبي إنَّما مدة ملكه وأكل أمته إحدى وسبعون سنة ؟ قال : ثم أقبل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد : هل مع هذا غـيره ؟ قال : نعـم قال : ماذا قال : (المص) قال : هذه أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون والميم أربعون والصاد تسعون ، فهذه مئة وإحدى وستون سنةً هل مع هذا يا محمـد غـيره ، قال : نعم ، قال : ماذا ؟ قال : (ألر) قال : هذه والله أثقل وأطول ، الألف واحدة ، واللام ثلاثون والراء مئتان » فهذه إحدى وثلاثون ومئتا سنة ، فقال :

١ ـ مجمع البيان ١/ ٣٣ .

هل مع هذا غيره يا محمد ؟ قال نعم ، (المر) قال : فهذه والله أثقل وأطول الألف واحدة واللام ثلاثون ، والميم أربعون ، والراء مئتان فهذه إحدى وسبعون ومئتا سنة ، ثم قال لقد لُبِّسَ عَلَيْنَا أَمْرُكَ يا محمدُ ، حتى ما ندري أقليلاً أعطيت أم كثيراً ؟ ثم قاموا عنه . فقال أبو ياسر لأخيه حُيي بن أخطب ولمن مَعَهُ من الأَحْبَارِ ، ما يُدريكم لعلَّه قد جُمع هذا كله لمحمد إحدى وسبعون ، وإحدى وستون ومئة ، ومئتان وإحدى وثلاثون ومئتان وإحدى وسبعون ، فذلك سبعمئة سنة وأربع وثلاثون ! فقالوا : لقد تشابه علينا أمره ،ويزعمون أن هؤلاء الآيات نزلت فيهم : « **هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات** » (آل عمران ٧) قالوا فقد صرح هذا الخبر بصحة ما قلنا في ذلك من التأويل ، وفساد ما قاله مخالفونا فيه[١] .

وحاول أحد المحدثين أن يشير إلى هذه القضية إذ زعم أن يوم القيامة سيكون بتاريخ ١٧١٠ هجرية الموافق ٢٢٨٠ ميلادية وإليك مخلصاً لحسابه معتمداً في ذلك على الروايات السابقة حيث بدأ حديثه بالسؤال الآتي ما هي القيمة العددية للسبع المثاني ؟

إن هذه القيمة العددية تساوي عمر الدين الإسلامي . . . أي عدد السنوات التي حددها الخالق سبحانه من بعثة محمد عليه السلام حتى نهاية العالم في ما يلي قائمة « السبع المثاني » وقيمتها العددية :

(١) ق = ١٠٠ ، (٢) ن = ٥٠ ، (٣) ص = ٩٠ ، (٤) حم = ٨ + ٤٠ = ٤٨ ، (٥) يس = ١٠ + ٦٠ = ٧٠ ، (٦) طه = ٩ + ٥ = ١٤ ، (٧) طس = ٩ + ٦٠ = ٦٩ ، (٨) آلم + ١ + ٣٠ + ٤٠ = ٧١ ، (٩) آلر = ١ +

---

١ ـ تفسير الطبري ١/ ٢٧ ، ٢٨ وتفسير البيضاوي ص ٦ ، ص ٧ وتفسير الثعالبي ١/ ٣٠ ، قال الثعالبي وإليه مال السهيلي في الروض الأنف .

٣٠ + ٢٠٠ = ٢٣١ ، (١٠) طسم = ٩ + ٦٠ + ٤٠ = ١٠٩ ، (١١) عس = ٧٠ + ٦٠ + ١٠٠ = ٢٣٠ ، (١٢) المص = ١ + ٣٠ + ٤٠ + ٩٠ = ١٦١ ، (١٣) المر = ١ + ٣٠ + ٤٠ + ٢٠٠ = ٢٧١ ، (١٤) كهيعص = ٢٠ + ٥ + ١٠ + ٧٠ + ٩٠ = ١٩٥ = ١٠٠ + ٥٠ + ٩٠ + ٤٨ + ٧٠ + ١٤ + ٦٩ + ٧١ + ٢٣١ + ١٠٩ + ٢٣٠ + ١٦١ + ٢٧١ + ١٩٥ = (١٧٠٩)

إذن عمر الرسالة المحمدية كما حدده القرآن الكريم هو ١٧٠٩ سنوات قمرية نظراً لأن سنوات القرآن دائماً قمرية (سورة التوبة ٣٦)[1]

رابعاً : حروف دالة على أسماء :

روى القرطبي قال جماعة : هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها ، كقول إبن عباس وغيره : الألف من الله ، واللام من جبريل ، والميم من محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل : الألف مفتاح إسم الله ، واللام مفتاح إسمه لطيف ، والميم مفتاح إسمه مجيد . وروى إبن الضحى عن إبن عباس في قوله : « الم » قال : أنا الله أعلم ، « ألر » أنا الله أرى ، « المص » أنا الله أفصل ، فالألف تؤدي عن معنى أنا ، واللام تؤدي عن اسم الله ، والميم تؤدي عن معنى أعلم واختار هذا القول الزجاج وقال : أذهب إلى أن كل حرف منها يؤدي عن معنى وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة نظماً لها ، ووضعا بدل الكلمات التي الحروف منها ، كقوله : ﴿ **فقلت لها قفي فقالت قاف** ﴾ أراد : قالت : وقفت ، وقال زهير :

بالْخَيْرِ خَيْراتٍ وإنْ شَرّاً فَا وَلاَ أُرِيدُ الشَّرَّ إلاَّ أَنْ تَا

---

١ ـ مقال بجريدة القبس التي تصدر بالكويت عدد رقم ٣٤٩٠ بتاريخ ١٩/ ١/ ٨٢ بقلم د . رشاد خليفة واعتمد في ذلك بأن كل حرف من الفواتح له عدد من السنين وذلك مع حذف الحروف المتكررة .

أراد : وإنْ شراً فشرٌ . وأراد : إلا أن تَشَاء[1] .

وروى أنها أسماء ، وهو قول أكثر المتكلمين ، واختاره الخليل وسيبويه كما سموا بلام والد حارثة ابن لام الطائي ، وكقولهم للنحاس صاد وللسحاب عين ، وللجبل قاف ، وللحوت نون ، وسيعود تمام الكلام في هذا القول »[2] .

وقال الزمخشري : « قيل إنها أسماء ، كما يقال : واحد ، إثنان ، ثلاثة . . . الخ

وقال : ألا ترى أن هذه الحروف أسماء لِمَا يلفظ بها »[3] .

وقيل هي أسماء للسور وأسماء القرآن ، كالفرقان والذكر »[4] .

خامساً : بعض المعاني الخاصة :

نلحظ أن العلماء قد ذكروا مجموعة من المعاني الخاصة قال أبو علي الطبرسي : « أنها أقسام أقسم الله تعالى بها وهي من أسمائه »[5] .

وقيل هي أسماء للسور القرآنية أو أسماء للقرآن عن قتادة[6] قال الزمخشري : « إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بها[7] ونقل الطبري ذلك قال : « وقال بعضهم : هو قسمٌ أقسم الله به ، وهو من أسمائه . ذكر من قال

١ ـ تفسير القرطبي ١/ ١٥٥
٢ ـ غرائب القرآن ١/ ١٣٥
٣ ـ الكشاف ١/ ١٩ ـ ٢١ بتصرف
٤ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ١/ ١٣٨ وتفسير الطبري ١/ ٢٠٦
٥ ـ مجمع البيان ١/ ٦٩ والمحرر الوجيز ١/ ١٣٨ وكتاب التسهيل ١/ ٣٥ والكشاف ١/ ٢٩
٦ ـ كتاب التسهيل لابن الكلبي ١/ ٦٩ وتفسير القرآن لشبر ص ٤ ومجمع البيان ١/ ٦٩ وتفسير الطبري ١/ ٢٠٦
٧ ـ الكشاف ١/ ٢٩

ذلك : « حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : حدثنا عبد الله بن صالح ، قال حدثني معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قال : هو قَسَمٌ أقسم الله به وهو من أسماء الله » .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال : حدثنا إبن عُليّة قال : حدثنا خالد الحذاء عن عكرمة قال : « ألم » قسم[1] .

قال الفراء : « يقال أنها أُوحَيَتْ إلى كل بني كَماَ أوحيت إلى محمد صلى الله عليه وسلم »[2] .

وقال في موضع ثان بأنها حروف للقسم : حول قوله تعالى : « ق والقرآن المجيد » .

قال الفراء : « فيها المعنى الذي أقسم به ذكر أنها قضى والله كما قيل في حُمٌ : قضي والله ن ، وحُمٌ والله أي قضي ، وقيل إن قاف جبل محيط بالأرض فإن يكن كذلك فكأنه في موضع رفع أي هو قاف والله[3] وذهب بعض العلماء المحدثين إلى ذلك .

وقال في قوله تعالى : « الر ـ تلك آيات الكتاب الحكيم » فأقسم بهذه الحروف أن ما أنزله هو آيات الكتاب الحكيم »[4] وذكر السيوطي كثيراً من المعاني لفواتح الحروف[5] .

---

١ ـ تفسير الطبري ١/ ٢٠٦ ، ٢٠٧

٢ ـ معاني القرآن ٣/ ٢١

٣ ـ معاني القرآن ٣/ ٧٥

٤ ـ النظم الفني في القرآن ص ١٣٧

٥ ـ انظر الإتقان ج ٢ / ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ، وص ١٧ وانظر مباحث في علوم القرآن ص ٢٣٤ وما بعدها .

قبل أن نشير إلى رأينا حول هذا الموضوع نحب أن نشير إلى رأي العلماء رأي القاضي إبن العربي خاصة .

قال القاضي أبو بكر بن العربي في فوائد رحلته : « ومن الباطن عُلم الحروف المقطعة في أوائل السور . فقد تحصل لي فيها عشرون قولاً وأزيد ، ولا أعرف واحداً يحكم فيها بعلم ، ولا يصل فيها إلى فهم » .

والذي أقول إنه لو « أن العرب كانوا يعرفون أن لها مدلولاً متداولاً بينهم لكانوا أول من أنكر ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ، بل تلا عليهم حم ، فصلت ، وص وغيرهما فلم ينكروا ذلك بل صرحوا له بالتسليم له في البلاغة والفصاحة مع تشوقهم إلى عثرة ، وحرصهم على زلة فدلَّ على أنه كان أمراً معروفاً عندهم لا إنكار فيه »[1] عندما نقف مع القول السابق نلحظ أن ابن العربي بنى رأيه على إحتمال ظني والواقع أن الذي سحر العرب ليس وقفاً على فواتح السور فحسب بل يشمل الأسلوب القرآني كافةً فمثلاً . لَوْ كانت « ألف » « لام » « م » منفردة وكهيعص كذلك وحم لا يمكن للعرب البلغاء فهمها أو الأخذ بها غير أنها جاءت كاملة البناء مع ما يتبعها من الآيات هذا من جهة ، ومن جهة أخرى لو كان العرب على علم بها لأخبرنا الصحابة عنها وإلا كيف نعلل تعدد الأقوال فيها بينما نرى جميع الآيات القرآنية جاءت مُفَسَّرةً واضحة البيان للقاصي والداني . . .

قال السيوطي : « قال الإمام الرازي في سورة البقرة من تفكر في لطائف هذه السورة وفي بدائع ترتيبها على أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً بسبب ترتيبه ونظم آياته ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك[1] .

---

١ ـ معترك الإقران ١/ ١٥٦

٢ ـ معترك الإقران ١/ ٥٦

قال إبن تيمية : « يجب أن يُعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم بين لأصحابه معاني القرآن كما بينّ لهم ألفاظه .

فقوله تعالى : « لتبين للنّاس ما نُزِّلَ إليهم » يتناول هذا وهذا ، وقد قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي : « حدثنا الذين يقرؤوننا القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما : أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي صلى الله عليه وسلم عشر آيات ، لم يجاوزها حتى يتعلموا ما فيها من العلم والعمل ، قالوا : فتعلمنا القرآن والعلم والعمل جميعاً »[1] .

روى عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت : « ما كان رسول الله عليه السلام يفسر من كتاب الله إلاَّ آياتٍ بِعَدَدٍ علّمه إياهن جبريل »[2] .

وعن الرسول عليه السلام قال : « لا أخافُ على أمتي إلا ثلاث خلال : أن يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتلوا ، وأن يفتح لهم الكتاب فيأخذه المؤمن يبتغي تأويله ، وما يعلم تأويله إلا الله .

وأخرج الدراسي عن عمر بن الخطاب ـ أنه قال : إنه سيأتيكم ناس يجادلونكم بمشتبهات القرآن فخذوهم بالسُّنن فإن أصحاب السُّننِ أعلَم بكتاب الله »[3] .

وعقب السيوطي على ما سبق « فهذه الآثار تدل على أن المتشابه مما لا يعلمه إلا الله وإن الخوض فيه مَذْموم[4] .

وعندما نقف مع الأقوال السابقة يتضح لنا أن الفواتح القرآنية هي سر من أسرار الخالق عز وجل لا يعلمها إلاّ وحده وهو علام الغيوب .

---

١ ـ مقدمة في أصول التفسير ص ٣٥ وما بعدها

٢ ـ المحرر الوجيز ١/ ٤٦ وينظر تفسير الطبري ١/ ٢٩ والبحر المحيط ١/ ١٣١ وتفسير ابن كثير ١/ ١٥

٣ ـ معترك الإقران ١/ ١٣٩

٤ ـ معترك الإقران ١/ ١٤١

الفصل الثالث

موقف البصريين والكوفيين من الفواتح القرآنية

ذهب النحاة عندما أرادوا إعراب الفواتح القرآنية إلى مذاهف متباينة والحقيقة أنهم كما يبدو لقارىء آرائهم ـ قد تاهوا وعصفت بهم الظنون ولم يصلوا في ذلك إلى حقيقة مرضية أو نتيجة معينة ، وجاءت معظم آرائهم ظنية قامت على الحدس والتخمين تارة والإفتراض تارة أخرى(١) وإن دَلَّ ذلك على شيء إنما يدل على إعجاز النحاة أمام الفواتح القرآنية الخالدة .

ونود أنْ نبين أنَّ الإعراب في جَوهره ما هو إلا فرع للمعنى لأن الفواتح هي سر من أسرار الله عز وجل جعلها في قرآنه الخالد وإن الغرض الأساسي من دراسة النحو منذ فجر الإسلام كان هدفه قراءة القرآن قراءةً صحيحةً بعيدة عن اللحن والخطأ وقد تحدث أحد العلماء عن أغراض النحو فقال : للنحو غرضان : أدنى ، وأعلى . .

فالأدنى أن تعرف صواب اللفظ من خطأه ، ونقف عند الصواب وحسنه ، ونرجع عن الخطأ وقيمه .

---

١ ـ ينظر في هذا الشأن : الكتاب ٢/ ٣٠ ، ٣١ والمقتضب ٤/ ٤٠ معاني القرآن ٢/ ١٤٧ ٣٩٦ ، ٣٩٧ للفراء ومعاني القرآن للأخفش ١/ ١١٩ وما بعدها ، إعراب القرآن للنحاسي ورقة ١ و٥٠ ، و٥١ وتفسير الطبري ١/ ٢١٦ ومجمع البيان ١/ ٧٧ والتسهيل ١/ ٣٥ ، والكشاف ١/ ٢٠٩ والبحر المحيط وتفسير أبي السعود ١/ ١٤١ .

الغرض الأعلى : هو أن نفهم كلام الله تعالى ومراده ـ وكلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فوائده ونطلع على شرف هذه اللغة ومعالم بلاغتها ومحاسن فصاحتها »[1] .

وتحدث بعض العلماء عن الإعراب وعلاقته بالمعنى قال : ولا تنظر إلى ظاهر الإعراب وتغفل المعنى الذي يقع عليه الأمر لتكون قد ميزت فيما تجيزه أو تمتنع عنه ، صواب الكلام من خطئه فإن صناعة النحو مبنية على تمييز صواب الكلام من خطئه على مذاهب العرب بطريق القياس الصحيح »[2] .

وقال إبن هشام : « وأول واجب على المعرب أن يفهم معنى ما يعربه مفرداً أو مركباً ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور على القول بأنها من المتشابه الذي استأثر الله تعالى بعمله »[3] .

وعندما نقف مع القولين السابقين نلحظ أن الإعراب فرع للمعنى ولذلك يجب على المعرب أن يراعي المعنى في إعرابه .

ونحب في هذا الشأن أن نقدم عرضاً لأراء العلماء في إعراب الفواتح القرآنية ، وكيف وقفوا عاجزين مترددين في أحكامهم فمنهم من ذهب إلى أن الفواتح تعرب مبتدأ وذهب آخرون إلى أنها خبر وغيرهم على أنها مفاعيل لأفعال محذوفة أو حروف للقسم أو الحكاية وغير ذلك من آراء مضطربة .

ونحب أن نقف مع بعض شيوخهم لنبين آراءهم :

---

١ ـ كتاب المقدمة وشرحها لابن باشاد مخطوط ورقة ٤
٢ ـ الرماني النحوي ص ٢٤٩ وينظر الإتقان ١/ ٢٣٨ ، ٢٣٩
٣ ـ مغنى اللبيب ٢/ ٥٨٢

أولاً : شيوخ المدرسة البصرية :

لا يختلف أحدٌ على أن الخليل بن أحمد وتلميذه سيبويه من أبرز علماء النحو في المدرسة البصرية ، وقد اضطرب سيبويه ومن نقل عنهم في إعراب فواتح السور الكريمة وقد تحدث عن الفواتح في باب مستقل سماه « باب فواتح السور » فقال : « أما » « حَمَ » فلا ينصرف جعلته إسماً للسورة أو أضفته إليه ، لأنهم أنزلوه بمنزلة اسم أعجمي نحو : هابيل وقابيل وقال الشاعر : وهو الكميت :

وَجَدْنَا لَكُمْ في آلِ حَامِيمَ آيَةً   تأَوَلَهَا مِنَّا تَقِيٌّ ومُعْرِبُ

وقال الحماني :

أوْ كُتُباً بُيِّنَّ مِن حَامِيمَا   قَد عَلِمَتْ أَبْنَاءُ إبرَاهِيما[1]

ثم غير رأيه وقال : « وإن أردت في هذا الحكاية تركته وقفاً على حاله .

وذكر بعد ذلك « وقد قرأ بعضهم = ياسين والقرآن ، بفتح النون من ياسين وقافَ والقرآن » بفتح القاف (١ ـ ٢ سورة قاف » فمن قال هذا فكأنه جعله إسماً أعجمياً ثم قال : أذكر ياسين » ونلحظ في ذلك الإضطراب في أقوال سيبويه .

أما « ص » فلا تحتاج إلى أن تجعله اسماً أعجمياً لأن هذا البناء والوزن من كلامهم ولكنه يجوز أن يكون اسماً للسورة فلا تصرفه ويجوز أن يكون ياسين وصاد اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات ، نحو كَيْفَ وأَيْنَ وحَيْثُ أمْسِ »[2] .

١ ـ الكتاب ٢/ ٣٠ ط بولاق

٢ ـ الكتاب ٢/ ٣٠ بتصرف

وقال في موضع آخر : « وأجاز أنْ تكون بمنزلـة الأسماء المبنية وقـال : « ويجوز أيضاً أن يكون ياسين وصاد اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح ، كما ألزمت الأسماء غير المتمكنة الحركات ، نحو : كيف وأين وحيث وأمس [١].

نسب إبن خالويه فتح السين في قراءة ياسين إلى عيسى بن عمر ونسبها أبو حيان إلى إبن أبي إسحاق [٢].

وقال في موضع آخر : « وأما » « طسم » فإن جعلتهن اسماً لم يكن بُدّ من أن تحرك النون ، وتصير ميماً ، كأنك وصلتها إلى طاسين فجعلتها اسماً واحـداً بمنزلة دَرَابَ جَرْدَ » وبَعْلَ بَكٌّ » وإن شئت حكيت وتركت السواكن على حالها » وأما « كهيعص » و« آلمر » فلا يكن إلا الحكاية وإن جعلتها بمنزلة « طاسين ـ لم يجز لأنهم لم يجعلوا طاسين . كحضرموت ولكنهم جعلوها بمنزلة هابيل وقابيل وهارون » [٣].

يتضح من هذا العرض أن سيبويه يرى أنها مفاعيل لأفعال محذوفة وذلك عندما قال : « أذكر ياسين أو يرى أنها تعرب على الحكاية وقد نقل رأي سيبويه والخليل أبو جعفر النحاس . قال مذهب سيبويه في « ألم » وما أشبهها أنها لم تعرب وأنها بمنزلة حروف التهجي ، فهي محكية فلو أعربت ذهب معنى الحكاية [٤].

أما المبرد البصري فلم يفصح عنها إذ اكتفى بهذا القول : « وأما فواتـح السور فعلى الوقف لأنها حروف متقطعة فعلى هذا تقـول : « ألـم ذلك » حَمَ

---

١ ـ الكتاب ٢/ ٣٠ ، وانظر ٢/ ٣١ ، ٣٢ إعراب « كهيعص » على الحكاية
٢ ـ البحر المحيط ٧/ ٣٢٢ وفهرس شواهد سيبويه ص ٤ .
٣ ـ الكتاب ٢/ ٣١
٤ ـ إعراب القرآن ورقة ١ للنحاس

والكتاب ، لأن حَقّ الحروف في التهجي التقطيع »[1] .

ثانياً : موقف الكوفيين

أما نحاة الكوفة فقد تباينوا في إعراب الفواتح القرآنية كما فعل أسلافهم من البصريين ولم يذكر الرواة للكسائي أراءً حول الفواتح غير ما أورده أبو جعفر النحاس قال الكسائي : « حروف التهجي إذا لقيتها ألف وصل فحذفت ألف الوصـل ، حركتهـا بحـركة الألف ، فقلـت : ألـم الله ، وآلـم اذكر والـم اقتربت[2] .

أما أبو جعفر الرؤاسي وهو من مؤسسي النحو الكوفي .

قال الفراء : « أبو جعفر الرؤاسي قرأ « ألم الله » بقطع الألف وبلغتي عن عاصم أنه قرأ بقطع الألف فهي قراءة يقـدرون فيهـا الـوقف ، كما يوقف على الأعداد » ويبدو من آراء العالمين الكوفيين السابقين أنهما أرادا القراءة »[3] .

وهذا أبو الحسن علي بن حمزة الكسائي يشرح رأيه في الفواتح القرآنية إذ نقل عنه الفراء قال : « وقـد قال الكسائـي : « رُفِعَـتْ (كتـاب أنـزل إليك » وأشباهه من المرفوع بعد الهجاء بإضمار (هذا) أو ذلك ، وهو وجه فكأنه إذا أضمر « هذا » أو ذلك أضمر لحروف الهجاء ما يرفعها قبلها لأنها لا تكون إلا ولها موضع .

قال : أفرأيت ما جاء منها ليس بعده ما يرافعه ، مثل قوله : حَم . عَسَق

---

١ ـ المقتضب ٣/ ٣٥٥ ، ٣٥٦ ومعاني القرآن للأخفش الأوسط ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ . قال : « إن قومه قد نصبوا « يس » وطه وحم وهو كثير ـ في كلام العرب وذلك أنهم جعلوها أسماء كالأسماء الأعجمية .

٢ ـ معاني القرآن ١/ ٩ هامش الكتاب

٣ ـ معاني القرآن ١/ ٩

ويسَ ،وق ، وصَ ، مما يقل أو يكثر ما موضعه ، إذ لم يكن بعده مرافع ؟ قلت قبله ضمير يرفعه ، بمنزلة قول الله تبارك وتعالى : (براءةٌ مِن الله ورَسُولِه) المعنى والله أعلم : هذه براءة من الله وكذلك (سورة أنزلناه) وكذلك كُلُّ حَرْفٍ مرفوع مع القول مما ترى معه ما يرفعه ، فقبله اسم مضمر يرفعه ، مثل قوله : (ولا تقولوا ثلاثة انتهوا) المعنى والله أعلى لا تقولوا هُم ثلاثة ، يعني الآلهة وكذلك قوله : « سَيَقُولُونَ ثَلاثَةٌ رَابِعُهُم » المعنى والله أعلم سيقولون هم ثلاثة »[1] أما الذي تعرض لأعراب الفواتح بشيءٍ من التفصيل[2] فهو الفراء الذي يعتبر أبرزَ عالم من علمائهم وإليك عرضاً موجزاً لآرائه . يريد الكسائي بأنها أخبار لمبتدأ محذوف طبقاً لتقدير المعرب .

قال الفراء : « الهجاء موقوف في كل القرآن ثم ذكر رأي أبي جعفر الرؤاسي في طريقة قراءته لـ « ألم » قال : « أبو جعفر الرؤاسي قرأ « ألم » الله بقطع الألف وبلغني عن عاصم أنه قرأ بقطع الألف ، فهي قراءة يقدرون فيها الوقف كما يوقف على الأعداد واحد إثنان ثلاثة . . الخ[3] .

وذكر الأنباري أن الفراء أجاز أن يكون « ألم » مبتدأ أو « ذلك » خبره[4] وفي فاتحة سورة مريم « كهيعص » قال الفراء : « الذكر مرفوع بـ « كهيعص » وإن شئتَ : أضمرتَ : هذا ذكر رحمة ربك وفي فاتحة سورة هود قال حول قوله تعالى : « الر » كتاب أحكمتْ آيَاتُهُ » رفعت الكتاب بالهجاء الذي قبله كأنك قلت حروف الهجاء هذا القرآن ، وقال : وإن شئت أضمرت له ما يرفعه كأنك قلت : « الر هذا الكتاب »[5] .

---

١ ـ معاني القرآن ١/ ٣٦٩ ، ٣٧٠
٢ ـ نعني به التفصيل النسبي قياساً للأوائل من نحاة الكوفة
٣ ـ معاني القرآن ١/ ٩ بتصرف
٤ ـ البيان في إعراب غريب القرآن ١/ ٤٣
٥ ـ معاني القرآن ٢/ ٣ بتصرف

وروى النحاس أنها لم تعرب لأنك لم ترد أن تخبر عنها بشيء »[1] وفي سورة (طه) قال : « طه حرف هجاء ، وقد جاء في التفسير طه يا رجل يا إنسان حدثنا »[2] .

وفي سورة « يس » قال الفراءُ « عن شيخ من الكوفة » « يس » يا رجل وقد سمعت من العرب من ينصبها فيقول : « ياسينَ والقرآن الحكيم » مثل لَيْتَ ولَعَلَّ[3] .

وفي سورة (ص) قال الفراء : وص في معناها كقولك (ب) وَجَبَ واللهِ وَنَزَلَ وَاللهِ وَحَقَّ واللهِ فهي جوابٌ بقولة والقرآن »[4] كما أننا لم نجد لثعلب الكوفي آرءًا حول الفواتح فيما وقع لدينا من كتب النحاة[5] .

---

1 - إعراب القرآن للنحاس مخطوط روته ٢

٢ - معاني القرآن ٢/ ١٧٤

٣ - معاني القرآن ١/ ٣٧١

٤ - معاني القرآن ٢/ ٣٩٦ ، ٣٩٧

٥ - أنظر مجالس ثعلب قسم الفهارس ٢/ ٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٢ ، ٧١٣ ، ٧١٤ ، ٧١٥ .

الفَصل الرّابع

نحَاة مُتأخّرُون

نحب في هذا الشأن أن نقدم بعض الآراء التي قيلت في الفواتح القرآنية لنحاة بغداديين وأندلسيين ومصريين ونحب أن نبين أن بعض النحاة قد أفردوا كتباً لإعراب القرآن .

ومن هؤلاء العلماء الذين كتبوا عن إعراب القرآن أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٦ في كتابه « مشكل إعراب القرآن » قال مكي : « حول فاتحة سورة البقرة » « ألم » أحرف مقطعة محكية لا تعرب ، إلا أن تخبر عنها أو تعطف بعضها على بعض ، فتقول : هذا ألف ، وألفك حسنة ، وفي الكتاب ألف ولام وميم وعين . وموضع « ألم » نصب على معنى إقرأ « ألم » ويجوز أن يكون موضعها رفعاً على معنى = هذا ألم . . أو ذلك أو هو . . . ويجوز أن يكون موضعها خفضاً على قول جعله قسماً »[1] .

وهذا عبد الرحمن بن محمد الأنباري المتوفى ٥٧٧ هـ الذي خصص كتاباً في إعراب غريب القرآن أسماه « البيان في غريب إعراب القرآن » .

قال حول قوله تعالى (وألم ـ البقرة ١) أحرف مقطعة مبنية غير معربة وكذلك سائر حروف الهجاء في أوائل السور .

---

١ ـ مشكل إعراب القرآن ١/ ٧٣

وقد تعرب ، إلاّ أن يخبر بها أو عنها أو تعطف بعضها على بعض ، فالأخبار بها نحو ، أن تقول : هذه ألفٌ ، والإخبار عنها نحو أن تقول : الألف حسنةٌ ، والعطف نحو أن نقول في الكتاب ألف ولام وموضعها من الإعراب نصب ، بفعل مقدر وتقديره : « إقرأ ألم » ويجوز أن يكون رفعاً على تقدير مبتدأ ، والتقدير (هذا ألم)[1]

وهذا أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبري المتوفى ٦١٦ هـ الذي ألف كتاباً في وجوه الإعراب والقراءات سمّاه « إملاء ما من به الرحمن يقول في الفواتح « ألم » هذه الحروف المقطعة كل واحد منها اسم ، فألف اسم يعبر به عن مثل الحرف الذي في « قال » ولام يعبر بها عن الحرف الأخير من قال : « وكذلك ما أشبهها ، والدليل على أنها أسماء أنَّ كلاً منها يدل على معنى في نفسه وهي مبنية لأنك لا تريد أن تخبر عنها بشيء وإنما يحكي بها ألفاظ الحروف التي أعلت أسماء لها فهي كالأصوات نحو غاق في حكاية صوت الغراب أما الإعراب فقال :

في موضع ألف لام ميم ثلاثة أوجه :

أحدهما : الجر على القسم وحرف القسم محذوف وبقي عمله بعد الحذف لأنه مراد ، فهو كالملفوظ به كما قالوا : « الله ليفعلن في لغة من جر »

والثاني موضعها النصب ، وفيه وجهان :

أحدهما هو على تقدير حذف القسم كما تقول : الله لأفعلن والناصب فعل محذوف تقديره « التزمتُ الله ، أي اليمين به »

والثالث : هي مفعول به تقديره اتل (ألم)

---

١ ـ البيان في غريب إعراب القرآن ١ / ٤٣ وأنظر رأيه في فاتحة آل عمران ١ / ١٨٩ إذ قال « الكلام على « الم » كالكلام على « الم » في البقرة إلا أنه فتحت الميم ها هنا لسكونها وسكون اللام بعدها .

والرابع : موضعها رفع بأنها مبتدأ وما بعدها خبر[1] .

ومن العلماء الذين اهتموا بالنحو إلى جانب التفسير العالم الجليل الزمخشري المتوفي ٥٣٨ هـ فقد حاول أن يتحدث عن الفواتح في كتابه الكشاف في أربع عشر صفحة[2] ناقلاً معظم آراء العلماء الذين سبقوه في تفسير الفواتح وإعرابها .

وقال في ذلك : « قيل إنها أسماء كما يقال واحد إثنان ثلاثة ، وقال ألا ترى أنّ هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها »

واختلفوا فيها أهي معربة أم مبنية وقيل أن سكونها على الوقف »[3] وقال وقيل للقسم إن القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما »[4] وتساءل = هل لهذه الفواتح محل من الإعراب ؟

قلت نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لأنها عنده كسائر الأسماء الإعلام »

فإن قلت ما محلها ؟ قلت : يحتمل الأوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الإبتداء وأما النصب والجر ، فلما مَرَّ من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين »[5]

وكذلك الحال العالم الأندلسي أبو حيان الذي اهتم بالنحو إلى حد كبير وذلك بجانب التفسير إذ يقول : « وهذه الحروف أوردت مفردة من غير عامل ولا

---

١ ـ إملاء ما من به الرحمن ١/ ١٠ بتصرف وانظر فاتحة آل عمران ١/ ١٢٢ والرعد ٢/ ٦٠ ومريم ٢/ ١١٠ .

٢ ـ الكشاف ١/ من ص ١٩ ، إلى ص ٣٣

٣ ـ الكشاف ١/ ١ / ١٩ ، ٢٠

٤ ـ الكشاف ١/ ٢٩

٥ ـ الكشاف ١/ ٣١

عطف فاقتضت أن تكون مسكنة كأسماء الأعداد إذا وردت من غير عامل ولا عطف فلا محل لها من الإعراب[1] .

ولكنه قال في هامش الكتاب و« آلم » خبر لمبتدأ محذوف .

وقال في موضع ثان[2] « وهكذا تكون عادتنا في إعراب القرآن لا نسلك فيه إلا الحمل على أحسن الوجوه وأبعدها من التكلف وأسوغها في لسان العرب ولسنا كمن جعل كلام الله تعالى كشعر امرىء القيس وشعر الأعشى يحمله جميع ما يحتمله اللفظ من وجوه الإحتمالات فكما أن كلام الله من أفصح كلام فكذلك ينبغي إعرابه أن يحمل على أفصح الوجوه »[3] .

وفي فاتحة سورة يونس (الر) قال : قيل إشارة إلى الراء وأخواتها من حروف المعجم وقيل إشارة إلى الكتاب المحكم »[4] .

وفي سورة الرعد أشار إلى أنه تحدث عن الفواتح في سورة البقرة وقال في هذا الشأن « ذكرت في البحر المحيط وتقدم الكلام في الحروف المقطعة في أوائل السور في أول سورة البقرة فليطالع هناك . ومن المفسرين الذين تعرضوا لإعراب بعض الكلمات في قرآننا الكريم صاحب تفسير أبي السعود إذ احتار في الأمر كما يبدو من قوله ، قال : « ألم خبر لمبتدأ محذوف وقيل ولكن الذي عليه التعويل إما كونها أسماء للسور المصدرة بها وعليه إجماع الأكثر وإليه ذهب الخليل وسيبويه[5] قالوا : سميت بها إيذاناً بأنها كلمات عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الألفاظ فيكون فيها إيماء إلى الإعجاز والتحدي على سبيل الإيقاظ »[6] .

---

١ ـ البحر المحيط ١/ ٣٦
٢ ـ البحر المحيط ١/ ٣٦ الهامش بتصرف
٣ ـ البحر المحيط ١/ ٣٦
٤ ـ البحر المحيط ٥/ ١١٥ ـ ١٢٢ بتصرف ط الرياض
٥ ـ البحر المحيط ٥/ ٣٥٦ وما بعدها
٦ ـ تفسير أبي السعود ١/ ١٥

ويتضح من قوله « قيل وقيل » الحيرة والتردد هي الغالبة[1] وروى أبو بكر الأنباري أن « الم » « مبتدأ » أما صاحب كتاب التسهيل[2] فقد قال : « وإعراب هذه الحروف يختلف باختلاف معناها فيجوز أن تكون في موضع رفع أو نصب أو خفض .

الرفع مبتدأ أو خبر

النصب مفعول به لفعل مضمر

الخفض على قول من جعلها مقسماً بها[3] .

ومن العلماء الذين تعرضوا في دراستهم للغة والإعراب في أثناء تفسيرهم للقرآن الكريم أبو علي الطبرسي الذي قال : « أما موضع « وألم) ألف لام ميم من الإعراب فمختلف على حسب إختلاف هذه المذاهب أما على مذهب الحسن فموضعها رفع على إضمار مبتدأ محذوف كأنه قال هذه « ألم » .

وأجاز الرماني أن يكون « ألم » مبتدأ وذلك الكتاب خبره ، وأما على مذهب من جعلها قسماً فموضعها النصب بإضمار فعل لأنَّ حرف القسم إذا حذفت يصل الفعل إلى المقسم به فينصبه .

وأما على مذهب من جعل هذه الحروف اختصاراً من كلام أو حروفاً مقطعة فلا موضع لها من الإعراب[4] .

وقبل أن ينتهي بنا المطاف حول الظاهرة الإعجازية في فواتح السور القرآنية

---

١ ـ تفسير أبي السعود ١/ ١٧

٢ ـ كتاب إيضاح الوقف والإبتداء ٤/ ٤٤

٣ ـ كتاب التسهيل ١/ ٣٥ وغرائب القرآن ١/ ١٣٣ وما بعدها وتفسير البيضاوي ١/ ٩ ، ١٠ وما بعدهما وتفسير القرطبي ١/ ١٥٤

٤ ـ صحيح البيان ١/ ٣٤ بتصرف

نحب أن نقرر أن النحاة قد اختلفوا في بعض الآيات القرآنية من حيث الإعراب ولكنهم كانوا يفهمون معنى تلك الآيات الكريمة[1] فهماً دقيقاً ، لا جدال فيه في أغلب الأحيان .

أمّا فواتح السور فإنّ النحاة لم يقدموا دليلاً مادياً واحداً على فهمها لأن معظم الأقوال التي رويت في معانيها عن الثقات من العلماء والصحابة كادت تتفق على أنها سر من أسرار الله عز وجل ومعظم آراء النحاة ظنية ، وبينت في كثير من المسائل التي أشرت إليها ، أن النحاة تاهت بصائرهم وترددوا كثيراً في أقوالهم وقد اعترف كثيرٌ من العلماء بهذه الحقيقة ، وقد بينت ذلك بوضوح لا لبس فيه في الفصول السابقة .

وقد قرر ذلك السيوطي عندما قال : « ومن المتشابه في أوائل السور والمختار فيها أنها أيضاً من الأسرار التي انفرد الله بعلمها وقد كثرت الأقوال فيها ومرجعها كلها إلى قول واحد »[2] .

وإن الآيات القرآنية معروفة لدى علماء التفسير وعن الرسول صلى الله عليه وسلم الذي كان يشرح للصحابة معاني القرآن الكريم ويحثهم على تعلمه إذ قال : « خيركم من تعلم القرآن وعلمه »[3] وإنني أذهب مع الكوفيين من النحاة الذين أكدوا أن الفواتح القرآنية التي جاءت في كتابنا الخالد وعددها تسع وعشرون سورة إنما هي آيات خالدة ستبقى سراً من أسرار هذا الكون الذي لم نعلم عنه إلا القليل القليل .

وتساءل أبو حيان النحوي : هل ألم آية ، نعم : قال الكوفيون : ألم

---

١ - انظر الإتقان مثلاً ج ١/ ٢٣٥ ، ٢٣٦ وما بعدها

٢ - معترك الإقران ١/ ١٥٥

٣ - غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ٩

آية ، وكذلك هي آية في كل سورة ذكرت فيها ، وكذلك المص ، وطسم وأخواتها وطه ويس وحم وأخواتها إلا حمق فإنها آيتان وكهيعص آية وآلر وأخواتها فليست بآية وكذلك طس وص و« ق » و« ن » والقلم و« ق » و« ص » حروف دل كل حرف منها على كلمة وجعلوا الكلمة آية .

قال البصريون وغيرهم ليس شيءٌ من ذلك آية »[1]

رُوِيَ أن أقسام التفسير في قرآننا الكريم يأتي على أربعة أوجه قال السيوطي : « والتفسير على أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعرفه أحد بجهالته وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله » .

وفواتح السور من القسم الرابع الذي لا يعلم تأويله إلا الله عز وجل وقد اتضح ذلك جليا في أثناء عرضنا لهذه الدراسة في ظلٍّ كتابنا الخالد وقد قال أحد العلماء[2] بحور العلم عند الله فأعطى الرسل منها أودية ثم أعطى الرسل من أوديتهم أنهارا إلى العلماء ثم أعطى العلماء إلى العامة جداول صغارا على قدر طاقتهم ، ثم أجرت العامة سواقي إلى أهاليهم بقدر طاقتهم » وتأيدا لذلك قوله تعالى مخاطبا البشر كافة « وما أُتيتم من العلم إلا قليلاَ »[3] .

سبحانك اللهم خالق هذا الكون الفسيح ، ونحن نعترف أمام الله العظيم بأن هذه محاولة لإيضاح ما تبين لي من أسرار الإعجاز النحوي في قرآننا الكريم ، وسيبقى هذا الكتاب الخالد معجزاً للأنس والجن معاً ولكل من دب على هذه الأرض الغانية حتى يرث الله هذه الأرض ومن عليها .

ولذلك نقرر ما قاله السيوطي : « ليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله

---

١ ـ البحر المحيط ١/ ٣٥

٢ ـ معترك الإقران ١/ ١٣٢

٣ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان ١/ ٩ وما بعدها

في كتابه فلذلك حارث العقول وتاهت البصائر عنده »[1] .

ونرجوا الله الكريم أن نكون قد وفقنا في إنجاز جانب من الجوانب المضيئة . . . في . . . كتابنا الخالد القرآن الكريم ، الذي أخرجنا من الظلمات إلى النور وجعلنا أمةً إسلاميةً رائدة خيرَ أمةٍ أُخرِجَتْ للنَّاسِ ، تأمرُ بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله العظيم ، وأسأل الله التجاوز عن الزلة بحسن النية فيما دللت عليه .

وأقول كما قال السيوطي : « مع أني لست من فرسان هذا الميدان ولا ممن يجول في هذا الشأن ولكن تطفلت على المتقدمين ، رجاءً أن يضمن جميل الإحتمال معهم ويسعني منه حسن التجاوز ما وسعهم »[2] .

وبعد ، اعترف أن عمل الإنسان معرض للخطأ والنسيان وإنَّ الكمالَ لله وحده عز وجل ، وأسأله عز وجل أن يوفقنا لما فيه خير أُمتنا الإسلامية الخالدة ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه تعالى وينفع المسلمين كافة إنه هو السميع المجيب

فتحي الدجني

---

١ ـ معترك الإقران ١/ ١١
٢ ـ معترك الإقران ١/ ١١

مَراجِع البَحْث

أولاً ـ المخطوطات

١ ـ إعراب القرآن لأبي جعفر النحاس : دار الكتب المصرية رقم ٤٨ تفسير

٢ ـ التقريب في النحو لأبي حيان الغرناطي نحو تيمور دار الكتب المصرية رقم ١٩

٣ ـ رسالة في الحروف المقطعات في أوائل السور القرآنية مخطوط ميكروفيلم الكويت ـ رقم ٢٨٨ ك ٤ جامعة الكويت

٤ ـ كتاب الإنتصار لابن ولاد دار الكتب المصرية نحو رقم ٧٠٥

٥ ـ كتاب الجمل للزجاجي دار الكتب المصرية رقم ٦٧ نحو

٦ ـ كتاب المقدمة وشرحها في علم العربية لابن بابشاد دار الكتب المصرية نحو رقم ٦٨

٧ ـ كشف المشكل في النحو والتصريف لأبي حسن اليمني الملقب بحيدرة نحو تيمور دار الكتب المصرية رقم ٥٦٢

ثانياً : المطبوعات

٨ ـ أبو الأسود الدؤلي ونشأة النحو العربي د . فتحي الدجني وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٤

٩ ـ الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ٧ (٤) الحلبي مصر ١٩٧٨
١٠ ـ أثر القرآن والقراءات في النحو العربي د . سمير اللبدي ط ١ الكويت دار الكتب الثقافية .
١١ ـ أحكام القرآن للإمام أبي عبد الله الشافعي ط (١) الحلبي مصبر ١٩٥١
١٢ ـ أحكام القرآن لأبي بكر بن العربي تحقيق علي البيجاوي ١٩٥٨ مصر
١٣ ـ إحياء علوم الدين للإمام الغزالي ط الحلبي مصر
١٤ ـ أخبار النحويين البصريين للسيرافي تحقيق د . عبد المنعم خفاجه وآخر ط الحلبي .
١٥ ـ أساس البلاغة للزمخشري ط دار صادر بيروت ١٩٦٥
١٦ ـ أسباب النزول لأبي الحسن الواحدي النيسابوري ط بيروت ١٩٧٥
٩٧ ـ أسد الغابة في تمييز الصحابة لابن الأثير ط طهران ١٢٨٥ هـ
١٨ ـ الإسلام عقيدة وشريعة للإمام محمود شلتوت ط (٥) دار الشروق بيروت
١٩ ـ الأشباه والنظائر للسيوطي ط (٢) حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ
٢٠ ـ الاعجاز البياني للقرآن د . عائشة عبد الرحمن دار المعارف ١٩٧١ م
٢١ ـ إعجاز القرآن « الإعجاز في دراسات السابقين عبد الكريم الخطيب دار الفكر ١٩٧٤
٢٢ ـ إعجاز القرآن للباقلاني تحقيق السيد أحمد صقر دار المعارف مصر ١٩٦٢
٢٣ ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية مصطفى صادق الرافعي ط (٨) مصر ١٩٦٥
٢٤ ـ إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم لابن خالويه (ط) حيدر أباد الدكن ١٣٥٩ هـ
٢٥ ـ الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني ط مكتبة الحياة بيروت .
٢٦ ـ الامالي لأبي علي القالي ط (٢) دار الكتب المصرية ١٩٢٦

٢٧ ـ الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان ط لجنة التأليف والنشر ١٩٥٤ مصر
٢٨ ـ إملاء ما من به الرحمن للعكبري تحقيق إبراهيم عطوه ط الحلبي ١٩٦١
٢٩ ـ إنباء الرواة على أنباه النحاة للقفطي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم
٣٠ ـ أوضح المسالك لابن هشام تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ط(٥) ١٩٦٦
٣١ ـ الإيضاح في علل النحو للزجاجي تحقيق د . مازن المبارك دار العروبة مصر ١٩٦٩
٣٢ ـ إيضاح الوقف والإبتداء للأنباري (أبي بكر) تحقيق محي الدين رمضان ١٩٧١
٣٣ ـ الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن د . عبد الرؤوف مخلوف دار الحياة بيروت ١٩٧٨
٣٤ ـ البحر المحيط لأبي حيان ط النصر الحديث المملكة العربية السعودية الرياض
٣٥ ـ البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني تحقيق د . أحمد مطلوب وخديجة الحديثي
٣٦ ـ البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق محمد أبو الفضل ط الحلبي ١٩٥٧
٣٧ ـ بيان إعجاز القرآن للخطابي (ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن) ط دار المعارف مصر
٣٨ ـ البيان في غريب إعراب القرآن أبو البركات الأنباري تحقيق مصطفى السقا وآخر ١٩٦٩
٣٩ ـ البيان والتبيين للجاحظ تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون الخانجي مصر ١٩٦٨
٤٠ ـ تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر الحلبي ١٩٥٤

٤١ ـ تاج العروس الزبيدي ط الكويت وزارة الإعلام
٤٢ ـ تجديد صحاح الجوهري تصنيف نديم مرعشلي وأسامه مرعشلي دار الحضارة بيروت ١٩٧٤
٤٣ ـ تسهيل الفوائد لابن مالك تحقيق محمد كامل بركات وزارة الثقافة مصر ١٩٦٨
٤٤ ـ تفسير ابن كثير والبغوي ط المنار ٩٣٤٧ هـ .
٤٥ ـ تفسير أبي السعود « إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ط صبيح مصر .
٤٦ ـ تفسير الألوسي « روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني » ط المنيرية .
٤٧ ـ التفسير البياني للقرآن الكريم د . عائشة عبد الرحمن دار المعارف ١٩٦٦ مصر
٤٨ ـ تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل) ناصر الدين البيضاوي الحلبي
٤٩ ـ تفسير الخازن « ألباب التأويل في معاني التنزيل » علاء الدين الخازن ط الحلبي
٥٠ ـ تفسير الثعالبي « جواهر الحسان في تنزيل القرآن » ط بيروت الأعلمي
٥١ ـ تفسير الرازي « مفاتيح الغيب » ط الأزهر وط طهران
٥٢ ـ تفسير الطبري « جامع البيان في تفسير القرآن » ط بولاق ١٣٢٩
٥٣ ـ تفسير غريب القرآن لابن قتيبة تحقيق السيد أحمد صقر ط الحلبي مصر ١٩٥٨
٥٤ ـ تفسير القرآن الكريم « تفسير شبّر » الإمام عبد الله شبر ط(٢) القاهرة
٥٥ ـ تفسير القرطبي « الجامع لأحكام القرآن أبو عبد الله القرطبي ط دار الكتب ١٩٣٥

٥٦ ـ تفسير المراغي الشيخ أحمد المراغي ط الحلبي مصر ١٩٤٦
٥٧ ـ تفسير المنار ، السيد محمد رشيد رضا ط (٤) ١٩٧٣ مصر
٥٨ ـ تهذيب تاريخ ابن عساكر ط (١) دمشق ١٣٥١ هـ
٥٩ ـ تهذيب اللغة للأزهري سلسلة تراثنا مصر
٦٠ ـ التوطئة لأبي علي الشلوبيني . تحقيق د . يوسف أحمد المطوع دار التراث مصر
٦١ ـ الجمان في تشبيهات القرآن لابن ناقيا البغدادي تحقيق د . مصطفى الطحاوي ط مصر
٦٢ ـ الجملة الشرطية عند العرب أبو أوس إبراهيم الشمسان ط (١) مصر ١٩٨١
٦٣ ـ الجملة النحوية نشأة وتطوراً وإعراباً د . فتحي الدجني مكتبة الفلاح الكويت ١٩٧٨
٦٤ ـ الجنى الداني الحسن بن قاسم المرادي تحقيق د . فخر الدين قباوة وآخر ط حلب ١٩٧٣
٦٥ ـ جهود علماء النحو في القرن الثالث د . يوسف أحمد المطوع ط (١) الكويت ١٩٧٦
٦٦ ـ حاشية الخضري على شرح ابن عقيل ط (١) ١٩٤٠ م
٦٧ ـ حاشية الصبان دار إحياء الكتب العربية الحلبي بدون تاريخ
٦٨ ـ حاشية الأمير علي مغني اللبيب ط مصر
٦٩ ـ حاشية العطار الشيخ حسن العطار ط الحلبي مصر
٧٠ ـ الخصائص لابن جني ط دار الكتب المصرية وطبعة دار الهدى بيروت
٧١ ـ دائرة معارف القرن العشرين محمد فريد وجدي ط (٣) دار المعرفة بيروت ١٩٧٣
٧٢ ـ دلائل الإعجاز عبد القاهر الجرجاني دار المعرفة بيروت ١٩٧٨
٧٣ ـ ديوان جرير تقديم كرم البستاني ط . دار صادر بيروت ١٩٦٤

٧٤ ـ رسائل الجاحظ (حجج النبوة ط السندوبي مصر
٧٥ ـ رسالة السيوطي « التحفة البهية والطرفة الشهية ط القسطنطينية ١٣٢٠ هـ
٧٦ ـ رسالة التوحيد للإمام محمد عبده ط دار إحياء العلوم بيروت ١٩٧٩
٧٧ ـ الرسالة الشافية في إعجاز القرآن عبد القاهر الجرجاني ضمن ثلاث رسائل في عجاز القرآن
٧٨ ـ الرماني النحوي د . مازن المبارك ط جامعة دمشق ١٩٦٣
٧٩ ـ زاد الميعاد في هدى خير العباد لابن القيم الجوزية ط (٣) القاهرة ـ ١٩٧٣
٨٠ ـ سبل السلام للإمام الصنعاني المعروف بالأمير الناشر المكتبة التجارية مصر
٨١ ـ سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون لابن نباته المصري ط المدني مصر
٨٢ ـ سنن أبي داوود للإمام سليمان بن الأشعث ط حمص سوريا ١٩٦٩
٨٣ ـ سيبويه إمام النحاة علي النجدي ناصف ط لجنة البيان العربي مصر
٨٤ ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب أبو فلاح الحنبلي مكتبة القدس ١٣٥٠ هـ
٨٥ ـ شرح ابن عقيل تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد المطبعة التجارية
٨٦ ـ شرح إختيارات المفضل للتبريزي تحقيق د . فخر الدين قباوة دمشق ١٩٧٢
٨٧ ـ شرح الأشموني تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط (١) دار الكتاب العربي بيروت ١٩٥٥
٨٨ ـ شرح الشافية رضي الدين الإستراباذي ط (١) حجازي مصر ١٣٥٦ هـ
٨٩ ـ شرح الكافية لرضي الدين الإستراباذي ط (١) بيروت ١٢٧٥ هـ
٩٠ ـ شرح القصائد السبع الطوال لأبي بكر الأنباري تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون دار المعارف .
٩١ ـ شرح المفصل لابن يعيش المطبعة الأميرية وط بيروت عالم الكتب
٩٢ ـ شرح المقدمة المحسبه لابن بابشاد تحقتب د . خالد عبد الكريم ط : الكويت

٩٣ ـ شرح الملوكي في التصريف لابن يعيش تحقيق د . فخر الدين قباوه حلب سوريا ١٩٧٣

٩٤ ـ شرح الوافية نظم الكافية لابن الحاجب تحقيق موسى علوان النجف الأشرف العراق ١٩٨٠

٩٥ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة تحقيق الأستاذ أحمد شاكر ط الحلبي ١٩٦٧

٩٦ ـ الشفا في التعريف بحقوق المصطفى للقاضي عياض بدون تاريخ

٩٧ ـ الصحاح للجوهري ط دار الكتاب العربي بيروت ١٩٥٦

٩٨ ـ الصاحبي لابن فارس ط بيروت ١٩٦٤

٨٨ ـ طبقات فحول الشعراء لابن سلام تحقيق محمود شاكر ط دار المعارف ١٩٥٢

١٠٠ ـ طبقات النحويين واللغويين الزبيدي تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم الخانجي

١٠١ ـ ظاهرة الشذوذ في النحو العربي د . فتحي الدجني وكالة المطبوعات الكويت ١٩٧٤

١٠٢ ـ العربية يوهان فك ترجمة د . عبد الحليم النجار ط مصر ١٩٥١

١٠٣ ـ العقد الفريد لابن عبد ربه ط لجنة التأليف والنشر ١٩٥٦

١٠٤ ـ العمدة لابن رشيق تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ط(٣) المكتبة التجارية ١٩٦٣

١٠٥ ـ عمدة القارىء شرح صحيح البخاري المطبعة المنيرية ١٣٤٠ هـ

١٠٦ ـ عيون الأخبار لابن قتيبة سلسلة تراثنا وط دار الكتب المصرية

١٠٧ ـ غرائب القرآن ورغائب الفرقان تحقيق إبراهيم عطوه ط الحلبي مصر

١٠٨ ـ الفاضل للمبرد تحقيق عبد العزيز الميمني دار الكتب المصرية القاهرة

١٠٩ ـ فتح الباري شرح صحيح البخاري ط دار المعرفة بيروت نسخة مصورة عن ط بولاق ١٣٠٠ هـ

١١٠ ـ فتح البيان في مقاصد القرآن صديق حسن خان القاهرة ١٩٦٥ م
١١١ ـ فهرس شواهد سيبويه أحمد راتب النفاخ ط دار الإرشاد ١٩٧٠
١١٢ ـ الفهرست لابن النديم ط بيروت ١٩٦٤
١١٣ ـ في الصرف العربي فتحي الدجني مكتبة الفلاح الكويت ١٩٧٩
١١٤ ـ في ظلال القرآن سيد قطب ط (٥) دار إحياء التراث بيروت ١٩٦٧
١١٥ ـ القاموس المحيط الفيروز أبادي ط مصطفى محمد مصر
١١٦ ـ القرآن الكريم وأثره في الدراسات النحوية د . عبد العال سالم مكرم ط دار المعارف
١١٧ ـ القضاء والقدر الشيخ محمد متولي شعراوي ط (٣) دار الشروق بيروت ١٩٧٢
١١٨ ـ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل الشيخ محمد الجزي الكلبي ط (٢) دار الكتاب العربي ١٩٧٣
١١٩ ـ كتاب جمهرة اللغة لابن دريد دار صادر بيروت وط حيدر أباد الدكن ١٣٤٤
١٢٠ ـ كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ط الخانجي مصر ١٣٢٠ هـ
١٢١ ـ الكتاب لسيبويه تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط (١)
١٢٢ ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل للزمخشري ط دار الكتاب العربي بيروت
١٢٣ ـ كشف الخفا ومزيل الإلتباس الشيخ إسماعيل العجلوني ط حلب سوريا
١٢٤ ـ كشف السرائر في معنى الوجوه والأشباه والنظائر تحقيق د . فؤاد عبد المنعم وآخر مصر
١٢٥ ـ كشف الظنون حاجي خليفة المطبعة الإسلامية طهران .

١٢٦ ـ اللحن في اللغة د . يوسف المطوع الناشر جامعة الكويت
١٢٧ ـ لسان العرب لابن منظور ط دار صادر بيروت
١٢٨ ـ مباحث في علوم القرآن د . صبحي الصالح ط(٨) دار الطباعة للملايين بيروت
١٢٩ ـ متشابه القرآن للقاضي عبد الجبار بن أحمد الهزال تحقيق د . عدنان زرزور القاهرة
١٣٠ ـ مجالس ثعلب تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط دار المعارف مصر ١٩٥٢
١٣١ ـ مجالس العلماء للزجاجي تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ط الكويت ١٩٦٢
١٣٢ ـ المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبي محمد الغرناطي تحقيق أحمد الملاح مصر
١٣٣ ـ المحكم المحيط الأعظم لابن سيدة تحقيق مصطفى السقا ود . حسين نصار الحلبي مصر
١٣٤ ـ المخصص لابن سيدة ط المكتب التجاري بيروت
١٣٥ ـ المدارس النحوية د . شوقي ضيف ط دار المعارف مصر ١٩٦٨
١٣٦ ـ مدرسة البصرة النحوية د . عبد الرحمن السيد توزيع دار المعارف ١٩٦٨
١٣٧ ـ مراتب النحويين لأبي الطيب الحلبي مطبعة نهضة مصر القاهرة
١٣٨ ـ المزهر في اللغة حلال الدين السيوطي ط(٢) الحلبي
١٣٩ ـ مشاهد القيامة في القرآن الكريم سيد قطب دار الشروق بيروت
١٤٠ ـ مشكل الآثار للإمام حافظ الطحاوي دار صادر بيروت مصورة عن ط الهند ١٣٣٣ هـ

١٤١ ـ مشكل إعراب القرآن مكي القيسي تحقيق حاتم الضامن ط بغداد وزارة الإعلام
١٤٢ ـ المصحف الميسر للشيخ عبد الجليل عيسى دار الفكر بيروت
١٤٣ ـ معاني القرآن للأخفش تحقيق د . فائز فارس ط دار الكتب الثقافية الكويت
١٤٤ ـ معاني القرآن للفراء تحقيق أحمد يوسف نجاتي وآخرين ط الهيئة العامة ١٩٨٠
١٤٥ ـ معترك الإقران جلال الدين السيوطي تحقيق علي محمد البيجاوي دار الفكر مصر ١٩٧٣
١٤٦ ـ معجزة القرآن محمد متولي شعراوي ط المختار الإسلامي القاهرة
١٤٧ ـ معجم الأدباء ياقوت الحموي ط (١) الحلبي
١٤٨ ـ معجم ألفاظ القرآن المجمع اللغوي المصري نشر دار الشروق بيروت
١٤٩ ـ معجم متن اللغة الشيخ محمد رضا ط بيروت مكتبة الحياة ١٩٦٠
١٥٠ ـ معجزة القرآن نعمت صدقي ط (١) عالم الكتب مصر
١٥١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم محمد فؤاد عبد الباقي ط دار الفكر مصر
١٥٢ ـ معجم مقاييس اللغة لابن فارس تحقيق الأستاذ عبد السلام هارون ١٣٦٩ هـ
١٥٣ ـ المقرب في النحو لابن عصفور تحقيق الأستاذ أحمد عبد الستار الجواري وآخر العاني بغداد
١٥٤ ـ المغني في أبواب التوحيد القاضي عبد الجبار
١٥٥ ـ مغني اللبيب لابن هشام ط (٣) تحقيق د . مازن المبارك وآخر دار الفكر ١٩٦٩

١٥٦ ـ مفتاح السعادة لابن القيم الجوزية تحقيق محمود حسن ط (٢) الأزهر
١٥٧ ـ المقتضب للمبرد تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة المجلس الأعلى مصر
١٥٨ ـ مقدمة الإعجاز البياني للقرآن الكريم د . عائشة عبد الرحمن دار المعارف
١٥٩ ـ مقدمة ابن خلدون ط مصطفى محمد مصر
١٦٠ ـ مقدمة البرهان الكاشف في إعجاز القرآن د . أحمد مطلوب ط بغداد .
١٦١ ـ مقدمة تفسير الكشاف للزمخشري ط بيروت وط الرياض المملكة العربية السعودية
١٦٣ ـ مقدمة تفسير شبر محمد جواد النجفي ط (٢) القاهرة
١٦٣ ـ مقدمة ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط دار المعارف مصر
١٦٤ ـ مقدمة في أصول التفسير لابن تيمية تحقيق د . عدنان زرزور الرسالة بيروت ١٩٧٢
١٦٥ ـ مقدمة كتاب إعجاز القرآن للباقلاني السيد صقر ١٩٦٢ دار المعارف
١٦٦ ـ مقدمة معاني القرآن للمحققين ط دار الكتب المصرية معاني للفراء .
١٦٧ ـ مقدمة المقتضب للشيخ محمد عبد الخالق عضيمه ط المجلس الأعلى مصر
١٦٨ ـ الموجز في النحو لابن السراج تحقيق د . محمد الشويمي ط بيروت ١٩٦٥
١٦٩ ـ نزهة الألباء للأنباري تحقيق د . إبراهيم السمرائي بغداد ١٩٧٢
١٧٠ ـ النظم الفني في القرآن الكريم عبد المتعال الصعيدي ط مصر
١٧١ ـ النكت في إعجاز القرآن الرماني « ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ط دار المعارف
١٧٢ ـ الوافي بالوفيات تحقيق صلاح الدين الصفدي الهاشمية ١٩٥٣

ثالثاً : الدوريات

١٧٣ ـ صحيفة القبس الكويتية
١٧٤ ـ مجلة نور اليقين عن الأزهر الشريف ١٩٣٢ القاهرة
١٧٥ ـ مجلة مجمع اللغة العربية المصري القاهرة

فهرس الموضوعات

أرقام الصفحات

مقدمة البحث ٧ ـ ١٤

تمهيد . . ١٥ ـ ٢٣

معنى الاعجاز لغةً واصلاحاً ، من معاني الإعجاز اللغوي ، التقصير والضعف ، والتثبيط ، القوت والسبق ، طائر يضرب إلى الصُّفّرة ، والعاجز عن الضراب ، التحدي والمنطقة ومن معاني مشتقاتها : البقرة والذئب والعقرب والفرس والنخلة والغراب وغير ذلك الإعجاز في الاصلاح الاجتماعي : الضرير ، عدم القدرة على أداء الوظيفة ما يخرج عن المألوف .

الباب الأول : دراسات العلماء في الإعجاز القرآن ٢٥ ـ ١٠٥

الفصل الأول : المعجزة القرآنية ٢٥ ـ ٢٨

دراسة الظاهرة الاعجازية في القرآن الكريم تبقى دون الوصول إليها لأنها تجاوزت طاقة البشر كافة . رأى أبي بكر العربي في علوم القرآن رأى السيوطي ، معنى المعجزة القرآنية ، رأى القرطبي ، رأي القاضي عبد الجبار ، المعجزة في لسان الشرع .

الفصل الثاني معجزة الأنبياء ٢٩ ـ ٤٠

خلق آدم عليه السلام ، المعجزات التي ذكرت في القرآن الكريم بايجاز معجزة نوح عليه السلام ، رأى الزمخشري ، معجزة الطوفان ، رأى الجاحظ معجزة هود عليه السلام ، معجزة

صالح عليه السلام ، معجزة إبراهيم عليه السلام رأى ابن القيم الجوزيه ، رأى الزمخشري ، معجزة موسى عليه السلام ، رأي الدكتوره عائشة عبد الرحمن ، معجزة داود عليه السلام ، معجزة سليمان عليه السلام ، معجزة عيسى عليه السلام .

الفصل الثالث : آراء العلماء ٤١ - ٤٥

معجزة محمد صلى الله عليه وسلم خالدة وتختلف عن معجزات الأنبياء السابقين الكتب التي تحدثت على الإعجاز القرآني ، رأى العلماء في مواطن الإعجاز قسمان : قسم من العلماء ذهبوا إلى أن الإعجاز يعود إلى أسلوبه الباهر لما فيه من النظم والتأليف والترصيف والفصاحة وعذوبة الأسلوب وقسم ثان يرى أصحابه أن الإعجاز في القرآن الكريم هو إعجاز كلي فكري بلاغي بياني خارج عن نطاق البشر كافة وانه يدرك ولا يمكن وصفه . ٤٦ - ٤٧

القسم الأول إعجاز أسلوبي ٤٥ - ٦٣

أبو عثمان عمر بن الجاحظ المتوفى ٢٥٥هـ ؛ رأيه في رسالته حجج النبوة : يعود الإعجاز الى النظم والفصاحة .

ـ أبو سليمان الخطابي المتوفى ٣٨٨هـ تحدث عن الاعجاز في كتاب سماه « بيان إعجاز القرآن » رأيه في الإعجاز رأيه في الصرفه ، سر النظم في القرآن هيبته وإعجازه أوجه إعجازه ، إعجازه النفسي . ٤٨ - ٥١

ـ أبو القاسم محمد المعروف بالراغب الأصفهاني المتوفى ٣٩٦هـ نقل رأيه جلال الدين السيوطي في كتابه الاتقان في

علوم رأيه في الاعجاز ، النظم والمعنى ، النظم ينفرد عن المألوف في كلام العرب من نظم ونثر . ٥١ ـ ٥٣

ـ عبد القاهر الجرجاني المتوفى ٤٧١ هـ ٥٣ ـ ٥٨
الإعجاز في رسالته « الرسالة الشافية » فكرة الإعجاز في رأيه اثبات الإعجاز عن طريق عجز العرب عن معارضة القرآن ، عجز المعاصرين للرسول عليه السلام ، رسالة محمد عليه السلام ، أقوال العرب في الرسالة وبخاصة المشركون ، رأي عبد الكريم الخطيب في الرسالة الشافية رأي بنت الشاطيء رأي محققي الرسالة .

ـ جاد الله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى ٥٢٨هـ ٥٨ ـ ٦٠
لم يؤلف الزمخشري كتابا خاصا بالاعجاز ـــ الإعجاز من خلال « تفسيره الكشاف » الزمخشري وأقوال السابقين في شأن الاعجاز ، قامت دراسته على التفسير والتحليل وتبيان أوجه النظم وحسن التركيب .

ـ ابن عطيه الغرناطي المتوفي ٥٤٦ هـ ٦٠ ـ ٦٢
رأيه في الاعجاز من خلال تفسيره القرآن الكريم ، النظم القرآني ، صحة معانيه توالي فصاحة ألفاظه .

ـ فخر الدين الرازي محمد بن عمر المتوفى ٦٠٦ هـ ٦٠ ـ ٦١
رأيه في الإعجاز ذكره السيوطي في الاتقان، أوجه الإعجاز في رأيه ، الفصاحة ، عذابة الأسلوب السلامة من جميع العيوب .

ـ أبو الحسن حازم بن محمد القرطبي المتوفى ٦٨٤ هـ ٦٢ - ٦٢
رأيه في الإعجاز استمرارية الفصاحة والبلاغة ، تحديه للبشر .

ـ أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي المتوفى ٧٢١ هـ ٦٢ ـ ٦٣
رأيه في الإعجاز ، علم البيان ، تأدية المعنى تحسين الكلام ، مراعاة الكلام لمقتضى الحال .

القسم الثاني إعجاز كلي ٦٥ ـ ٨٦

ـ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني المتوفى ٣٨٥هـ ٦٥ ـ ٦٧
رأيه في الاعجاز القرآني ، كتابه النكت في إعجاز القرآن اعتبرته بنت الشاطيء من أهم كتب الإعجاز في القرن الرابع رأي محققي الكتاب ، أوجه الاعجاز في رأيه

ـ أبو بكر الباقلاني المتوفى ٤٠٧ هـ ٦٨ ـ ٧٧
كتابه اعجاز القرآن ، رأي محقق الكتاب أول كتب الباقلانى نشراً ، سبب تأليف كتابه نبوة محمد عليه السلام ، أوجه الاعجاز في نظره .

ـ القاضي عبد الجبار الأسدي المتوفى ٤١٥ هـ ٧٧ ـ ٧٩
كتابه المغني في أبواب التوحيد ، أوجه الاعجاز في رأيه ، نظم الكلام والتفاوت معجزات موسى وعيسى عليهما السلام . رأي الدكتور مخلوف حول الباقلاني والقاضي عبد الجبار .

ـ القاضي عيَّاض المتوفى ٥٤٤ هـ ٧٩ ـ ٨١
أوجه الاعجاز في رأيه أربعة فقط حسن التأليف ، النظم ، المخالف لأساليب العرب أخبار القرون السالفة .

ـ أبو يعقوب يوسف بن البكر السكاكي المتوفي ٥٦٧ هـ ٨١ - ٨٢

نقل رأيه جلال الدين السيوطي في الاتقان رأيه في الإعجاز رأي الخطيب .

ـ كمال الدين عبد الواحد الزملكاني المتوفى ٦٥١ هـ ٨٢ ـ ٨٤
كتابه البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ، رأيه في الإعجاز ،
المقاصد الأربعة ، أوجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاص ،
لا مطلق التأليف .

ـ جلال الدين السيوطي المتوفى ٩١١ هـ ٨٤ ٨٦
تحدث عن الإعجاز في كتابه الاتقان في علوم القرآن لخص كثيراً
من آراء السابقين ثم ألف كتابا سماه معترك الأقران في إعجاز
القرآن أوجه الاعجاز عنده خمسة وثلاثين وجها ، مثل النظم
البلاغة اخبار بالغيوب والمستقبل والروعة والرهبة ، وحب
سماعة وتفسيره تعالى لحفظه ووقوع الحقائق ـ ثم نقل رأي أبي
حيان التوحيدي وبندر الفارسي .
الخلاصة . . . .

الفصل الرابع : ٨٩ ـ ١٠٥

موقف العلماء المحدثين
من الإعجاز

ـ رأى الرافعي المتوفى ١٩٣٧ م ٨٩ ـ ٨٣
عرض موجز لأرائه من خلال كتابه إعجاز القرآن

ـ رأي الشيخ محمد أبو زهرة من خلال كتابه المعجزة الكبرى
ومناقشته . ٩٣ ـ ٩٧

ـ رأى الدكتوره عائشة عبد الرحمن « بنت الشاطيء في
الإعجاز عرض لأرائها من خلال كتابها « الاعجاز البياني في
القرآن الكريم » . ٩٧ ـ ٩٩

ـ رأى الاستاذ عبد الكريم الخطيب في أوجه الاعجاز عرض
لأرائه من خلال كتابه إعجاز القرآن . ٩٩ ـ ١٠٢

ـ رأي الشيخ محمد متولي الشعراوي في أوجه الإعجاز ، عرض آرائه من خلال كتابيه معجزة القرآن والقضاء والقدر رأي نعمت صدقي في أوجه الاعجاز القرآني من خلال كتابها معجزة القرآن ، الظواهر المادية في الكون ودلائل الاعجاز رأي محمد فريد وجدي في أوجه الاعجاز . ١٠٢ ـ ١٠٤

الباب الثاني

الإعجاز النحوي ١٠٧ ـ ٢١٠

الفصل الأول : النحاة والقرآن ١٠٧ ـ ١٢٤

اهتمام النحاة بالقرآن ، حث المسلمين على تعلم الإعراب نشأة النحو كانت سببا للمحافظة على القرآن بوادر اللحن ، الخلفاء واللحن ، الاستشهاد القرآني في كتاب سيبويه كماً وكَيفاً ، نماذج من القرآءات في كتاب سيبويه ، موقف المبرد من الاستشهاد القرآني كماً وكَيفاً ، علم إعراب القرآن .

الفصل الثاني : الظاهرة الزمنية ١٢٥ ـ ١٧٠

الأفعال في اللغة العربية ، الماضي والمضارع والمستقبل رأي سيبويه ، رأي المبرد ، نحاة متأخرون الخلاصة تعريف المضارع تعريف الماضي ، تعريف الأمر نماذج من الماضي عند شعراء المعلقات ، مناقشة الزمن ، الأمر في القرآن ،نماذج من الأمر القرآني إسناد الأمر لواو الجماعة ، الحث على وحدانية الله وطاعته ، علماء التفسير أقسام الأمر في القرآن أمر لم يحدث في الحياة الدنيا ، أمر في القرآن فاس عليه النجاة . أمر محجر مستمر حتى يوم القيامة .

الفصل الثالث : الفعل المضارع ١٧١ ـ ١٩٣

رأي ابن مالك في الفعل المضارع ، ابن مالك يمثل النحاة السابقين لعصره المضارع في الإسناد الوضعي ، المضارع عند شعراء الجاهلية المضارع في القرآن الكريم ، أقسامه ، خالد معجز حدث ولم يزل حتى يرث الله الأرض ، مضارع لم يرتبط بزمن معين ، مضارع مفتوح الزمن لم يحدث لإعجازه وسوف يحدث بعد هذه الحياة الفانية الخادعة وذلك يوم الحشر ، مضارع قاس عليه النحاة .

الفصل الرابع : الفعل الماضي ١٩٥ ـ ٢١٠

أراء النحاة ، نماذج من الإسناد الوضعي للفعل الماضي نماذج من الفعل في القرآن الكريم ، أقسام الماضي في القرآن قسم تلغي فيه الظاهرة الزمنية وقسم آخر من الأفعال القرآنية جاءت بصيغة الماضي ولم تحدث ، قسم ثالث قاس عليها النحاه .

الباب الثالث

الفواتح القرآنية ٢١١ ـ ٢٤٤

الفصل الاول : موقف علماء التفسير من الفواتح ٢١١ ـ ٢١٦

عدد الفواتح ، أقسامها معانيها أراء العلماء التفسير الاول يرى أصحابه أنها من أسرار القرآن رأي القرطبي ،رأي الشيخ عبد الله الحنفي ، رأي النيسابوري .

الفصل الثاني : معاني الفواتح القرآنية ٢١٧ ـ ٢٢٨

الأقوال حول معاني الفواتح ، موقف القاضي عبد

الجبار أسماء الله العظيم رأي القرطبي والطبري والطبرسي والثعالبي والبيضاوي والفراء والشيخ عبد الله الحفني أشارة الى حروف الهجاء في اللغة العربية رأي ابي السعود والطبري والقرطبي والبيضاوي عدد بقاء الأمة الإسلامية ، رأي. الطبري والطبرسي والبيضاوي والثعالبي والسهيلي رأي د. رشاد خليفة . حروف دالة على أسماء ، أراء العلماء بعض المعاني الخاصة .

الفصل الثالث : موقف البصريين والكوفيين من الفواتح وإعرابها ٢٢٩ ـ ٢٣٥

شيوخ المدرسة البصرية ، الخليل بن أحمد ، سيبوبة رأيه في إعراب الفواتح ، موقف الكوفيين شيوخهم أبو جعفر الرواسي ، الكسائي الفراء إعرابهم لفواتح السور القرآنية .

الفصل الرابع : نحاة متأخرون ٢٣٧ ـ ٢٤٤

أصحاب كتب إعراب القرآن ، أبو محمد مكي القيسي المتوفى ٤٣٦ واعرابه للفواتح من خلال كتابه مشكل إعراب القرآن ، الأنباري المتوفى ٥٧٧ وإعرابه للفواتح في كتابه « البيان في إعراب غريب القرآن أبو البقاء العكبري المتوفى ١٦ هـ إعرابه الفواتح من خلال كتابه إملاء مامن به الرحمن الزمخشري، وإعرابه للفواتح من خلال كتاب الكشاف أبو حيان واعرابه للفواتح من خلال كتابه البحر المحيط ، الرماني النحوي وإعرابه للفواتح خاتمة البحث .

الفهارس ٢٤٥

فهرس الأحاديث الشريفة

ـ أعْرِبُوا الكَلاَمَ كَيْ تُعْرِبُوا القُرْآنَ ١٠٨

ـ أعْرِبُوا القُرْآنَ والتَمِسُوا غَرَائِبَهُ ١٠٨

ـ أُسِسَتْ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ والأرضوُنَ السَّبعُ على « قُلْ هُوَ الله إحَدْ »
والذي نَفْسي بِيَدِهِ إنَّها تَعْدِلُ ثُلْثَ القُرآنِ ١٤٣

ـ لَقَدَ إنْزِلَتْ عَليّ سُورَتَانِ ما إنْزِلَ مِثْلُهما ، وإنك لَنْ تَقْرَأ سُورَتَينْ
أحَبَّ عِنْدَ الله مِنْهُمَا ، يَعني المعوذَتَين ١٤٥

ـ أُنْزِلَتْ اللَيَّلةَ آياتٌ لَمْ أرَ مِثْلَهُنَ قَط ،
قُلْ أعوذُ بِرَبِ الفَلَقِ ، وقُل أعُوذُ بِرَبِّ الناسِ ١٤٦

ـ مَنْ قَرأَهَا مَعْ سورَةِ الأخلاصِ ثَلاثاً حِينَ يُمسي وحِينَ يُصبحُ
كَفتَهُ عِن كُلٍّ شَيء ١٤٦

ـ مَنَ قَرَأَ سُورَةَ الكافِرينَ فكأنَّما قَرأ رُبْعَ القرآنِ وتَبَاعَدَتْ عَنَّه
مِرآةُ الشَّياطينِ وَبُريءَ مِن الشِّرْكِ وَيُعَافَى مِنَ النَّزْعِ الأكبرِ ١٤٧

ـ اسمَعُوا وأطيعُوا وإنْ استُعْمَلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشي كأنَّ رَأسَهُ زَبيبةُ ١٤٩

ـ اقرءوا القرآنَ فإنه يأتي يوم القيامةِ شفيعاً لأصحابه ١٥٦

ـ كُلُّ عَيْن بكَتْ يَوْمَ القِيامَةِ إلا عَيْنٌ غضَّتْ عَن مَحَارِمِ الله ،
وَعَيناً سَهِرَتْ في سَبيلِ الله ١٦٢

ـ مَا مِن مَيِّتٍ إلا خَتَمَ عَلَى عَمِلِهِ إلاَّ مَنْ مَاتَ مُرابِطاً في سَبيلِ الله
فإنَّهُ ينمو لَهُ عَمَلُهُ ١٦٥

ـ رِبَاطَ يوم في سَبيلِ الله خيرٌ مَن ألفِ يَومٍ سوَاهُ في المَنَازِلِ ١٦٥
ـ مَنْ رَابَطَ لَيلَةً في سَبيلِ الله كَانَتْ كألْفِ لَيْلَةٍ صِيَامهَا وقِيامها ١٦٥
ـ رَبِّ زِد أمتِي . . . يريد الرسول عليه السلام خيرا ١٦٨
ـ أتَيْتُ عَلى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابَ لؤلُؤٍ مُجَوفاً فقُلتُ : ما هَذَا يا جُبَرائيلُ
قَالَ : هَذا الكوثَرُ ٢٠٢
ـ ستَكُونُ فِتَنٌ ، قِيلَ وما المخرَجُ . قَالَ : كِتَابُ الله ٢٠٩
ـ لا أخَافُ عَلَى أمَتِي إلا ثَلاثَ خِلالٍ ٢٢٨

ـ من أقوال الصحابة رضي الله عنهم ـ

قَالَ أبو بكرٍ الصِّديقُ رَضيَ الله عَنْهُ لأنْ أقرأ فَأسْقِطَ أحبُّ إليَّ
مِنْ أنْ أقْرأ فألْحِنُ ١٠٨
ـ قَال عُمَرُ بنُ الخَطَّابِ رَضِي الله عَنْهُ « تَعَلَمُوا الفَرَائِضَ والسُنَنَ واللحْنَ
كَمَا تعَلَمُوا السِّبَاحَةَ ١٠٨
ـ وقَالَ أيْضاً « لا يُقْرِيءُ القُرآنَ إلا عَالِمٌ باللُّغَةِ » وقَالَ « إنَّه سَيَأتيكُمْ
نَاسٌ يُجَادِلُونكُمْ بِمُشْتَبِهاتِ القُرْآنِ فَخُذُوهُمْ بالسَّنَنِ ٢٢٨
ـ وَعن ابن عبَّاس رَضِي الله عَنْهُ « مَنْ لَمْ تأمُرْهُ صَلاتُه بالمعْروفِ
وتَنهيه عَنْ المُنْكَرِ لَمْ يَزددْ بِصَلاتِهِ مِن الله إلا بُعْداً » ١٥٨
ـ عَنْ ابنِ مَسعُودٍ رَضيَ الله عَنْهُ « مَنْ أرَادَ العِلْمَ فَعَليهِ بالقُرآنِ ٢١٠

فهرس الأشعار

قافية الهمزة

(د)

فَاتْـرُكُوا البَغْـيَ والتَّعْـدِّي وامَّا | تَتَعَاشَـوا فَفِـي التَّعَاشِـي الدَّاءُ ١٣٢
واذْكُروا حِلفَ المَجَـازِ وَمَـا قُـ | دِّمَ فِيهِ العُهُـودُ والكُفُلاءُ ١٣٢
واعْلَمُـوا أنَّـا وإيَّاكُمْ فِيـ | مَا اشْتَرَطْنَـا يَوْمَ اخْتَلَفْنـا سَوَاءُ ١٣٢

(ب)

فَإنَّ الأرضَ تَعْجـزُ عَن تَميمٍ | وَهُـم مِثْـلُ المُعَبَّـدة الجَرَابُ ١٨
أنْتَ الخليفَةُ للرَّحْمَنِ يَعْرِفُـهُ أهْلُ | الزَّبُـورِ وَفـي التَّـوراةِ مكتُوبُ ١٣٢
كُونُـوا كَيُوسُفَ لَمَّـا جَاءَ إخْوَتُهُ | واسْتعرفُوا،قَالَ ما في اليَوْم مكتُوبُ ١٣٣
الله فَفضَّلَـهُ والله وَفَقَهُ | تَوْفِيقَ يُوسُفَ إذْ وَصَّـاهُ يَعقُوبُ ١٣٣
فَعَـادَ عَليكِ أنَّ لَكُنَّ حَظَّاً | وَوَاقِيـةً كَـوَاقِيَةِ الكـلابِ ١٤٨

(د)

هَيْفَـاءُ مِقْبَلَـةً عَجـزَاءُ مُدْبِرَةً | تَمَّـتْ فَلَيْسَ يُرَىَ في خَلْفِهَـا أوَدُ ٢١
لِخَولَـة أطْـلالٌ بِبَرقَـةِ ثَهْمَدِ | ظَللتُ بِهَا أبْكي وأبكِي إلـى الغَدِ ١٣١

فإنْ مِتُّ فانعِنِـي بِمَـا أنـا أهْلُهُ	وشُقّـي علَـى الجَيبَ يا بُنَةَ مَعبدِ	١٣١
إذا هَبَّـتْ رِيَاحُ أبَـي عقَيلٍ	دَعَوْنَـا عِنْـدَ هَبتِّهَـا الوليدَا	١٩٧
أغَـرَّ الوَجْـهِ أبيضَ عَبشْميًّا	أعَـانَ عَلَـى مَرَوءِتِـه لَبيدا	١٩٧
بأمْثَـالِ الهِضَـابِ كأنَّ رَكْباً	عَلَيهـا من بنـي حَامٍ قَعُوُدا	١٩٧
أبَـا وَهَـبٍ جزَاكَ الله خَيْراً	نَحرْنَاهَـا وأطعَمنـا الثريدَا	١٩٧
قِفَـا نَسـألْ مَنـازِلَ آل لَيلَى	فَتُوضِـحُ بينَ حَوْمَـلٍ أو عَرادَا	١٣٠

(ر)

وَحَـارِبْ فِيهَـا ياسِرٌ حِينَ شَمَّرَتْ	مِنْ القِـدَمِ مِعْجَـازٌ لَئيمُ مُكَابرُ	٢٠

(ق)

فَذَاكَ وَلَمْ يُعْجِزْ مِنْ الموتِ ربَّةُ	وَلَـكِن أتَـاهُ المـوتُ لَمْ يَتَأبَقُ	١٨

(ل)

قِفَـا نَبْـكِ من ذِكرَىٰ حَبيبٍ وَمَنْزِلِ	بِسِقْطِ اللوى بَينَ الدَّخُولِ فَحَومَلِ	١٣٠
وَيُضحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوقَ فِراشِهَا	نَؤُومَ الضُّحَى لَمْ تَنْطِقْ عَنْ تَفضُلِ	١٧٤
يُضِـيء الظَّـلامَ بالعُشَـاةِ كأنَّها	مَنَـارَةُ مَمْسَـى رَاهِـبُ مُتبَتِّلِ	١٧٤
مَسحٌ اذا ما السَّابِحات على الونَى	أثَرْنَ الغُبَـارَ بالـكَديدِا المركلَ	١٧٥
يَزِلُّ الغُـلامَ الخَـقِ عَنَ صَهَوَاتِهِ	وَيلـوي بأثْـوابِ العتيقِ المُثَقَّلِ	١٧٥
ألا أيها الليلُ الطَـويلُ الا انجلِيَ	يصبَحٍ وَمَا الأصبـاحُ منـلء بأمثل	١٣١

يُخْبِرك مَنْ شَهِــدَ الوقيعــةَ أنَّني « م » أغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عِنـدَ المغنِمِ ١٧٥

والخيلُ تَقتَحِــمُ الغبــارَ عَوَابِساً مِنْ بينِ شَظيمـــةٍ وأجــردَ شيظمِ ١٧٥

تَبصَّرْ خَليلَـيْ هَل تَرَى من ظَعائِن تَحمَّلْنَ بالعلياء من فَوقِ جَرْثِمِ ١٣١

ألا أبْلـغْ الأحــلافَ عنِّـي رِسالَةً وَذُبيانَ هلْ أقسمتُــمْ كُلَّ مُقْسَمِ ١٣١

(ن)

ألاَ هبِّـي بِصحنِـكَ فاصبِحينَا ولاَ تُبْقـي خُمُــورَ الأندَرينَا ١٣٢

مُشَعْشَعَــةً كأنَّ الحُصَّ فِيها إذا مَا المــاء خَالَطَهــا سَخينَا ١٣٢

تَجُــورُ بِذِي اللُّبَانَــةِ عَن هَوَاهُ إذا مَا ذاقَهــا حَتــى يلينَا ١٣٢

جُعلَتْ عُســرانَ حَلَفَهُــم دَلِيلاً وفاتــوا في الحِجَــازِ لِعُجْزوني ١٧

بأي مَشيئَــةٍ عَمْــرو بن هِنْدٍ تُطِيعُ بِنَــا الوُشَــاء وَتَزدَرنا ١٧٥

تُهَدِّدنــا وأوعِدنسا رُوَيْداً مَتــى كُنَّــا لامِــكَ مقتوينَا ١٧٥

إذا ما مُتُ أرْحَلُهَــا بليلٍ تأوه أهــةَ الرجُــلِ الحزينِ ١٩٦

تَقُــولُ إذا دَرَأتُ لَهَــا وَضيني أهــذا دينُــهُ أبــداً وديني ١٩٦

أكُلَّ الدَّهــرِ حِلٌ وارتِحَالٌ أمــا يبقِــى علــيَّ ولا يقيني ١٩٦

(هـ)

وكأنَّمَا تَبِــعَ الصَّــوارُ بِشَخصِها عَجْــزاءُ تُرْزَقُ بالسُّلـي عِيالَهَا ٢١

(ي)

لاَ يَغرُنَّـــكَ ما تَرَى مِن أناس   إنَّ بَينَ الضُّلـــوع داءً دَويا ١٣٣

فَضَعَ السَّيفَ وارفـعْ السَّــوطَ حتى   لا تَرَى فوقَ ظَهرِهَــا أمويًا ١٣٣

طبع في دار النفائس ص.ب ١١.٦٣٤٧ هاتف : ٨١٠١٩٤ - بيروت